
أ.د. سناء أحمد أمين
الزواج
بين
النجاح والأزمة والفشل
دار الفكر العربي

الزواج
بين
النجاح والأزمة والفشل

الدكتورة/ سناء أحمد أمين

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
٦ أ شارع جواد حسني - القاهرة
ت ٢٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

٣٠١,٤٢ سناء أحمد أمين.

ن س ز و الزواج بين النجاح والأزمة والفشل/ سناء أحمد أمين . -

القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٢٧٨ ص ؛ ٢٤ سم.

ببليوجرافية: ص٢٧٧- ٢٧٨.

تدمك: ٨ ــ ٢٣٨٨ ــ ١٠ ــ ٩٧٧.

١- الزواج. ٢- الحقوق الزوجية. ٣-العلاقات الأسرية. ٤- إنهاء العلاقات الزوجية. ٥- أسباب فشل الزواج أ- العنوان.

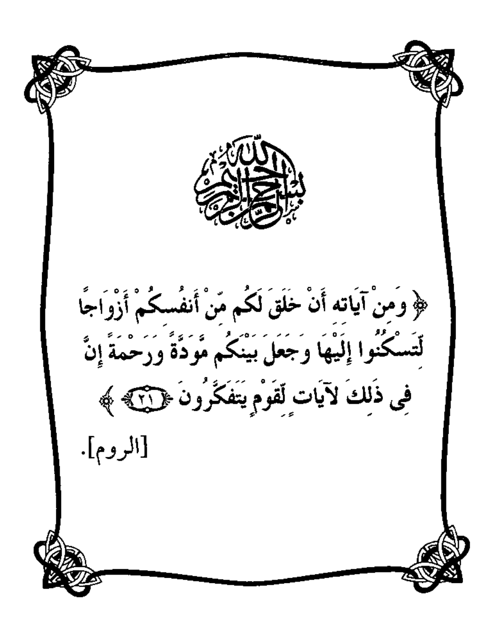
جمع إلكترونى وطباعة



تصميم وإخراج فنى

شيماء كمال عبد المعطى

رقم الإيداع ١٣٦٤٥ / ٢٠٠٨



﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

[الروم].

شكر وتقدير

ooo

يسعدنى أن أقدم خالص الشكر والتقدير لزوجى

الدكتور/ محمد طلعت عطية الصعيدى

الأستاذ بالمركز القومى للبحوث - على ما بذله من وقت وجهد فى مراجعة هذا الكتاب، وإبداء الآراء السديدة قبل الطباعة والنشر.

كما يسعدنى أن أوجه الشكر إلى جميع السادة العاملين فى:

دار الفكر العربى للطباعة والنشر والتوزيع

على تعاونهم الصادق ومساعداتهم الفنية القيمة، لإخراج هذا الكتاب فى أفضل صورة.. مما يزيد بإذن اللّه وتوفيقه - من استمتاع القارئ بموضوعات هذا الكتاب.

دكتورة

سناء أحمد أمين

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

إنهاء العلاقة الزوجية والآثار المترتبة عليها

الباب الثالث

أزمة الزواج.. المشكلة والحل

الموضوع **الصفحة**

الباب الرابع

أسباب عدم نجاح الزواج

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.. وبعد.

الزواج هو العلاقة الوثيقة بين الرجل والمرأة، والتي يهتدي إليها الاثنان بالفطرة.. أما الدين، فهو العامل الأساسي الذي يقننها وينظمها ويحفظ الحقوق للزوجين، كما يحافظ على حقوق الأبناء الذين هم ثمرة هذا الزواج.

فقد هذب الدين الإسلامي - وغيره من الأديان - العلاقة بين الرجل والمرأة، والتي منبعها احترام المرأة للرجل، وكذلك احترام الرجل للمرأة وتقديرها وحفظها وصيانتها كجوهرة غالية.. وجعل الزواج وسيلة لبقاء الجنس البشري.. وتقوية الأواصر والمحبة بين العائلات.. وتوكيدا للصلات الاجتماعية.. علاوة على صيانة الأنساب من الاختلاط.. وإيجاد مجتمع طاهر نظيف تنتشر فيه الفضائل وتضمحل الرذائل.. وعاصما من الانحراف والوقوع في المخالفات والمعاصي.

والعلاقة بين الرجل والمرأة في الزواج أساسها تبادل الحقوق والتعاون المثمر، في دائرة المودة والمحبة والاحترام والتقدير، وتنمية غريزة الأبوة والأمومة، ومشاعر العطف والحنان، وهي فضائل لا تكمل إنسانية إنسان بدونها.

والشعور بتبعة أعباء الزواج ورعاية الأبناء، يبعث على النشاط وبذل أقصى الجهد في تقوية ملكات الفرد ومواهبه.. فينطلق إلى العمل من أجل النهوض بأعبائه، مما يزيد من تنمية الثروة وكثرة الإنتاج بالمجتمع.

والمقصود بأزمة الزواج هو زيادة العنوسة للفتيات، والعزوبة للشبان.. وفي العصر الحالي تعني أن هؤلاء الشباب تخطوا الثلاثين من العمر ولم يتمكنوا من الزواج.. بينما كانت أزمة الزواج للفتاة من قبل تعني تخطيها العشرين أو أكثر بقليل من العمر.

وتحدث هذه الأزمة عندما توضع العراقيل في سبيل إتمام الزواج.. وتتعدد أسباب هذه الأزمة.. فقد تكون في حيرة الشاب في اختيار شريكة الحياة التي

تتوافق معه في الثقافة والعلم والأخلاق والمشاعر الإنسانية.. وتتمثل الحيرة أيضا في أسلوب وطريقة الاختيار.. وفي الصفات الشخصية للشاب أو الفتاة.. وكذلك في مشاكل الأسرة ذاتها.. أما الجانب الأكثر تأثيرا في الوقت الحالي على أزمة الزواج فهو الناحية المادية والمغالاة في كل شيء لإتمام الزواج، مما يجعل الشباب يعرضون عن الزواج، أو يتجهون إلى الأساليب غير المشروعة.

وبعد أن خرجت المرأة للعمل.. وتفوقت على الرجال في بعض مواقع العمل.. اعتقدت بعضهن أن الاكتفاء الذاتي والاستقلال المادي يؤمن حياتهن، فيرفضن الزواج، خوفا من المغامرة التي قد يتبعها حمل لقب مطلقة.. ولهؤلاء الناجحات في العمل، نؤكد أن هذه المبررات الانهزامية للإعراض عن الزواج، لا تتناسب أبدا مع مستوى الحديث عن النجاح في العمل.

فقد خلق الله البشر مختلفين في طباعهم وأخلاقهم وعاداتهم، ولا يوجد شخص مثالي.. ومن فضل الله على الإنسان، أن القلوب المتشابهة تتآلف مع بعضها.. والزواج رزق من الله.. فمن أخذت بالأسباب، وسعت للزواج الحلال، ولا ترفض كل خاطب إلا لأسباب ضرورية، فلن يخذلها الله أبدا.

ويجب أن تعلم الفتاة أنه مهما كانت كنوز الدنيا، فإن الإنسان لا يستغني عن الشريك الذي يأنس إليه - صباحا ومساء وطول العمر - وهذه فطرة الله التي خلقنا عليها.. ولن يسعد الإنسان بهذا الشريك إلا بالزواج الذي أحَلَّهُ الله عز وجل.. وثمرة هذا الزواج يكون الأولاد - بنين وبنات - وهكذا تستمر الحياة جيلا بعد جيل.

والمرأة السوية هي التي تجمع بين أنوثتها وعملها وتربية أبنائها ورعاية بيتها في نفس الوقت.. وهذا ليس بالمستحيل إذا نظمت وقتها.. ولكن عليها أن تعلم أن دور حواء المقدس هو دور الأم، ولا يمكن لأي رجل في العالم أن يتنافس معها في هذا الدور عظيم الشأن.

أما الإعراض عن الزواج فهو ليس من طبيعة الإنسان، ولكنه مخالفة وعناد وسوء تقدير يحتاج إلى معالجة لتفكير الشبان والفتيات، ومعالجة من المجتمع لتهيئة الظروف التي تساعد على الزواج.

ولا شك أن الجهل أو عدم الاهتمام بشرائع الدين، يعتبر من أخطر التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في جميع نواحي الحياة، وخاصة في تزايد أزمة الزواج.. فإذا لم يوفر المجتمع الظروف المناسبة للزواج الحلال، فقد يتجه الشباب - عن جهل بشرائع الدين - إلى الزواج بالطرق غير المشروعة.

وتعتبر التربية الدينية من أهم مسئوليات الأسرة، ودور التعليم، ودور العبادة، ووسائل الإعلام المختلفة، والمجتمع كله.. ومن المؤسف أن نجد بعض الشباب يعيش فراغا عاطفيا ونفسيا ودينيا.

فالأسرة لها أكبر الأثر في تنشئة الأبناء على أسس دينية منذ الصغر.. والحوار الهادئ بشكل دائم مع الأبناء يعتبر من أوجب الواجبات على الأبوين، حتى لا يبحث الأبناء عن أشخاص خارج المنزل لإرشادهم وحل مشاكلهم.. فكثيرا ما ينشغل الآباء بالسعي لتوفير متطلبات الحياة المادية، ويعزفون عن الجانب الروحي في تربية الأبناء.. فالأبوين لهما التأثير المباشر على النشء، حيث تترسخ المعلومات والسلوكيات الصادرة عنهم في ذهن الصغار وتظل محفورة في العقل والوجدان حتى الكبر.. فإذا صلحت الأسرة صلح سلوك الشباب.

وتتولى دور التعليم التأثير على الصغار بعد الأسرة.. والمقصود في التعليم هو التربية أولا.. لأن الأسرة والمدرسة هما الأساس في تكوين شخصية الصغار. وهما الأساس في تعليمهم التربية الدينية والأخلاق الكريمة والصفات الحميدة حتى يشبوا كأفراد نافعين لأنفسهم وللمجتمع.. ولذا يجب اختيار أفضل المعلمين من الناحية التربوية لمراحل الحضانة والابتدائي من التعليم.. ولكن للأسف، فإن بعض المعلمين لا يتحلُّون بفضيلة القدوة الحسنة للتلاميذ.. فلا يمكن أن يقتصر دور المعلم على إلقاء الدرس فقط.. فهناك آلاف المواعظ التي يمكن أن يلتقطها المعلم ويشير إليها من داخل جميع الدروس العملية والأدبية وغيرها.. وهذه اللقطات من المواعظ هي التي تُميز معلم عن آخر.. وهى بمثابة غرس الوازع الديني في نفوس التلاميذ وتعليمهم الأخلاق والمعاملات في الحياة.. لأن التربية لا تأتي إلا بمواقف معينة وسلوك من المعلم، يرسخ في ذهن التلميذ، وليست مجرد مواد يحفظها التلميذ وينساها بعد ذلك.. وإذا كانت وظيفة المدرسة

إلقاء بعض الدروس كما هي في الكتاب المدرسي ثم امتحان التلاميذ فيها، فإنه لا أهمية للحضور كل يوم إلى المدرسة؛ لأن الكتاب يمكن حفظه خارج المدرسة.

ولا ننسى أهمية التربية بالجامعة في تثقيف الشباب وتوعيتهم بالحقوق والواجبات المنوطة بهم عند الزواج.. وكيف يمكنهم تكوين أسرة سعيدة، تحافظ على الأبناء، وتنفي من الذهن استسهال فكرة الطلاق للهروب من مسئوليات الحياة الزوجية.. ويستجيب طلبة الجامعة كثيرا إلى هذه الأحاديث خاصة إذا كان الأساتذة على المستوى الخلقي الراقي، وكان هناك نشاط عام بالجامعة ومحاضرات ثقافية ودينية عامة، تجذب الطلبة إلى الأساتذة.. فالعلم والثقافة هما الاستثمار الحقيقي للبشر، ووسيلة تغيير المجتمع نحو الأفضل في الفكر والسلوك والأخلاق والرؤى المستقبلية.

كما أن دور العبادة يلزمها التجديد في الخطاب الديني بحيث يؤثر مباشرة على حلول مشاكل المجتمع، ولا يظل الداعية يردد الخطب البعيدة عن الواقع الذى يعيشه الشباب والناس جميعا.. فمن واجب الداعية أن تكون مواعظه مناسبة للأحداث الجارية في العصر الحديث، ولا تتجمد.. ومن هنا كان لا بد من إعداد الداعية إعدادا جيدا.. والأمل معقود على الخطاب الديني في حل مشكلة أزمة الزواج كأحد القضايا المهمة حاليا في المجتمع بعد تحديد خطوات العلاج من العثرات.

وعن وسائل الإعلام، وخاصة التليفزيون الذي دخل كل بيت - بل دخل إلى حجرات النوم - فإن الصغار والكبار يتأثرون بما يعرضه من صور وأفلام ومسلسلات.. ومن الملاحظ أن بعضها لا يراعي الأصول الشرعية للزواج، مما يُرسخ في الأذهان هذه الصور المغلوطة.. علاوة على الاستهزاء بمنظر المأذون الشرعي، والذى كثيرا ما يجعلونه في التمثيل مُزيفا.

ومع انتشار القنوات الفضائية، انتشرت الإباحية والعري والألفاظ الخارجة عن الآداب العامة، والكليبات بمناظرها المؤذية للمشاعر، وعروض الأزياء الفاضحة التي لا تتناسب مع بيئتنا.. وكلها مناظر منافية للآداب الإسلامية والشرقية.. وخطورتها كبيرة إذ تعمل على الإفساد الأخلاقي للصغار والكبار.. هذا مع عدم

إعطاء الفقرات الدينية المساحة المناسبة بوسائل الإعلام، وعدم وضعها في أوقات الذروة من المشاهدين.. علاوة على ظهور الفتاوى الفقهية من غير المتخصصين المتعمدين الدخول في موضوعات تثير البلبلة لاختلاف الآراء.. وكل هذه الأوضاع تصيب الشباب بالحيرة والاكتئاب الشديد.

أما عن فشل الزواج، وعدم النجاح والتوافق في إتمام مشوار العلاقة الزوجية وإنهائها بالطلاق بعد فترة قصيرة من الزواج، فإنه يزيد من أزمة الزواج، إذ تعمل المطلقات في مقتبل العمر على زيادة نسبة العنوسة، بل إن ظروف هؤلاء المطلقات تجعل الزواج أصعب بسبب نظرة المجتمع إلى المرأة المطلقة.

وتتعدد أسباب فشل الزواج، ونذكر من تلك الأسباب: غياب الثقافة المتعلقة بالزواج الصحيح والطلاق، وعدم تحمل المسئولية، علاوة على الطمع المادي الذي يضاعف من افتقاد الحب والسعادة بين الزوجين.. وإذا اقترن الطلاق بالكيد والعناد، فإن آثاره تكون وخيمة على الصحة النفسية للزوجين والأبناء.. وتزداد بذلك مشاكل المجتمع.

هذه نبذة عن الأسباب لأزمة الزواج وفشله.. وسوف يستعرض الكتاب - بإذن الله - العديد من الأسباب والحلول لهذه المشاكل، حتى تنفرج أزمة الزواج الحالية بعون الله، وتتحقق السعادة الزوجية، ويستمر الارتباط المقدس بين الزوجين محافظا على كيان الأسرة طول العمر بالتوفيق من عند الله.. ولأن الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع، فإن صلاح الأبناء من سعادة الزوجين وصلاحهما.. وإذا صلحت الأسرة، صلح المجتمع كله.

وفي مواقع عديدة من هذا الكتاب، تم الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.. وحرصا على الاضطلاع بالمسئولية، فقد تم نقل الآيات من كتاب الله الكريم.. وبالنسبة للأحاديث النبوية، فقد تم تدوين اسم الإمام راوي الحديث، ورقم الحديث والصفحة من الكتب الخاصة بالأحاديث النبوية التي رجعت إليها، مع الاكتفاء بالرمز إلى أسماء أئمة الرواة والكتب، رغبة في الاختصار.. وهذا بيان لهذه الرموز:

خ: البخارى: مختصر صحيح البخارى، المسمى التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح.

م: مسلم مختصر صحيح مسلم، بشرح الإمام النووى.

ت: الترمذى: مختصر سنن الترمذى.

جه: ابن ماجه: موسوعة الحديث الشريف - جمعية المكنز الإسلامى.

د: أبو داود: موسوعة الحديث الشريف - جمعية المكنز الإسلامى.

ن: النسائى: موسوعة الحديث الشريف - جمعية المكنز الإسلامى.

ر ص: رياض الصالحين، تأليف الإمام زكريا بن شرف النووى الدمشقى.

والله يهدينا جميعا إلى طريق السعادة.. ويوفقنا بفضله وكرمه.. ويتقبل منا صالح الأعمال.. آمين.

أ. د. سناء أحمد أمين

القاهرة: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

الباب الأول

الزواج الناجح.. آدابه وسننه

قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

[النحل].

أولا: نبذة عن الزواج

(١) تعريف الزواج:

الزواج أو النكاح معناه شرعاً: عقد يربط بين ذكر وأنثى، بصيغة معينة، وبشروط شرعية محددة لا يصح إلا بها.. وبهذا العقد يحل لكل من الزوجين الاستمتاع بصاحبه.

وقد جاء القرآن الكريم بلفظي الزواج والنكاح في عدة آيات كريمة، نذكر منها قوله سبحانه وتعالى:

* ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].. (لتسكنوا: لتميلوا إليها)

* ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ... ﴿٣٢﴾﴾ [النور].. (الأيامى: من لا زوج لها ومن لا زوج له) (عبادكم: العبيد) (إمائكم: الخدم من النساء).

* ﴿... فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً.. ﴿٣﴾﴾ [النساء].

والزواج واجب على من كان عاقلا وعنده القدرة على تكاليف الزواج، وتاقت نفسه إليه وخشي العنت - أي الإثم أو الفجور أو الزنا - لأن صيانة النفس وإعفافها عن الحرام واجب.. ولا يتم ذلك إلا بالزواج.

وإن تاقت نفسه إلى الزواج، وعجز عن الإنفاق على الزوجة، فإنه يسعه قول الله عز وجل:

* ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ.. ﴿٣٣﴾﴾ [النور].

وليكثر من الصيام، كما جاء في الحديث الشريف:

* عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «يا معشر الشباب.. من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم

يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء».. (رواه البخارى)[1] . . (الباءة: الجماع أو القدرة على الزواج ماديا) (أغض للبصر وأحصن للفرج: أشد إحصانا ومنعا من الوقوع في الفاحشة) (وجاء: المراد هنا أن الصوم قامع للشهوة).

(٢) حكمة الزواج:

شرع الله - عز وجل - الزواج لحكم جليلة، ومقاصد شريفة، ولغايات نبيلة، نذكر منها ما يلي:

١- حاجة كل من الزوجين إلى صاحبه.. فالزواج هو أحسن وضع طبيعي، وأنسب مجال حيوي لإرواء الغريزة وإشباعها بقضاء شهوة الجماع الفطرية، فيهدأ البدن عن الاضطراب، ويكف عن النظر أو التطلع إلى الحرام، وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله.

٢- الإبقاء على النوع الإنساني بالتناسل الناتج عن النكاح، واستمرار الحياة.

٣- صيانة الأنساب من الاختلاط، وإيجاد مجتمع طاهر نظيف تنتشر فيه الفضائل وتضمحل الرذائل.

٤- تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من تبادل الحقوق والتعاون المثمر في دائرة المودة والمحبة والاحترام والتقدير.

٥- تنمية غريزة الأبوة والأمومة وتكاملها في ظلال الطفولة، وتنمية مشاعر العطف والود والحنان، وهي فضائل لا تكمل إنسانية إنسان بدونها.

٦- تعاون كل من الزوجين على تربية الأبناء ورعايتهم والمحافظة على حياتهم.

٧- الشعور بتبعة أعباء الزواج، ورعاية الأبناء يبعث على النشاط وبذل أقصى الجهد في تقوية ملكات الفرد ومواهبه.. فينطلق إلى العمل من أجل النهوض بأعبائه، مما يزيد في تنمية الثروة وكثرة الإنتاج بالمجتمع.

---

(١) خ ٩٢٧ ص ٢٠٦.

٨- يعمل الزواج علـى ترابط الأسر، وتقوية أواصـر المحبـة بين العائلات، وتوكيد الصلات الاجتماعية.. فـالمجتمع المترابط المتحاب، هو المجتمع القوي الذي يعضده ويباركه الإسلام.

٩- الزواج مفيـد صحيا للرجل والمرأة على السواء، حـيث يؤدي كل منهما وظائفه الطبيعية على الوجه الذي يرضاه الله ويحمده الناس ويثمر الثمار المباركة.

١٠- الزواج عبـادة، يستكمل بهـا الإنسـان دينه، ويلقى بهـا خالقـه - عز وجل - على أحسن حال من الطهر والنقاء والعفاف.

(٣) الترغيب في الزواج:

ذكر بالقرآن الـكريم والأحاديث النبوية الشريفـة صور متعددة للـترغيب في الزواج.. نذكر منها ما يلي:

١- الزواج من سنن الأنبياء وهدي المرسلين.. وأنهم القدوة الذين يجب أن نقتدي بهداهم.. قال سبحانه وتعالى:

* ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ... ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد].

* وعن أبي أيوب رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**أربع من سنن المرسلين: الحياءُ، والتَّعطر، والسِّواك، والنكاح**» (**رواه الترمذي**)[(١)].

٢- ذكر الزواج في معرض الامتنان على البشر.. قال الله تعالى:

* ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ...﴿٧٢﴾﴾ [النحل].

٣- وأحيانا يتحدث القرآن الكريم عن كونه آية من آيات الله:

* ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

---

(١) ت ١٠٨٠ ص ١٤٢.

٤- وقد يتردد المرء في قبول الزواج، فيحجم عنه خوفا من الاضطلاع بتكاليفه، وهروبا من احتمال أعبائه. . فيلفت الإسلام نظره إلى أن الله سيجعل الزواج سبيلا للغنى، ويمده بالقوة التي تجعله قادرا على التغلب على أسباب الفقر. . قال عز وجل:

* ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النور].. (الأيامى: جمع أيم، وهو الذي لا زوجة له، أو التي لا زوج لها) (العباد: العبيد) (إمائكم: الخدم من النساء).

٥- وقد عبرت الأحاديث النبوية الشريفة عن أن المرأة الصالحة خير كنز إلى رصيد الرجل. . ومنها:

* عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» (رواه مسلم)**[(١)].

٦- وقد يخيل للإنسان في لحظة من لحظات يقظته الروحية أن يتبتل وينقطع عن كل شيء من شئون الدنيا، فيقوم الليل، ويصوم النهار، ويعتزل النساء، ويسير في طريق الرهبانية المنافية لطبيعة الإنسان. . فيعلمه الإسلام أن ذلك مناف لفطرته، ومغاير لدينه، وأن الرسول ﷺ - وهو أخشى الناس لله وأتقاهم له - كان يصوم ويفطر، ويقوم وينام، ويتزوج النساء. . وأن من حاول الخروج عن هديه فليس له شرف الانتساب إليه.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا، كأنهم تَقَالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. . فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. . وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. . وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج

---

(١) م ٦٢٢ ص ٣٥١.

أبدا.. فجاء رسـول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكـذا؟ أما والله إني لأخشـاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصـوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النســاء، فـمـن رغب عن سنتي فلـيس مني» (رواه البـخـاري ومسلم)[1] .. (الرهط: من ثلاثة إلى عـشرة) (تقـالوها: اعتـبروا عبادتهم قليلة بالنسبة لـلنبي ﷺ مع أن الله غفر له ما تقدم من ذنب وما تأخـر) (ليس مني: أي ليس على طريقتي وهديي، ومن جـحد السنة بأكملها مستهزئا بها فقد كفر وخرج من الإسلام).

٧- والزوجة الصـالحة فيض من السعادة يـغمر البيت ويملؤه سـرورا وبهجة وإشراقا..

* عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «ما استفاد المؤمن - بعد تقوى الله - عـز وجل - خيرا له من زوجة صالحة: إن أمـرها أطاعته، وإن نظر إليهـا سرَّته، وإن أقسم عليهـا أبرَّته، وإن غاب عنها نصحـته في نفسها وماله» (رواه ابن ماجه)[2] .. (نصحته: أي حفظته).

(١) خ ١٨٢٨ ص ٤٢٧.

(٢) جه ١٩٣٠ ص ٢٧٠.

ثانيا: اختيار شريك الحياة

من أصعب الأمور التي تواجه الإنسان في مرحلة الشباب هي اختيار شريك الحياة. . إذ ينتج عنها أن يترك حياة الصبا، ويترك الاعتماد على أبويه - وإن كان هناك البعض ممن يعتمدون على أنفسهم منذ الصبا - ويصبح مسئولا عن نفسه وعن شريك الحياة وأسرته الجديدة. . ومن هنا لا بد أن تتوافر فيه شروط النضج الذي يجعله يخطط لحياته الجديدة على أسس دينية سليمة، وأن يختار الشريك الذي يتوافق معه في الثقافة والدين والعلم والأخلاق والمشاعر الإنسانية.

(١) اختيار الزوجة:

أ- الزوجة سكن الزوج، وحرث له، وهي شريكة حياته، وربة بيته، وأم أولاده، ومهوى فؤاده، وموضع سره ونجواه. . وهي أهم ركن من أركان الأسرة لعدة أسباب نذكر منها:

- الزوجة هي المنجبة للأبناء.
- عنها يرث الأبناء كثيرا من المزايا.
- في أحضانها تتكون عواطف الطفل، وتتربى ملكاته، ويتلقى لغته، ويتعرف على دينه.
- برعايتها، يتعوَّد الأبناء على السلوك الاجتماعي، والتقاليد والعادات.

ومن أجل هذا اهتم الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه. . وليس الصلاح إلا المحافظة على الدين، والتمسك بالفضائل، ورعاية حق الزوج، وحماية الأبناء.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها. . فاظفر بذات الدين تربت يداك**» (رواه البخاري ومسلم)[1]. . (لحسبها: لشرفها بمآثر الآباء والأقارب) (تربت يداك: التصقت بالتراب، وهو دعاء بالفقر على من لم يكن الدين من أهدافه. . ولا يراد به حقيقة الدعاء،ولكنه النصح بحسن الاختيار).

(١) خ ٥١٨٣٥ ص ٤٢٨.

وخير ما يجعل الرجل يستمتع في هذه الدنيا، المرأة الصالحة التي تحفظه في ماله، وأولاده، وفي نفسها، فهي ترعى حقوقه، وتسعى لإدخال السرور إلى نفسه إذا أوى إلى بيته، فتنسيه آلام تعبه في عمله وسعيه عليها وعلى أولاده.

* عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -، أن رسول الله ﷺ قال: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**» (رواه مسلم)[1].

والقصد من هذا أن يكون الدين متوافرا أولا.. فإن الدين هداية للعقل والضمير، ثم تأتي بعد ذلك الصفات التي يرغب فيها الإنسان بطبعه وتميل إليها نفسه.

ب- كثيرا ما يتطلع الناس إلى المال الوفير، أو الجمال الفاتن، أو الجاه العريض، أو النسب العريق، أو إلى ما يعد من شرف الآباء، غير ملاحظين كمال النفوس وحسن التربية، فتكون ثمرة الزواج مُرَّة، وتنتهي بنتائج ضارة.

جـ- والإنسان بطبعه يعشق الجمال ويهواه، ويشعر في قرارة نفسه بأنه فاقد لشيء من ذاته إذا كان الشيء الجميل بعيدا عنه.. فإذا ناله واستولى عليه شعر بسكن نفسي وارتواء عاطفي وسعادة.. ولهذا لم يُسقط الإسلام الجمال من حسابه عند اختيار الزوجة.. والمهم هو الجمال الذي ترتاح إليه النفس ويعجبها، حتى لو لم يعجب الآخرين؛ لأن الجمال نسبي من شخص لآخر.

* عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة، فقال النبي ﷺ: «**انظر إليها، فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما**» (رواه الترمذي)[2].. (يُؤدم بينكم: تدوم المودة والعشرة).

د- ومن المزايا التي ينبغي توفرها في المرأة المخطوبة أن تكون من بيئة كريمة، معروفة باعتدال المزاج، وهدوء الأعصاب، والبعد عن الانحرافات.. فإنها أجدر أن تكون حانية على أولادها، راعية لحق زوجها.

---

(١) م ٦٢٢ ص ٣٥١.

(٢) ت ١٠٨٧ ص ١٤٢.

هـ- ومن مقاصد الزواج الأولى إنجاب الأولاد.. فينبغي أن تكون الزوجة منجبة، ويعرف ذلك بسلامة بدنها، وبقياسها على مثيلاتها من أخواتها وعماتها وخالاتها.

* عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب، وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: **«لا»**. ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال ﷺ: **«تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»** (رواه أبو داود)[1].. (الودود: هي المرأة التي تتودد إلى زوجها وتبذل طاقتها في مرضاته) (الولود: التي تنجب له).

و- ويستحسن أن تكون الزوجة بكرا، فإن البكر لم يسبق لها عهد بالرجال، فيكون الزواج أدعى إلى تقوية عقدة النكاح، ويكون حبها لزوجها ألصق بقلبها.

* عندما تزوج جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - ثيبا، قال له رسول الله ﷺ: **«هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك؟»**.. فأخبر رسول الله ﷺ بأن أباه قد ترك بناتا صغارا، وهن في حاجة إلى رعاية امرأة تقوم على شئونهن، وأن الثيب أقدر على هذه الرعاية من البكر التي لم تدرب على تدبير المنزل، فدعا له الرسول ﷺ (حديث حسن صحيح رواه الترمذي)[2].

ز- ومما ينبغي ملاحظته أن يكون ثمت تقارب بين الزوج والزوجة من حيث السن، والمركز الاجتماعي، والمستوى الثقافي والاقتصادي.. فإن التقارب في هذه النواحي يعين على دوام العشرة، وبقاء الألفة.

---

(١) د ٢٠٥٢ ص ٣٤٧.

(٢) ت ١١٠٠ ص ١٤٤.

هذه بعض المعاني التي أرشد إليها الإسلام، ليتخذها مريدو الزواج نبراسا يستضيئون به، ويسيرون على هداه.. ولو أننا لاحظنا هذه المعاني عند اختيار الزوجة، لأمكن أن نجعل من بيوتنا جنة ينعم فيها الأبناء، ويسعد بها الزوج، وتعد للحياة أبناء صالحين، تحيا بهم أمهم حياة طيبة كريمة.

(٢) اختيار الزوج:

على الولي أن يختار لكريمته الزوج المناسب.. والمقصود بالولي بالنسبة للمرأة في الزواج هو أقرب الناس إليها، كأبيها وجدها وأخيها وعمها.. إلخ.

فلا يزوجها الولي إلا لمن له دين وشرف وحسن خلق، فإن عاشرها عاشرها بمعروف، وإن سرحها سرحها بإحسان.. والاحتياط في حقها مهم، لأن الزوج قادر على الطلاق بكل حال.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا خطب إليكم من ترضَوْن دينه وخلقه فزوِّجوه إلا تفعلوا تكُن فتنة في الأرض وفساد عريض»** (رواه الترمذي)(١).

فمن زوَّج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر، فقد جنى على دينه، وتعرض لسخط الله لما قطع من الرحم وسوء الاختيار.

ولذا فإنه من الواجب على الولي أن يسأل ويتقصى عن الزوج، ليعلم صفاته وأعماله وسلوكه، حتى لا يكون ظالما لابنته.. فلا ينخدع بمظهره أو غناه؛ لأن المال لا يدوم، وقد يكون اكتسبه من حرام فتصبح معيشته كلها حراما ولا يبارك الله له.

---

(١) ت ١٠٨٤ ص ١٤٢.

ثالثا: الخِطبة

(١) التقدم للخطبة:

الخطبة - بكسر الخاء - معناها: أن يتقدم رجل إلى ولي امرأة مُظهرا الرغبة في الزواج بها.. وقد يكون إظهار الرغبة من مريد الزواج بذاته، أو يرسل غيره لهذا الغرض.

والخطبة من مقدمات الزواج.. وقد شرعها الله قبل الارتباط بعقد الزوجية ليتعرف كل طرف من الزوجين على الآخر معرفة تجعله على بصيرة من أمره.

فالخطبة مقدمة تسبق عقد الزواج.. وهي ليست ارتباطا رسميا للزواج.. ويعتبر الخاطب والمخطوبة أجانب عن بعضهما.. والعدول عن الخطبة حق من الحقوق التي يملكها الخاطب أو المخطوبة أو هما معا.

ولا يصح التقدم من رجل إلى امرأة للزواج بها إلا إذا كانت خالية من الموانع الشرعية التي تمنع الزواج منها في الحال، كأن تكون في عدتها من زوج آخر بسبب وفاته أو بسبب الطلاق، أو تكون متزوجة من شخص ما.. كما لا يصح أن تكون بينهما قرابة تحرم زواج أحدهما بالآخر، إما تحريما مؤقتا كزواج الأختين، أو تحريما مؤبدا كالمحرمات بالنسب أو المصاهرة أو الرضاع.. وسوف يُذكر بإذن الله فيما بعد تفصيل عن المحرمات من النساء.

كذلك لا يصح التقدم من رجل وقد سبقه إلى خطبتها رجل آخر.. فإنه يحرم على الرجل أن يخطب على خطبة أخيه في الإسلام، لما في ذلك اعتداء على حق الخاطب الأول وإساءة إليه.. فقد ينجم عن هذا التصرف الشقاق بين الأُسر، والاعتداء الذي يُرَوِّع الآمنين.

* عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يَبِعْ بعضكم على بَيْعِ بعض، ولا يَخْطُبْ بعضكم على خِطبة بعض»** (رواه مسلم)[١].

---

(١) م ٥٧٨ ص ٣٣١.

فإذا خطب رجل امـرأة، فرضيت به وركنت إليـه، فليس لأحد أن يخطب على خطبته.. أما إذا جاء خاطب جديد، لا يعلم بخطبتها ولا برضاها، فلا بأس أن يخطبها.

(٢) النظر إلى المخطوبة:

مما يرطب الحياة الزوجية ويجعلها محفوفة بالسعادة محوطة بالهناء، أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل الخطبة، ليعرف جمالها الذي يدعوه إلى الإقدام على الاقتران بها، أو قـبحها الذي يصـرفه عنها إلى غـيرها.. والعاقل لا يدخل مدخـلا حتى يعرف خيره من شره قبل الدخول فيه.

وقد أباحت الشريعة الإسلامية للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته في حدود ما أحل الله - سبحانه وتعالى - من النظر إليها.. والأحاديث النبوية لم تعين مواضع النظر، ولكن ذهب جمهـور من العلماء إلى أن الرجل ينظر إلى الوجه والكفين لا غيـر، لأنه يستـدل بالنظر إلى الوجه على الجـمال أو الدمامـة، وإلى الكفين على مدى خصوبة البدن.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة في هذا الشأن:

* عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة، فقال له رسول الله ﷺ:

«أنظرت إليهـا؟!» قال: لا. قال: «انظر إليـها، فإنه أحـرى أن يؤدم بينكما» (رواه الترمذي)(١).. (فإنه أحرى أن يؤدم بينكما: أي أجدر أن يدوم الوفاق بينكما).

وليس هذا الحكم مقصورا على الخاطب فـقط، فكما أباحت شريعة الإسلام أن ينظر الخـاطب إلى مـخطوبتـه، فـقد أباحـت أيضا إلى المخـطوبة أن تنظر إلى خطيبها في حدود ما أحل الله تعالى، كأن تنظر إلى وجهه وهيئته، فإنه يعجبها منه مثل ما يعجبه منها.

(١) ت ١٠٨٧ ص ١٤٢.

(٣) التعرف على الصفات:

من النظر يعرف الجمال والقبح.. أما الصفات الخلقية فلا تعرف إلا بواسطة بعض الأفراد ممن هم في موضع ثقة من الأقرباء أو الأصدقاء.. وقديما كانت «الخاطبة» تقوم بهذا الدور، وتجعل من نفسها وسيطا بين الخاطب والمخطوبة، وتأخذ أجرها من الاثنين.

وأحيانا لا يصدق في وصف الجمال والأخلاق إلا من هو خبير بالظاهر والباطن.. فقد يميل إلى الإفراط في الثناء والإغراء، أو يكون في نفسه شيء آخر فيقصر ويخدع.. ومن هنا فإن التعرف على الصفات من عدة مصادر يكون أفضل.

وفي العصر الحديث - مع خروج المرأة للتعليم والعمل - فقد أُعْطِيَ الرجل فرصة النظر ومعرفة صفات المرأة التي يتمناها زوجة، وذلك بمراقبة تصرفاتها - دون أن يتحدث إليها مباشرة أو يخلو بها - فيعرف صفاتها على طبيعتها قبل أن يتقدم إليها.

ومن الضروري أن تفتح أسرة المخطوبة بابها لاستقبال الخاطب، لعدة زيارات، في وجود بعض أفراد الأسرة حتى لا تصبح خلوة بين الخاطب والمخطوبة، وإعطائهما الفرصة للتفاهم مع بعضهما والتخطيط لحياتهما، دون تدخل من الأسرة إلا بالنصيحة.

رابعا: عقد الزواج

(١) أركان وشروط صحة عقد الزواج:

أ- صيغة عقد الزواج:

الركن الحقيقي للزواج هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط.. ولما كان الرضا وتوافق الإرادة من الأمور النفسية التي لا يطلع عليها أحد، كان لابد من التعبير بالكلام الدال على التصميم على إنشاء هذا الارتباط.

ويتمثل التعبير فيما يجري من عباراته بين المتعاقدين.. فما صدر أولا من أحد المتعاقدين للتعبير عن إرادته في إنشاء الصلة الزوجية يسمى «إيجابا»، ويقال إنه أوجب.. وما صدر ثانيا من المتعاقد الآخر من العبارات الدالة على الرضا والموافقة يسمى «قبولا».

ومثال ذلك: إذا قال الزوج لولي الزوجة: زوجني ابنتك فلانة (ويذكر اسمها بالكامل)، فقال ولي المخطوبة: قبلت، كان ما قال الزوج إيجابا، وكان ما قاله ولي الزوجة قبولا.

وإذا قال ولي الزوجة للزوج: زوجتك ابنتي فلانة (ويذكر اسمها بالكامل)، فقال الزوج: قبلت، كان ما قاله ولي الزوجة إيجابا، وما قاله الزوج قبولا.

ويرى الشافعية أن أركان الزواج خمسة: الزوج، والزوجة، والولي، والشاهدان، والصيغة.

(ب) وجود وليّ عن المرأة عند الزواج:

وليّ المرأة عند الزواج، هو أقرب الناس إليها، كأبيها وجدها وأخيها وعمها.. إلخ.

وإذا لم يوجد ولي، فإن السلطان يعتبر ولي الأمر لمن لا ولي له.

ويشترط في الولي عن المرأة في الزواج أن يكون ذكرا مسلما، بالغا، عاقلا، رشيدا.. فليس للمرأة - عند الشافعية - أن تعقد على نفسها.. وإذا عقدت على نفسها كان هذا العقد باطلا.. ففي الحديث الشريف:

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا نكاح إلا بولي»** (رواه أصحاب السنن)[1].. (أي: لا صحة للزواج بالنسبة للمرأة إلا بولي، أي بوكيل من الرجال عنها).

* وعن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: **«أيُّما امرأة نُكِحَتْ بغير إذن وليِّها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل...»** (رواه الترمذي)[2].

ويرى الأحناف، أن المرأة العاقلة الرشيدة لها الحق في مباشرة عقد الزواج لنفسها بكرا كانت أم ثيبا، ويستحب لها أن تترك عقد زواجها لوليها، صونا لها عن التبذل وعما يخدش الحياء.. وليس لوليها أن يعترض على مباشرة عقد الزواج لنفسها، إلا إذا زوجت نفسها من غير كفء لها، أو زوجت نفسها على مهر أقل من مهر مثلها.. وفي هذه الحالة لوليها أن يرفع الأمر إلى القضاء ليفصل في أمر زواجها.

جـ- وجوب استئذان المرأة قبل الزواج:

يجب على ولي المرأة أن يبدأ بأخذ رأيها فيمن يتقدم للزواج بها، وأن تكون راضية عن اختيارها لهذا الزواج؛ لأن الزواج معاشرة دائمة بين الزوج والزوجة، فيجب أن يتم بالتراضي والاختيار لا الإجبار.. ولذا منعت شريعة الإسلام الإجبار أو الإكراه على الزواج، وقررت أن عقد الزواج يكون غير صحيح إذا تم عن طريق الإكراه أو الإجبار.

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة تأمر باستئذان المرأة قبل الزواج، ونذكر منها:

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«الثيب أحق بنفسها من وليها. والبكر تُستأذن في نفسها. وإذنُها صُمَاتُها»** (رواه مسلم والترمذي)[3].

(١) ت ١١٠١ ص ١٤٤.
(٢) ت ١١٠٢ ص ١٤٤.
(٣) م ٥٨٢ ص ٣٣٣.

أى أن المرأة التي سبق لها الزواج أحق بنفسها في أن الولي لا يعقد عليها إلا بعد استئذانها ورضاها وما يفيد موافقتها.. والبكر تستأذن أيضا، وسكوتها - حياء منها - دليل على رضاها.

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: **«يارسول الله، إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، فجعل رسول الله ﷺ الأمر إليها، فقالت: يارسول الله، قد أجَزْتُ ما صنع أبي، ولكن أردت أن أُعلم النساء، أن ليس للآباء من الأمر شيء** (رواه ابن ماجه)[1].. (ليرفع بي خسيسته: أى دناءته) (فجعل ﷺ الأمر إليها: أى خيَّرها أن تقبل أو لا تقبل).

د- الإشهاد على الزواج:

من شروط صحة عقد الزواج أيضا، أن يكون هناك شاهدان يشهدان عليه.. ولا ينعقد حتى يكون الشهود حضورا حالة العقد.. وذلك لما لعقد الزواج من أهمية تتعلق بحفظ الأنساب والأعراض، ولما يجب فيه دفع الظنون والشبهات.. إذ بالإشهاد يتم الإشهار والوضوح، لا سيما عندما يكون مع الشاهدين عدد من الناس لقلة العدالة في زماننا هذا.. وجمهور الفقهاء على أن عقد الزواج يجب أن يتم بشاهدين من الرجال العدول، ولا تصح فيه شهادة النساء.

ويشترط في الشهود على عقد الزواج أن يكونوا من المسلمين، البالغين، العقلاء، وأن يكونوا على علم تام وفهم أن المقصود بالذي يشهدون عليه هو عقد زواج. قال سبحانه وتعالى:

* ﴿ ....وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴿٢﴾ ﴾ [الطلاق].

والآية الكريمة وإن كانت في الطلاق والرجعة، غير أن الزواج مقيس عليهما.

---

(١) جـ ١٩٤٧ ص ٢٧٣.

هـ- وجوب الصداق (المهر) للمرأة:

من شروط صحة الزواج، أن يدفع الزوج لزوجته مبلغا من المال كصداق لها.. ملكا خالصا لها.. ومن حقها أن تتصرف فيه كما تشاء.. وهو ما تُعطاه المرأة لحلِّية الاستمتاع بها.. وهو واجب بدليل قوله تعالى:

* ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾﴾ [النساء]. (صدقاتهن: مهورهن) (نحلة: عطية منه تعالى) (هنيئا مريئا: سائغا حميد المغبة).

أي: أعطوا أيها الرجال، النساء اللاتي تريدون الزواج بهن مهورهن عطية عن طيب نفس منكم؛ لأن هذه المهور قد فرضها الله تعالى لهن، فلا يجوز أن يطمع فيها طامع، فإن حدث وتنازلت المرأة عن شيء من هذه المهور عن سماحة وعن رضا وعن طيب خاطر، فخذوا - أيها الرجال - ما تنازلت عنه نساؤكم من مهورهن لكم أخذاً حلالاً لا شبهة فيه، وانتفعوا به.

ويسن تسمية المهر في عقد الزواج، لأن تسميته في العقد أطيب للنفوس، وأقطع للنزاع، وأبعد عن الخصومة.. ويجوز تعجيل المهر وتأجيله.. أو تعجيل بعضه وتأجيل البعض الآخر.. ويستحب تعجيل جزء منه.

وقد اتفق العلماء على أنه لا حدَّ لأكثر الصداق، بدليل قوله تعالى:

* ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء].. (بهتانا: باطلا أو ظلما). والمراد بالقنطار في الآية الكريمة، المال الكثير الذي هو أقصى ما يتصور من مهر يدفعه الزوج لزوجته.

ومع ذلك فقد حببت شريعة الإسلام أتباعها في عدم المغالاة في المهور.. لأن المغالاة في المهور تؤدي إلى وضع السدود في وجوه الراغبين في الزواج من الذكور والإناث.. ومن الأحاديث التي حببت في عدم التغالي في المهور:

* عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، في حديث طويل عندما أراد الزواج ولم يكن معه مهر، حيث قال له الرسول ﷺ: «التمس ولو خاتما من حديد».. وهذا أيضا ليس عنده، ولكنه يحفظ شيئا من القرآن الكريم،

فقال له ﷺ: «أمكنّاكها بما معك من القرآن» (رواه البخاري)[1].. أى أن الرسول ﷺ زوجه المرأة مقابل تعليمها ما يحفظه من القرآن الكريم.

ولم يرد نص من الكتاب أو السنة الشريفة، يوضح قدر المهر من حيث الكثرة أو القلة، لأن الناس يختلفون في الغني والفقر، فترك التحديد ليعطي كل إنسان على حسب حالته.

(٢) التوثيق الرسمي لعقد الزواج:

لأهمية صيانة عقد الزواج، الذي هو أساس رابطة الأسرة، فقد رأى المشرع الوضعي أهمية وضع ضوابط وشروط أخرى لمباشرة عقد الزواج رسميا.. وهي المسوغ الكتابي، أى الوثيقة الرسمية لعقد الزواج، لما لها من عظيم الأثر في صيانة حقوق الأسر، وحفظ الأنساب.

فقد يتفق اثنان على الزواج بدون وثيقة رسمية، ثم يجحده أحدهما أو يعجز الآخر عن إثباته أمام القضاء.

وقد يدعي الزوجية بعض ذوي الأغراض زورا وبهتانا أو نكاية وتشهيرا، أو ابتغاء غرض آخر.

وما كان لشيء من ذلك أن يقع لو أثبت هذا العقد بوثيقة رسمية دائمة، كما في عقود الرهن وحجج الأوقاف، وهي أقل شأنا منه، وهو أعظم منها خطرا.

(٣) الالتزام بعقد الزواج:

إذا استوفى عقد الزواج أركانه وشروط صحته، فهو ملزم للجميع.. وليس لأحد من الزوجين ولا لغيرهما حق نقض العقد أو فسخه، ولا ينتهي إلا بالطلاق أو الوفاة.. وهذا هو الأصل في عقد الزواج، لأن المقاصد التي شُرع من أجلها - من دوام العشرة الزوجية وتربية الأولاد والقيام على شئونهم - لا يمكن أن تتحقق إلا مع لزومه.

(١) خ ١٨٤٥ ص ٤٣٠.

(٤) صيغة العقد المقترنة بشروط:

إذا قُرن العقد بشروط.. فإنه يجب الوفاء بها أو عدم الوفاء تبعا لما يلي:

أ- إذا كانت الشروط من مقتضيات العقد ومقاصده ولم تتضمن تغييرا لحكم الله ورسوله، كاشتراط العشرة بالمعروف، والإنفاق، والكسوة والسكن.. إلخ، فهذه الشروط نافذة بأصل العقد، ولا حاجة إليها.

ب- إذا كانت الشروط تُخل بالعقد، فلا يجب الوفاء بها.. ومن أمثلة ذلك: أن تشترط المرأة عدم الاستمتاع بها.. أو شرط ألا يكون عندها إلا ليلة في الأسبوع.. أو شرط لها النهار دون الليل.. أو تشترط ألا تجهز له طعامه وشرابه مما جرت به العادة أن تقوم به الزوجة لزوجها.. ويحرم على المرأة أن تشترط لزواجها بالرجل أن يطلق امرأته ليتزوجها، فتأخذ منه ما كان لزوجته من نفقة ومعروف ومعاشرة.. إلخ.. ففي الحديث الشريف:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«لايحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صَحْفَتَها فإنما قُدِّر لها»** (رواه البخاري)(١).

فهذه الشروط باطلة ولا يجب الوفاء بها؛ لأنها مخالفة للغرض من الزواج.. أما عقد الزواج نفسه فهو صحيح.

جـ- قد تشترط الزوجة على زوجها شروطا تعود بالنفع عليها.. مثل زيارة أقاربها، وألا يخرجها من بيتها أو بلدها، أو عدم الزواج عليها.. إلخ.. فهذه الشروط إذا لم تحل حراما، ولا تحرم حلالا، فإنه يجب الوفاء لها به، وإلا فإن للزوجة الحق في فسخ نكاحها إن شاءت.

* عن عقبة بن عامر الجُهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أحق الشروط أن يوفى به، ما استحللتم به الفروج»** (متفق عليه)(٢).. (والمعنى أن أحق الشروط بالوفاء شروط الزواج).. فالمسلمون على شروطهم، إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا.

---

(١) خ ١٨٥٢ ص ٤٣١.

(٢) م ٥٨١ ص ٣٣٢.

خامسا: من آداب الزواج وسننه

(١) الخُطبة قبل عقد الزواج:

الخُطْبة قبل عقد الزواج ليست من شروط صحة عقد الزواج.. ولكن يستحب أن يقدم العاقد أو غيره بين يدي العقد خُطبة.. وأقلها: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: **«كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع»** (رواه ابن ماجه)(١).

أي أن كل أمر معتنى به - ويحتاج صاحبه أن يلقى باله من الاهتمام به - إن لم يبدأ بحمد الله، فهو مقطوع من البركة.. وليس المراد خصوص الحمد، بل المقصود ذكر الله عز وجل.

وقد علمنا الرسول ﷺ «خُطْبة الحاجة»، ومنها النكاح، الذي جعله الله أمرا عظيما وميثاقا غليظا.. فسنّ في هذه الخُطبة أنواعا من الذكر كالحمد والاستعانة والاستغفار والتعوذ والتوكل والتشهد وآيات من القرآن الكريم.

وخُطْبة الحاجة هي: إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. ومن يهده الله فلا مضلٌ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

ثم يصل الخُطْبة بثلاث آيات كريمة من كتاب الله:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

* ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

---

(١) جـ ١٩٦٩ ص ٢٧٦.

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

(٢) التهنئة بالنكاح والدعاء بالتوفيق:

من آداب الزواج وسننه التهنئة للزوجين بالنكاح.. ففي الحديث الشريف:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا تزوج إنسان قال له: **«بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في الخير»** (رواه الترمذي وصححه)(١).

* وعن الحسن - رضي الله عنهما - قال: تزوج عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه امرأة من بني جُشَم. فقالوا: بالرفاء والبنين، فقال: لا تقولوا هكذا ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: **«اللهم بارك لهم، وبارك عليهم»** (رواه ابن ماجه)(٢).

* وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: **«إذا أفاد أحدكم امرأة - أو خادما أو دابة - فليأخذ بناصيتها وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جُبلت عليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبلت عليه»** (رواه مسلم وابن ماجه)(٣).. (بناصيتها: أي برأسها).

ويقول الرجل عند إرادة الجماع، كما ذكر في الحديث الشريف:

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله، اللهم جنبني الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قُدِّرَ بينهما في ذلك أو قضى ولدٌ لم يَضُرُّهُ شيطان أبدا»** (رواه البخاري)(٤).

(٣) إعلان الزواج والغناء:

يستحسن شرعاً إعلان الزواج، ليخرج بذلك من نكاح السر المنهي عنه، وإظهار الفرح بما أحل الله من الطيبات.. وإن ذلك عمل حقيق بأن يشتهر، ليعلمه الخاص والعام، والقريب والبعيد، وليكون دعاية لتشجيع الذين يؤثرون العزوبية على الزواج، فتروج سوق الزواج.

(١) ت ١٠٩١ ص ١٤٣.
(٢) جه ١٩٨١ ص ٢٧٨.
(٣) جه ١٩٩٣ ص ٢٧٩.
(٤) خ ١٨٥٤ ص ٤٣١.

والإعلان يكون بما جرت به العادة، ودرج عليه عرف كل جماعة، بشرط ألا يصحبه محظور منهيٌ عنه، كشرب الخمر ونحو ذلك.

* عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف»** (رواه الترمذي)(١).

وليس من شك في أن جعله في المساجد أبلغ في إعلانه والإذاعة به، إذ إن المساجد هي المجامع العامة للناس، ولا سيما في العصور الأولى التي كانت المساجد فيها بمثابة المنتديات العامة.

* وعن محمد بن حاطب الجمحي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فصل ما بين الحرام والحلال الدف والصوت في النكاح»** (رواه الترمذى)(٢).

ومما أباحه الإسلام وحبب فيه، الغناء عند الزواج، ترويحا للنفوس، وتنشيطا لها باللهو البريء المباح، الذي يخلو من المجون وفحش القول أو الخلاعة والميوعة والعري.

* عن عائشة - رضي الله عنها - أنها زفت الفارعة بنت أسعد، وسارت معها في زفافها إلي بيت زوجها. نبيط بن جابر الأنصاري - فقال النبي ﷺ: **«يا عائشة، ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»** (رواه البخاري)(٣).

وفي بعض روايات هذا الحديث أنه ﷺ قال: **«فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟»**.. وبذلك فقد رخَّص لنا رسول الله ﷺ في الدف واللهو والغناء المباح عند العرس.

(٤) الوليمة:

الوليمة هي طعام العرس، أو كل طعام صنع لدعوة.. ويدعى للوليمة الفقراء والأغنياء.. ومن دعاه اثنان، قدم أولهما وجه إليه الدعوة.

---

(١) ت ١٠٨٩ ص ١٤٣.
(٢) ت ١٠٨٨ ص ١٤٣.
(٣) خ ١٨٥٣ ص ٤٣١.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: عندما تزوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال له رسول الله ﷺ: «بارك الله لك، أولم ولو بشاة» (رواه الترمذي)(١).

* وعنه رضي الله عنه قال: ما أولم رسول الله ﷺ على شيء من نسائه، ما أولم على زينب: أولم بشاة (متفق عليه)(٢).

* وعن صفية بنت شيبة - رضي الله عنها - قالت: أولم النبي ﷺ على بعض نسائه بِمُدَّين من شعير (رواه البخاري)(٣).

وهذا الاختلاف ليس مرجعه تفضيل بعض نسائه على بعض، وإنما بسبب اختلاف حالتي العسر واليسر.

وإجابة الداعي إلى وليمة العرس واجبة على من دعي إليها، لما فيها من إظهار الاهتمام به وإدخال السرور عليه وتطييب نفسه.

* عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من دُعي إلى عرس أو نحوه فليجب» (رواه مسلم)(٤).

وفي الأحاديث ما يشعر بالإجابة إلى كل دعوة سواء أكانت دعوة زواج، أم غيره.. ويرخص في عدم حضورها إن كان بها لهو باطل.. ومن دُعي إلى وليمة وهو صائم فليجب الدعوة، وإن شاء أكل إن كان صومه تطوعا، وإن شاء قدم لهم التهنئة وخرج.

---

(١) ت ١٠٩٤ ص ١٤٣.
(٢) خ ١٨٥٥ ص ٤٣٢.
(٣) خ ١٨٥٦ ص ٤٣٢.
(٤) م ٥٨٧ ص ٣٣٦.

سادسا: الكفاءة في الزواج

(١) تعريف الكفاءة:

الكفاءة معناها المساواة والمماثلة.. يقال: فلان كفء لفلان، أى مماثل له في كثير من صفاته.. والمقصود بها في الزواج: أن يكون الزوجان متساويين ومتقاربين في مستواهما الديني والعلمي والخلقي والاجتماعي.. لأنه كلما كان هناك تقارب في الصفات العقلية والاجتماعية وغيرهما بين الزوجين، كانت الحياة الزوجية بينهما أقرب إلى النجاح وإلى حسن التفاهم وإلى دوام الألفة والانسجام.

(٢) في اي شيء تكون الكفاءة في الزواج؟:

يرى بعض الفقهاء أن أهل الإسلام كلهم إخوة.. وأن أي مسلم، ما لم يكن مشهورا بفجوره وفسقه، فله الحق أن يتزوج بأية مسلمة، ما لم تكن معروفة بفجورها وفسقها.. لأن الله تعالى يقول:

* ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... (١٠) ﴾ [الحجرات].

كما يرون أنه لا عبرة بالأحساب والأنساب والأموال، وإنما العبرة بالتدين والاستقامة وحسن الخلق، لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... (١٣) ﴾ [الحجرات].

وفي الحديث الشريف:

* عن أبى حاتم المُزنى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.. قالها ثلاث مرات» (رواه الترمذي)(١).

ففى الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، تقرير أن الناس متساوون في الخَلق والأخوة وفي القيمة الإنسانية، وأنه لا أحد أكرم من أحد إلا من حيث الإيمان وتقوى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) ت ١٠٨٥ ص ١٤٢.

وهذا يوضح أن الكفاءة في الدين هي الأصل والكمال.. فلا تزوج مسلمة بكافر أو زان، ولا عفيفة بفاسق أو فاجر.. ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمرا غير ذلك من النسب أو الوظيفة أو الغنى.. إلخ.

على أن بعض الفقهاء يرون عدم قصر الكفاءة على الاستقامة والصلاح، وإنما يضيفون إلى ذلك النسب، والوظيفة، والحالة المالية، والسلامة من العيوب، وغير ذلك من الأمور التي جرى العرف باعتبارها.. وهذه الأمور تختلف تبعا للمكان أو الزمان أو الأشخاص.

فمثلا قد تكون وظيفة ما شريفة في مكان ما، أو زمان ما، بينما تعتبر دنيئة في مكان أو زمان آخر.. وعن النسب، فإن شرف العلم دونه كل نسب وكل شرف.. ويكفي قوله تعالى:

* ﴿ .... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه**» (رواه البخاري)[1].. (الناس معادن: أى أصولا مختلفة كالمعادن المستقرة في الأرض بعضها خسيس وبعضها نفيس) (إذا فقهوا: إشارة إلى أن الشرف الحقيقى لا يتم إلا بالتفقه في الدين).

وعن الحالة المالية، فإن بعض الأشخاص لا يعتبرون الفقر أو الغنى أساس الكفاءة؛ لأن المال غاد ورائح، ولأنه لا يفتخر به ذوو المروءات.. بينما غيرهم يعتبر الفقير ليس بكفء للموسرة.

وأيضا الكفاءة في السلامة من العيوب، تختلف من شخص لآخر.. فقد يكون الرجل أعمى، وترضى به امرأة ولا تعتبره عيبا، بينما غيرها تعتبره عيبا لا تستقيم معه حياتها الزوجية.. المهم في ذلك كله رضا الزوجة ووليها.

---

(١) خ ١٤٥٥ ص ٣٢٨.

(٣) فيمن تعتبر الكفاءة؟:

الكفاءة في الزواج ينظر إليهـا من ناحية الزوج دون الزوجة.. أي أن الرجل هو الذي يشترط فيه أن يكون كفؤا للمرأة، ومماثلا لها أو متقاربا معها في الصفات العلمية والاجتـماعية والعقلية والخلقـية.. وللرجل أن يتزوج بمن هي أقل منه في العلم وفي الأحوال الاجتماعية.

وقد جرى العرف بين الناس أن الزوجة صاحبة المنزلة الرفيعة، يُعيرها الناس - هي وأولياؤها - إذا تزوجت بمـن هو غير كفء لهـا.. أما الزوج فلا يُعـيَّر إذا كانت زوجته دونه في المنزلة العقلية أو العلمية أو الاجتماعية.

(٤) وقت اعتبار الكفاءة:

أجـمع الفقـهاء علـى أن وقت اعتـبار الكفـاءة إنما يكون عند إنشـاء عقـد الزواج.. لأن شروط الزواج إنما تـعتبـر عند العقد.. فـإذا تزوجت المرأة بمن هو كفء لهـا، ثم بعد ذلك تغـيرت ظروفـه، من غنى إلى دون ذلك مثـلا، أو من صحـة إلى مرض.. فـإن عقـد الزواج باق على ما هو علـيه؛ لأن أحوال الدنـيا متقلبة ولا تدوم.. وكلهـا اختبارات من الله سبحانه وتعالى للإنسـان لمعرفة مدى صبـره ورضاه في كل الأحوال.. فعلى المرأة أن تقـبل الواقع وتصبر وتتـقي؛ فإن ذلك من عزم الأمور.

سابعا: الحقوق الزوجية

مجرد إتمام عقد الزواج الصحيح، تترتب عليه آثاره، وبمقتضاه تجب الحقوق الزوجية.. ولقد أمرت شريعة الإسلام الزوجين أن يؤدى كل واحد منهما نحو الآخر ما يجب عليه من حقوق وتكاليف، ونهت عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الإضرار بالحياة الزوجية، سواء أكان ذلك من أحد الزوجين أم من غيرهما.. ومتى تعاون الزوج والزوجة على تنفيذ تلك الحقوق بصدق وإخلاص وتعاطف وتكافل، سعدت الأسرة وعاشت في أمان وسلام واطمئنان؛ لأن سنة الله تعالى اقتضت أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ونوضح فيما يلي أهم الحقوق المشتركة بين الزوجين، وكذلك حقوق كل منهما:

(١) الحقوق المشتركة بين الزوجين:

أ- حل العشرة الزوجية وثبوت نسب الأبناء إلى الزوج:

من مقاصد الزواج، إشباع ما أوجده الله - سبحانه وتعالى - في الذكر والأنثى من غريزة جنسية وشهوات ركبها الله - عز وجل - في الفطرة الإنسانية.. وهذا الإشباع لا يتم إلا بالمشاركة بين الزوجين.. فيحل للزوج من زوجته ما يحل لها منه.. ويكفي لخصوصية وقوة هذه العلاقة التي تكون بين الزوجين قوله تعالى:

* ﴿ ... هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ .... ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البقرة]. (لباس: ستر من الحرام).

أى أن كلا من الزوجين يسكن إلى صاحبه، ويكون من شدة قربه منه كالثوب الملتصق به الذي يستره.. وفي هذا التعبير القرآني ما فيه من الأدب وسمو التصوير لما بين الزوجين من القرب والمودة، ومن استتار كل واحد منهما بالآخر.

والعنصر الوجداني لهذه الغريزة الجنسية هو انفعال حبي يشعر به كل من الذكر والأنثى نحو الآخر.. والغاية الحيوية منها - علاوة على الاستمتاع - هو الاحتفاظ بالنوع.. أى أن الغريزة الجنسية متصلة بغريزة الأبوة والأمومة اتصالا تاما.. ومن حق الأبناء - ثمرة هذا الزواج - أن يثبت نسبهم إلى الزوج.

ب- ثبوت التوارث بينهما فور إتمام عقد الزواج:

إذا فارق أحدهما الحياة بعد إتمام عقد الزواج، ورثه الآخر، ولو لم يتم الدخول بينهما.. بدليل قوله سبحانه وتعالى:

* ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ... (١٢) ﴾ [النساء].

(الولد: المقصود به ذكر أو أنثى، واحدا كان أو أكثر، منكم كان أو من غيركم).

جـ- حرمة المصاهرة:

وتعني أن الزوجة تحرم على آباء الزوج وأجداده، وأبنائه، وفروع أبنائه وبناته.. كما أن الزوج يحرم عليه الزواج من أم زوجته وجدتها، وبناتها، ومن فروع أبنائها وبناتها.

د- المحافظة على الأسرار الزوجية:

من أوجب الواجبات المحافظة على الأسرار بين الزوجين. وعدم إفشاء ما جرى بينهما من أحاديث الجماع.. ففي الحديث الشريف:

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**» (رواه مسلم)(١).. (يفضي إلى المرأة: من الإفضاء، وهو مباشرة البشرة، وهو كناية عن الجماع) (ينشر سرها: أي يذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع، وما قبله من مقدمات الجماع).

هـ- العمل على استقرار الحياة الزوجية:

استقرار الحياة الزوجية معناه أن السعادة ترفرف على البيت، وتصونه من التقلبات.. ولا تتحقق السعادة إلا باتباع النقاط الأساسية التالية:

(١) م ٥٩٧ ص ٣٣٩.

- النية الصادقة والعزم الأكيد على تحمل أعباء الحياة الزوجية، وتخطي كل الصعاب بعزيمة قوية.. فالهدف من عقد الزواج هو الدوام إلى أن تنتهي الحياة.
- المعاشرة بالمعروف، وتبادل المودة والمحبة، والرحمة، والبر بين الزوجين.. وأن يكون كل منهما موضع احترام للآخر.
- أن يعمل كل منهما على إرضاء شريكه، ولا يحب ذاته.. فتكمل السعادة الزوجية.
- أن يكون هناك تقدير وتعاون وتفاهم، ومشاركة في النجاح والمشاعر.. فإن الشعور المتبادل بين الزوجين أساس السعادة الزوجية.
- المشاركة في السراء والضراء، والغنى والفقر، والصحة والمرض، ويتحمل كلاهما مصاعب الحياة، ليشعرا باللذة وينالا السعادة المرجوة، والثواب الأوفى من الله تعالى.
- التحلي بفضيلة الحلم والصبر والصفح والتسامح، وأن يتحمل كلاهما الآخر.. لأن الحياة مع طولها وتقلبات أحوالها لا تخلو من خلاف بين الزوجين، مهما تكن درجة كمالهما، واستقامة فكرهما.. فضبت النفس عند الغضب، وعدم تشبث كل طرف برأيه، وتبادل النصح، يهدي إلى الرشد، ويجعل الحياة الزوجية تسير إلى بر الأمان، وتحول دون التصدع والخلل والصدام.
- إحسان كل منهما للآخر، من حيث الكلام الطيب، والفعل الحسن، والسلوك المهذب.. مع فن المعاملة، من حيث الحوار بأدب، حتى في الخصومات والمنازعات.. والتحلي بالحكمة والوعي الكافي لفهم الطرف الآخر.. وبذا تسير مركبة الحياة الزوجية في طريقها نحو الوئام والسلام والسعادة.
- المساعدة على نجاح الطرف الآخر في التعليم، والثقافة، والحياة العملية، والكسب الحلال.

◆ الصدق والأمانة والإخلاص في المعاملة، فلا غش ولا خداع بين الزوجين.. ولا بد أن تكون الثقة متبادلة بينهما.. والوفاء بكل ما أمرت به شريعة الإسلام.

◆ الاعتراف بأن كل إنسان في طبعه وعاداته من المزايا والحسنات، كما أن فيه من العيوب والسيئات.. والمهم هو القدرة على تقبل الطرف الآخر كما هو وليس تغييره.. والتكيف معه.. ووجوب الموازنة بين المزايا والعيوب. للحديث الشريف:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة، إن كَرِهَ منها خُلُقاً رضي منها غيره»** (رواه مسلم)[1].. (يَفْرَكَ: أي يبغض).

◆ العمل على كسر الشعور بالملل، بأن يسافرا معا لأحد الأماكن التي تعيد الذكريات الجميلة.. أو يخرجا معا للنزهة أو المشاركة في رياضة معينة، أو المناقشة الثقافية عن كتاب أو فيلم أو مسرحية.. وغير ذلك مما يجدد الحيوية، ويدخل السرور والاطمئنان، ويزيد الشعور بالمشاركة الوجدانية والعقلية مع شريك الحياة.

◆ المشاركة في تربية الأبناء، وتقويم سلوكهم، وتنشئتهم النشأة الصالحة.

◆ المساواة في الحقوق والواجبات هي أساس العلاقة بين الزوجين، وتنظيم الحياة بينهما.. فالرجل أقدر على العمل والكدح والكسب خارج المنزل.. والمرأة أقدر على تدبير المنزل، وتيسير أسباب الراحة المنزلية، ورعاية الأبناء.. فيكلف الزوج ما هو مناسب، وتكلف الزوجة ما هو من طبيعتها.. ولكن المعاشرة بالمعروف، تلزم أي طرف بمعاونة الآخر خاصة إذا طرأت ظروف على أحدهما، كمرض، أو فقر، أو زيادة الأعباء المنزلية.. وقد تكون المعاونة بدافع الشهامة، وزيادة المحبة وإدخال السرور على الطرف الآخر.. وفي الحديث الشريف:

---

(١) م ٢٧٥ ص ١٢٤.

* عن الأسود بن يزيد رضي الله عنه قال: سُئلت السيدة عائشة - رضي الله عنها - ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟.. قالت: كان يكون في مهنة أهله - يعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة (رواه البخاري)[1].

(٢) حقوق الزوج على زوجته:

للزوج حقوق على زوجته.. نذكر منها ما يلي:

أ- الطاعة في غير معصية الله عز وجل:

من حق الزوج على زوجته أن تطيعه في غير معصية.. فحق الطاعة مقيدا بالمعروف.. فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. فإذا أمرها بمعصية وجب عليها أن تخالفه.

وطاعة المرأة لزوجها من الأمور التي أكدتها شريعة الإسلام. ففي الحديث الشريف:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال «**لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقّه عليها**» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)[2].

ومن طاعة المرأة لزوجها، ألا تصوم نافلة إلا بإذنه، وألا تحج تطوعا إلا بإذنه، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه**» (رواه الشيخان)[3].. (المقصود بالصوم هنا هو صوم التطوع).

ومن حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسها..

(١) خ ٦٠٦ ص ٢٢٧.
(٢) رص ٢٨٥ ص ١٢٧.
(٣) خ ١٨٦٠ ص ٤٣٥.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**» (رواه البخاري)[1].. (وهذا كناية عن الجماع، وهو أدب من آداب الإسلام الرائعة في التعبير).

ب- حفظ كرامة الزوج في حضوره وغيابه:

على الزوجة أن تحفظ زوجها في نفسها، وتحفظ ماله.. وفي أثناء غيابه، لا تُدخل بيته أحدا يكره زوجُها دخولَه إلا بإذنه.

* عن عمر بن الأحوص الجُشميّ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول: «**... فحقكم عليهن - أي: فحق الرجال على زوجاتهم - ألا يوطئن فُرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون..**» (جزء من حديث رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)[2].

وقد مدح الله - سبحانه وتعالى - الزوجات اللاتي يحفظن كرامة أزواجهن.. فقال تعالى:

* ﴿... فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ...(٣٤)﴾ [النساء].

فالنساء الصالحات المستقيمات على شرع الله، مطيعات لله، ولأزواجهن، وحافظات لكل ما غاب عن علم أزواجهن، بسبب مراقبتهن لخالقهن، وأدائهن لما أمرهن الله تعالى بحفظه.. وهذا أسمى ما تكون عليه المرأة، وبه تدوم الحياة الزوجية وتسعد.

وقد جاء في الحديث الشريف:

* عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**» (رواه ابن ماجه)[3].

---

(١) خ ١٣٦٩ ص ٨٠٣.
(٢) ت ١١٦٣ ص ١٥٣.
(٣) جه ١٩٣٠ ص ٢٧٠.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ النساء خير؟.. قال: «التي تَسُرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تُخَالِفُهُ في نفسها ومالها بما يكره» (رواه النسائي)(١).

ومن عظم هذا الحق أن قرن الإسلام طاعة الزوج بطاعة الله..

* عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» (رواه الترمذي)(٢).

وأكثر ما يدخل المرأة النار، عصيانها لزوجها، وكفرانها إحسانه إليها:

* عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء يكْفُرن العشير، لو أحسنْتَ إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط» (رواه البخاري)(٣).

جـ- القوامة:

قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

* ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ .... (٣٤) ﴾ [النساء].. (قوامون: قيام الولاية على الرعية).

ولفظ «قوامون» جمع قوَّام.. مأخوذ من القيام على الشيء وحفظه ورعايته.. والمعنى: أن الرجال يقومون على شئون النساء بالحفظ، والرعاية، وحمايتهن من كل ظلم أو عدوان يقع عليهن.. ويقوم الآباء على رعاية بناتهن، والمحافظة على أنفسهن وأخلاقهن ودينهن.

وليست القوامة مطلق الرياسة، بل إن الرياسة تسمى قوامة إذا كان الرئيس يقوم على رعاية المرءوس والمحافظة عليه وعلى حقوقه وواجباته.

وقيام الرجل على شئون الزوجة ليس فيه رياسة، وإنما فيه حماية، ورعاية وهو من قبيل توزيع التكليفات.. فإذا كان للرجل رياسة عامة، فإن للمرأة أيضا رياسة نوعية.

(١) ن ٣٢٤٤ ص ٥٢٧.
(٢) ت ١١٦١ ص ١٥٢.
(٣) خ ٥٦٥ ص ١٣٦.

* عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته» (رواه الشيخان)(١).

فالقوامة هنا ليس المقصود بها مطلق الرياسة التي قد تقوم على الظلم، والقهر، والغرور، والعدوان على حقوق الغير، وإنما المقصود بها: الرعاية والحفظ لحقوق النساء، والدفاع عنهن، وحمايتهن من كل إساءة تقع عليهن، وصيانتهن من كل ما يتنافى مع كرامتهن، وغير ذلك مما تقتضيه مصلحتهن، وتقتضيه المسئولية الضخمة التي حمَّلها الله - تعالى - للرجال.

ومسألة قوامة الرجل على المرأة بهذا المقصود حكم أصدره الله تعالى، خالق الرجال وخالق النساء، وخالق هذا الكون.. وعلى كل عاقل مكلف - سواء أكان ذكرا أم أنثى - عندما يسمع هذا الحكم أن يقول: سمعنا وأطعنا، امتثالا لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى سببين لهذه القوامة:

❖ سبب وهبي: يتضح في قوله تعالى:

* ﴿... بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ... ﴿٣٤﴾﴾ [النساء].

وذلك لما وهب الله الرجال من قوة الجسم، وبالتكاليف الشاقة كالجهاد والدفاع عن الحقوق التي تتعلق بالأنفس والأموال والأعراض، وبتحمل أعباء الحياة وما يستتبع ذلك من دفاع عن النساء إذا ما تعرضن لسوء.. هذا علاوة على اختصاص الرجال بالنبوة والرسالة.. أي أن الله تعالى فضل الرجال في «القدرة» و «العلم».

---

(١) خ ١٠٥ ص ١٢٢.

وقد توجد امرأة أوسع علما وأسلم عـقلا، وأقوى بدنا من بعض الرجال. . ولكن إذا راجعنا التاريخ، نجـد أن قادة الحروب من الرجال، ومشـاركة النساء في بعض الحروب تتعلق بمداواة الجرحى، وتقديم المساعدة للمقاتلين.

والمرأة بطبيعتها ليست محبة للخـصام والقتال، وإنما هي محبة للحياة الآمنة المطمئنة الجميلة الهادئة.

◆ سبب كسبي: يتضح في قوله تعالى:

* ﴿ ...وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ .... ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء].

فقد كـفل الإسلام للمرأة أسباب الرزق، ممـا يصونها ويحميـها من شرور الكدح في الحياة. . فـأعفاها من كافة أعـباء المعيشـة وألقاها جميعـها على كاهل الرجل.

فما دامت المرأة غير متزوجة ولا معـتدة من زوج، فنفقتها واجبة على الأب أو من يكفلها. . وإذا ما وافقت على الزواج، فإن المهـر ملكا خالصا لها، وإعداد مسكن الزوجية وخلافـه على كاهل الزوج (إلا إذا تطوعت في المساهمة في إعداد المسكن).

وإذا ما تزوجت، فلها شخصيتهـا المدنية الكاملة، فلا يتحول لقبها إلى اسم زوجها كما يفـعل الغرب. . ولها ثروتها الخاصة، وذمتها الماليـة. . وجميع الأعباء الاقتصادية التي تتعلق بالإنفاق على الزوجـة والأبناء وغير ذلك من نفقات الأسرة كلها على كاهل الزوج (إلا إذا تطوعت بنفسها للمساعدة في ذلك).

وكذلك في حال الطلاق، يتـحمل الزوج وحده جميع الأعبـاء الاقتصادية، فعليه مـؤخر الصداق لزوجتـه، ومتعة الطلاق، وعليه نفـقتها من مـأكل ومشرب وملبس ومسكن ما دامت في العدة، وعليه نفقة أبنائه من حضانة وتربية.

ومن كل ما سبق نرى أن شريعة الإسلام قد وضعت المرأة في أعلى منزلة - قبل الزواج، وفي أثنائه، ومن بـعده - وسمت بها في هـذه الحالات جميـعا إلى مستوى رفيع لم تصل به إلى مثله، بل لم تصل إلى ما يقرب منه أية شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه وحديثه.

والخلاصة، أن مما لا يختلف عليه عاقلان، أن الأسرة التي تتكون في العادة من زوج وزوجة وأبناء، هي لون من ألوان التجمع الذي يجمع بين الرجال والنساء.. ومن مستلزمات الحياة أن كل تجمع لابد له من رئاسة تتولى وتتحمل مسئولية هؤلاء الأفراد.. وهذه الرئاسة يكون لها القرار الأخير في شئون الأسرة بعد استشارة من يصلح للاستشارة من أفرادها بأناة وتواضع وحكمة.

وقد حكم الله - سبحانه وتعالى - وهو أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين، وخالق الناس أجمعين، بأن المهيأ لقيادة الأسرة هو الرجل بسبب ما أعطاه الله - عز وجل - من خصائص معينة، وبما حمَّله من مسئوليات ضخمة تتعلق برعاية هذه الأسرة والإنفاق عليها.

وتشارك المرأة - في حدود تخصصها وخصائصها - الرجل في رعاية هذه الأسرة، وفي تربية أفرادها، وفي توجيههم إلى ما يسعدهم.. وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. وهذا حكم الله عز وجل.

* ﴿ ... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾ [المائدة].

د- إدخال السرور على قلب الزوج:

من حق الزوج على زوجته أن تدخل السرور على قلبه.. من المنظر الجميل، والملبس الحسن، والرائحة العطرة، والزينة بأنواعها، والكلمة الطيبة، والعقل الناضج، وحسن السمع والطاعة، وتدبير المنزل، ورعاية الأبناء، وغير ذلك مما تعرفه الزوجة خلال عشرتها لزوجها.. كما يجب أن تمتنع عن مقارفة أي شيء يضيق به زوجها، فلا تعبس في وجهه، ولا تبدو في صورة يكرهها.. وهذا من أعظم الحقوق التي تسعد قلب الرجل.

ويشير القرآن الكريم إلى جانب من خصائص المرأة أنها بمثابة الزينة التي يسعى الرجل للحصول عليها، لتكون محل سكنه ومودته ورحمته.. وذلك بسبب ما أعطاها الخالق - عز وجل - من خصائص ومن هيئة جميلة.. قال سبحانه وتعالى:

* ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران].

ولفظ «زُيِّنَ» من التزيين وهو تصيير الشيء حسنا بحيث تهفو إليه النفوس، وتميل إلى الحصول عليه.. ولفظ «الشهوات» جمع شهوة، ومعناها ثوران النفس وميلها نحو الشيء الذي يشتهيه الإنسان.. ولا شك أن المحبة والميل بين الرجال والنساء شيء فطري في الطبيعة الإنسانية.. والزينة من الأشياء التي تساعد وتزيد من هذه المحبة والميل إلى النساء.

ولقد فطنت المرأة ذات الحاسة النقية إلى ما يرضي الرجل عن امرأته.. وها هي «أمامة بنت الحارث» توصي ابنتها «أم إياس بنت عوف» ليلة زفافها إلى زوجها فتقول لها: «أي بنيتي: إن النساء للرجال خلقن، ولهن خُلِق الرجال، وإنك قد فارقت البيت الذي فيه نشأت إلى بيت لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة، يكن لك عبدا.. يا ابنتي: احملي عني وصايا تكن لك ذخرا: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحُسْن، والماء أطيب الطِّيب.

واحذري أن تفشي لزوجك سرًّا، فإنك إن أفشيت سره، لم تأمني غدره، ثم اتقي الفرح إن كان ترحا (أي: مهموما)، والكآبة عنده إن كان فرحا.

وكوني أشد ما تكونين له إعظاما، يكن أشد ما يكون لك إكراما، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يختار لك».

هذه بعض وصايا أم من عصر الجاهلية لابنتها في ليلة زفافها، وهي وصايا حكيمة، لو طبقتها كل زوجة مع زوجها لعاشا - بفضل الله تعالى - في وفاق وهناء وسعادة.

وقال أحد الأزواج لزوجته:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المُغَيَّبُ
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالقوى ويأباك قلبي، والقلوب تقلَّب
فإني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

(٣) حقوق الزوجة على زوجها:

للزوجة حقوق واجبة على الزوج.. بعضها حقوق مالية كالمهر والنفقة، والبعض حقوق غير مالية.. وفيما يلي نذكر أهم حقوق الزوجة على زوجها:

أ- المهر (أو الصداق):

من حسن رعاية الإسلام للمرأة واحترامه لها، أن فرض على الزوج المهر حقا خالصا للزوجة، وليس لأبيها ولا لأقرب الناس إليها أن يأخذ شيئا منه إلا في حال الرضا منها.. قال سبحانه وتعالى:

* ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾﴾ [النساء].. (صدقاتهن: مهورهن) (نحلة: عطية منه تعالى).

والخطاب موجه للأزواج أو الأولياء، وكذلك لغيرهم من الحكام الذين إليهم المرجع في رد الحقوق إلى ذويها، والضرب على أيدي المعتدين والطامعين في حقوق النساء.

فهذه المهور فرضها الله تعالى للزوجات، ولا يقابلها عوض، ولا يجوز أن يطمع فيها طامع، إلا إذا تنازلت المرأة عن شيء منها عن سماحة ورضا.. أما إذا أعطت الزوجة شيئا من مالها حياء أو خوفا أو خديعة، فلا يحل أخذه.. لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء].. (بهتانا: باطلا وظلما) (أفضى بعضكم: وَصَلَ) (ميثاقا غليظا: عهدا وثيقا).

وقد جاءت امرأة مع زوجها إلى القاضي في عطية أعطتها لزوجها وهي تطلب بعد ذلك الرجوع فيها.. فأمر القاضي برد العطية لها.. وقال للزوج: لو طابت نفسها لما رجعت فيها.. فالنساء يعطين رغبة ورهبة.. والصداق ملك لها ومن حقها أن تتصرف فيه كيفما تشاء.

هذا المهر المفروض للمرأة، يطيب نفسها.. ويرضيها بقوامة الرجل عليها، إذ تشعر أنه قادر على حمايتها والإنفاق عليها... هذا بجانب توثيق الصلات، وإيجاد أسباب المودة والرحمة.

ولم تجعل شريعة الإسلام حداً لقلة المهر أو كثرته، إذ إن الناس يختلفون في الغنى والفقر، ويتفاوتون في السعة والضيق.. ولكل جهة عاداتها وتقاليدها.. فتركت الشريعة التحديد ليعطي كل فرد على قدر طاقته، وحسب حالته، وعادات عشيرته.. وكل النصوص التي جاءت تشير إلى أن المهر لا يشترط فيه إلا أن يكون شيئا له قيمة، بغض النظر عن القلة والكثرة.. فيجوز أن يكون خاتما من حديد، أو قدحا من تمر، أو تعليما لكتاب الله، وما شابه ذلك، إذا تراضى عليه المتعاقدان.. أما عن الكثرة، فإنه لا حدَّ لها.

ب- النفقة:

مثلما جعل الإسلام المهر حقا للزوجة، جعل النفقة كذلك حقا لها، وأن تكون من حلال.. والمقصود بالنفقة هنا هو توفير ما تحتاجه الزوجة من طعام وشراب ودواء، ومسكن وملبس وغيرها - دون التطلع إلى أموالها الخاصة حتى لو كانت الزوجة غنية أو ذات مال - إلا إذا تنازلت المرأة لزوجها عن بعض هذه النفقات برضاها واختيارها.. فهذا التنازل منها شيء حسن؛ لأن الحياة الزوجية تزداد مودة ومحبة ورحمة بتعاون الزوجين على تحقيق مطالب الحياة.

فالنفقة من حق الزوجة على زوجها في حدود قدرته واستطاعته.. ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.. فإذا أعسر الزوج، فعلى الزوجة أن تصبر، بل وعليها ألا تطلب ما لا يقدر عليه؛ لأن ذلك تكليف له بما لا يطيق.. لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق].. (ذو سعة: غنى وطاقة) (قُدر عليه: ضُيِّقَ عليه).

والنفقة واجبة على الزوج بالكتاب والسنة.. أما وجوبها بالكتاب، قال تعالى:

* ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ .... ﴿٦﴾ ﴾ [الطلاق].. (وجدكم: وُسْعِكُمْ وطاقتكم).

* ﴿ ... وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ... ﴿٢٣٣﴾ ﴾ [البقرة].. (المولود له: الأب) (الرزق في هذا الحكم: الطعام الكافي) (الكسوة: اللباس وغيره) (المعروف: المتعارف عليه في عرف الشرع من غير تفريط ولا إفراط) (وسعها: طاقتها).

وعن وجوب النفقة بالسُّنة:

* عن عمرو بن الأحوص الجُشمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرا.. ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا: فأما حقُّكم على نسائكم فلا يوطئن فُرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون.. ألا وحقُّهن عليكم أن تحسنوا إليهن كسوتهن وطعامهن**» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)(1).

* وعن معاوية القُشيري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طَعِمْتَ، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**»(2).. (رواه أبو داود) (لا تقبح، أي: لا تقل قَبَّحَكِ الله).

---

(1) رص ٢٧٦ ص ١٢٤.

(2) رص ٢٧٧ ص ١٢٤.

* وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قالت هندُ أم معاوية - رضي الله عنها - لرسول الله ﷺ، إن زوجي أبا سفيان رجل شحيح، فهل عليَّ جناح أن آخذ من ماله سرًّا؟ قال ﷺ: «خذي أنت وبَنُوكِ ما يكفيك بالمعروف» (رواه البخاري)(١).

فقد أباحت شريعة الإسلام للزوجة أن تأخذ من مال زوجها بدون إذنه ما هي في حاجة ضرورية إليه لها ولأولادها، إذا كان زوجها بخيلا ولا يعطيها ما يجب إعطاؤه لها من أجل ضروريات الحياة.. وإذا تركها زوجها بلا نفقة بغير حق، فلها أن تطلب من القاضي فرض نفقة لها.

وقد جعل الله نفقة الزوج على زوجته وأسرته من الأعمال الصالحة الباقية عند الله تعالى.. لقول رسول الله ﷺ:

* عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنهما -، عن النبي ﷺ قال: «نفقة الرجل على أهله صدقة» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)(٢).

* وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «كفي بالمرء إثما أن يُضَيِّعَ من يقوت» (حديث صحيح رواه أبو داود وغيره)(٣).

* وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حديث طويل، أن رسول الله ﷺ قال له: «وإنك لن تُنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرْتَ بها حتى ما تجعل في فيْ امرأتك» (متفق عليه)(٤).. (فى في امرأتك، أي: في فمها).

أما عن سبب وجوب النفقة على الزوج لزوجته؛ لأن الزوجة بمقتضي عقد الزواج الصحيح، تصبح مقصورة على زوجها، ويجب عليها طاعته، والقرار في بيته، وتدبير منزله، وحضانة الأبناء وتربيتهم.. وعليه نظير ذلك أن يقوم بكفايتها والإنفاق عليها ما دامت الزوجية بينهما قائمة.

(١) خ ١٠٤١ ص ٢٤٤.
(٢) ت ١٩٦٦ ص ٢٦٩.
(٣) رص ٢٩٤ ص ١٢٩.
(٤) ر ص ٢٩٢ ص ١٢٨.

جـ- حسن المعاشرة:

من حقوق الزوجة على زوجها: معاملتها بـالمعروف معاملة حسنة، تتوفر فيها كل الفضائل التي منها: إكرامـها، وحسن معاشرتها، ومعاملتـها المعاملة الطيبة التي تدخل الفرح والارتياح النفسي على عواطفها ومشاعرها.. وتقـديم ما يمكن تقديمه إليهـا مما يؤلف قلبهـا، مع الملاطفة، والتـراحم، والتعـاون، والوفاء، والتـشاور، والثقة، وحسن الظن، والمشاركة في السراء والضراء، وتبادل المودة والمحبة، فضلا عن تحمُّل ما يصدر منها أو الصبر عليه.. ويكفي لذلك قول الله سبحانه وتعالى:

* ﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء].

فعليكم أيهـا الرجال معـاشرة زوجاتكم بالمعروف، فـإن كرهتم شيـئا منهن فحاولوا أن تعالجوه بالرفق واللين، فإنه عسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله - تعالى - لكم في الصبر عليه خـيرا كثيرا في الدنيا والآخرة.. فطيِّـبوا أقوالكم لزوجاتكم، وحسِّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم.. فكما تحب ذلك منها، فافعل مثله.

ومن مظاهر اكـتمال الخلـق، وكمال إيمان المسـلم، أن يكون المرء رقيـقا مع أهله، مؤنسا لهن، ضحوكا معـهن، حريصا على إدخال السرور على نفوسهن.. فإن معـاملة الزوج لزوجته معـاملة كريمة، دليل حسن خلقه، وعلى سـعة علمه، وعلى رجاحة عقله، وعلى تكامل شخصيته.

* عن عبـد الله بن عمرو - رضي الله عـنهما - عن رسـول الله ﷺ قال: «**إن من خياركم أحاسنكم أخلاقا**» (رواه البخاري)(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «**أكـمل المؤمـنين إيمانا أحسنهم خـلقا، وخيـاركم خياركم لـنسائهم**» (رواه الترمذي وقـال حديث حسن صحيح)(٢).

* وعن ابن عـباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**خـيركم خـيـركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» (رواه ابن ماجه)(٣).

---

(١) خ ١٤٩١ ص ٣٣٤. (٢) ت ١١٦٢ ص ١٥٢.

(٣) جه ٢٠٥٣ ص ٢٨٧.

* وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**كل معروف صدقة**» (رواه البخاري)(١).

وإكرام المرأة دليل الشخصية المتكاملة، ومن إكرامها أن يرفعها إلى مستواه.. وأن يتجنب أذاها ولو بكلمة نابية.. وإهانتها دليل على الخسة واللؤم.

* عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**» (رواه البخاري)(٢).

وكان من صفات الرسول ﷺ - ولنا فيه أسوة حسنة - أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويضاحك نساءه.

* عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثنا حتى أرهقني اللحم سابقته فسبقني، فقال: «**هذه بتلك**» (رواه ابن ماجه)(٣).. (أي: سبقته عائشة - رضي الله عنها - عندما كانت خفيفة الوزن، أما عندما امتلأت وأرهقها اللحم سبقها ﷺ).

ومن أقوال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ينبغي للرجل أن يكون مع زوجته مثل الصبي، فإذا جَد الجِد وجَدَتْهُ رجلا.

وعلى الزوج ألا يتصور الكمال في زوجته.. وعليه أن يتقبلها على ما هي عليه.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**» (متفق عليه)(٤).

وفي هذا إشارة إلى أن خُلق المرأة فيه من المزايا والحسنات، كما أن فيه من العيوب - وكذلك الرجل - فلا يوجد إنسان كامل مُبرأ من النقص.. والزوج قد

(١) خ ٢٠٢٤ ص ٤٦٨.
(٢) خ ٢٠٢٥ ص ٤٦٨.
(٣) جه ٢٠٥٥ ص ٢٨٧.
(٤) رص ٢٧٣ ص ١٢٣.

يغض الطرف عن مزايا الزوجة وفضائلها، ويتجسد في نظره بعض ما يكره من خصالها.. فينصح الإسلام بوجوب الموازنة بين مزاياها وعيوبها.. وأنه إذا رأى منها ما يكره، فإنه يرى منها ما يحب.. وعلى ذلك فلا بد من مصاحبتها على ما هي عليه، ومعاملتها كأحسن ما تكون المعاملة.. وذلك لا يمنع من إرشادها إلى الصواب إذا اعوجَّت في أمر من الأمور.. وفي الحديث الشريف الصحيح:

* عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقًا رضي منها غيره»** (رواه مسلم)(١).. (لا يَفْرَكْ، أي: لا يكره ولا يبغض).

د - الغَيْرة المتزنة على الزوجة:

من حقوق الزوجة على زوجها، صيانتها وحفظها من كل ما لا يليق، مما يخدش شرفها، ويمتهن كرامتها، ويعرض سمعتها لقول السوء.

فغيرة الرجل على أهله أمر محمود في الطبع وفي الشرع على السواء، ولكن بشرط أن توزن تلك الغيرة بميزان الاعتدال.. فالإفراط فيها وسوسة وريبة، وقلق وحيرة، فإذا بالحياة جحيم لا يطاق.. والتفريط فيها خلل في الشعور، وتبلد في الإحساس.

* عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه»** (متفق عليه)(٢).

* وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله. فأما ما يحب الله فالغيرة في الريبة، وأما ما يكره فالغيرة في غير الريبة»**.. (رواه ابن ماجه)(٣).. (الريبة، أي: الشك).

فالمطلوب من الرجل أن يغار على زوجته، بشرط الاعتدال في هذه الغيرة، فلا يبالغ في إساءة الظن بها، ولا يسرف في تقصي كل حركاتها وسكناتها، ولا يحصي جميع عيوبها.. فإن ذلك يفسد العلاقة الزوجية، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل.. إذ تشعر الزوجة أنها متهمة دائما، وأن الزوج يفترض فيها سوء الخلق، وأن تصرفاتها كلها موضع شك.

---

(١) رص ٢٧٥ ص ١٢٤.　(٢) ت ١١٦٨ ص ١٥٣.
(٣) جه ٢٠٧٤ ص ٢٩٠.

قال عليّ كرم الله وجهه: لا تكثر الغيرة على أهلك، فتُرمى بالسوء من أجلك.

هـ- تزين الرجل لزوجته:

من المستحب أن يتزين الرجل لزوجته.. فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي.. لأن الله تعالى يقول:

* ﴿ ... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ... (٢٢٨) ﴾ [البقرة].

وزينة الرجل تتفاوت تبعا للأحوال.. فربما كانت زينة تليق في وقت، ولا تليق في وقت آخر.. وزينة تليق بالشباب، وأخرى تليق بالشيوخ.. والمهم هو اللياقة والحذق.. أما النظافة والتطهر، وتقليم الأظافر وفضول الشعر، والطيب، فهو أمر واضح ومتفق عليه من الجميع، حتى يكون الرجل عند امرأته في زينة تسرها، ويعفها عن غيره من الرجال.

و- العدل بين الزوجات:

أباح الإسلام للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة.. إلا أن الإسلام اشترط في ذلك العدل بين الزوجات سواء في النفقة أو المبيت وغيره.

والعدل بين الزوجات حق من حقوق الزوجة في الأمور الظاهرة المقدور عليها، أما العدل في المحبة وفي الميل القلبي، فهذا أمر نفسي ولا يستطيع الرجل التحكم فيه.. ولذا قال سبحانه وتعالى:

* ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ... (١٢٩) ﴾ [النساء].. (فتذروها كالمعلقة، أي أنها في هذه الحالة تكون كالمرأة التي لا هي بذات زوج فتنال منه حقوقها الزوجية، ولا هي بمطلقة فترجو من الله أن يرزقها بالزوج الذي يكرمها).

ولقد كان رسول الله ﷺ يعدل بين نسائه عدلا تاما فيما يتعلق بالحقوق الزوجية.

* عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: «اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تَمْلِك ولا أملك» (رواه الترمذي)[١].

---

(١) ت ١١٤٠ ص ١٥٠.

ثامنا: تعدد الزوجات

(١) من رحمة الله بالإنسان وفضله عليه أن أباح له تعدد الزوجات، وقصره على أربع.. فقد كان الناس في الجاهلية، يتزوج الواحد منهم بما يشاء من النساء.. فحرمت شريعة الإسلام الزواج بأكثر من أربع زوجات في وقت واحد، بدليل قوله تعالى:

* ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء].. (تقسطوا: تعدلوا) (طاب: حلّ) (أدنى: أقرب) (الا تعولوا: لا تجوروا أو تكثروا عيالكم).

فإذا خاف الجور وعدم الوفاء بما عليه من تبعات، حُرِّم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة.

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة روايات منها: أن بعض الناس كان يتزوج الفتاة اليتيمة التي صار وصيا عليها - بعد أن مات أبوها - دون أن يعطيها حقوقها، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأباح لهم الزواج من غيرهم - اثنين أو ثلاثا أو أربعا - فإن خشيتم ألا تعدلوا بينهن فاكتفوا بواحدة أو ما ملكت أيمانكم.. أي بما عندكم من السراري (النساء اللائى كن يؤسرن في حالة الحرب) أو الإماء (اللاتي كن يشترين من الأسواق).. وقد أبطل الإسلام بالتدريج ملك اليمين حق قضى على هذه العادات التي كانت متفشية في المجتمعات الجاهلية، وأعطى المرأة حريتها كاملة غير منقوصة.

(٢) الآية الكريمة وإن كانت أباحت للمسلم أن يتزوج بأكثر من واحدة، إلا أنها في الوقت نفسه قد أمرت بالعدل بين الزوجين أو الثلاث أو الأربع في النفقة وفي المبيت وفي غير ذلك مما تستلزمه الحياة الزوجية.. ففي الحديث الشريف:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان عند الرجل امرأتان، فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل**» (رواه الترمذي)(١).

(١) ت ١١٤١ ص ١٥٠.

* وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن النبي ﷺ كان يَقْسم بين نسائه فيعدل، ويقول: «اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلُمني فيما تَمْلك ولا أملك» (رواه الترمذي)(١).

(٣) ومن الحكم التي من أجلها أُبيح تعدد الزوجات: أن الزوجة قد تعجز عن أداء الواجبات الزوجية بسبب مرضها مرضا لا يرجى شفاؤها منه، أو قد تكون الزوجة عقيما لا تلد.. وهي مع ذلك راغبة في استمرار الحياة الزوجية.. والزوج عنده الوفاء للزوجة التي ارتبط بها وارتاح إليها، وفي نفس الوقت راغب في إنجاب الأولاد.. فهل من الخير للزوج أن يرضى بهذا الواقع الأليم، فيصطحب هذه العقيم دون أن يولد له، أو يصطحب هذه المريضة دون أن يكون له من يدبر أمر منزله، فيحتمل هذا الغرم وحده؟!.. أم من الخير أن يفارقها وهي راغبة في المعاشرة فيؤذيها بالفراق؟!.. أم يوفق بين رغبتها ورغبته، فيتزوج بأخرى ويبقي عليها فتلتقي مصلحته ومصلحتها معا؟!.. فالحل الأخير هو أهدى الحلول وأحقها بالقبول، ولا يسع صاحب ضمير حي وعاطفة نبيلة إلا أن يتقبله ويرضى به.

(٤) كثيرا ما تتعرض الدول لأخطار الحروب، فتفقد عددا كبيرا من الرجال.. فلا بد من رعاية أرامل هؤلاء الرجال.. ولا سبيل إلى حسن رعايتهم إلا بتزويجهن.

(٥) قد يكون عدد الإناث في شعب من الشعوب أكثر من عدد الذكور، كما يحدث عادة في أعقاب الحروب.. بل تكاد تكون الزيادة في عدد الإناث مطردة في أكثر الأمم حتى في أحوال السلم، نظرا لما يعانيه الرجال غالبا من الاضطلاع بالأعمال الشاقة التي تهبط بمستوى السن عند الرجال أكثر من الإناث.

وهذه الزيادة في عدد الإناث توجب التعدد في الزوجات، لكفالة العدد الزائد وإحصانه، وإلا اضطررن إلى الانحراف واقتراف الرذيلة، فيفسد المجتمع

---

(١) ت ١١٤٠ ص ١٥٠.

وتنحل أخلاقه. . أو إلى أن يقضين حياتهن في ألم الحرمان وشقاء العنوسة، فيفقدن أعصابهن، وتضيع ثروة بشرية كان يمكن أن تكون قوة للأمة وثروة تضاف إلى مجموع ثرواتها.

(٦) استعداد الرجل للتناسل أكثر من استعداد المرأة. . فهو مهيأ للعملية الجنسية منذ البلوغ إلى سن متأخرة، بينما المرأة لا تتهيأ لذلك مدة الحيض والنفاس، يضاف إلى ذلك ظروف الحمل والرضاع، وفترات المرض التي يتعرض لها كل إنسان. . فإذا كانت الزوجة في هذه الحالات عاجزة عن أداء الوظيفة الزوجية، فماذا يصنع الرجل أثناء هذه الفترات؟!. . وهل الأفضل له أن يضم إليه حليلة تعف نفسه وتحصن فرجه أم يتخذ خليلة لا تربطه بها رابطة إلا الرابطة التي تربط الحيوانات بعضها ببعض. مع ملاحظة أن الإسلام يحرم الزنا أشد تحريم، لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

(٧) هذه بعض الأسباب الخاصة والعامة التي لاحظها الإسلام، وهو لا يشرع لجيل خاص من الناس، ولا لزمن معين محدود، وإنما يشرع للناس جميعا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. . فمراعاة الزمان والمكان لها اعتبارها، وتقدير ظروف الأفراد لابد وأن يحسب حسابها، وكذلك الحرص على صالح الأمم.

وقد لوحظ في المجتمعات التي تحرم تعدد الزوجات الآتي:

- شيوع الفسق، وانتشار الفجور، حتى زاد عدد البغايا عن عدد المتزوجات في بعض الجهات.
- كثرة المواليد من السفاح. . وزيادة الأطفال غير الشرعيين - خاصة في الدول الغربية - مما يدل على انحطاط مستوى الأخلاق.
- أثمرت الاتصالات الجنسية الخبيثة بعض الأمراض البدنية والعقد النفسية والاضطرابات العصبية.
- انحلت عُرى الصلات الوثيقة بين الزوج وزوجته، واضطربت الحياة الزوجية وانفكت روابط الأسرة حتى لم تعد شيئا ذا قيمة.

- أصبحت الوحدة الأساسية للمجتمع بالبلاد الغربية هي «الفرد».. بينما «الأسرة» هي الوحدة الأساسية في الدول الإسلامية والشرقية.. وهذا أحد الأسباب التي تثير الغرب على الدول الإسلامية.. ويحاول الغرب جاهدا أن يعمل على تفكيك الأسرة المسلمة.

- ضاع النسب الصحيح، حتى أن الزوج لا يستطيع الجزم بأن الأطفال الذين يقوم على تربيتهم هل هم من صلبه أم لا.

- صار من المألوف بالدول الغربية أن يحمل الطفل لقب والدته وليس أبيه، بدعوى أنها حرية في تسمية الابن أو البنت.. وربما يكون السبب الخفي وراء انتشار هذه الظاهرة هو عدم التأكد من نسب الطفل الحقيقي.

- أصبح الشغل الشاغل لكثير من الأبناء في الدول الغربية هو محاولة البحث عن أبيه الحقيقي، أو أمه التي ولدته.

أما عن المشاكل التي تحدث بسبب تعدد الزوجات دون ضرورة لذلك، فسوف نذكرها بعون الله في موضعها بالأبواب التالية.

تاسعا: الزواج من الكتابية

يحل للرجل المسلم أن يتزوج من نساء أهل الكتاب - اليهود أو النصاري - لقوله تعالى:

* ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ... ﴿٥﴾﴾ [المائدة].. (المحصنات: العفيفات) (أجورهن: مهورهن) (محصنين: متعففين بالزواج) (غير مسافحين: غير مجاهرين بالزنا) (متخذى أخدان: مصاحبي خليلات للزنا سرا).

وحكمة إباحة المتزوج من الكتابية - خاصة في العصور الأولى للإسلام - ترجع إلى الأسباب التالية:

(١) المسلم يعترف بدين الكتابية.. حيث الإيمان بجميع الأديان جزء لا يتجزأ من إيمان جميع المسلمين.

(٢) الكتابية - التي تؤمن بالنبوة العامة، وبالحياة الآخرة، وتدين بوجوب عمل الخير وتحريم الشر - لا يمنعها من الإيمان بنبوة خاتم الأنبياء إلا الجهل بما جاء به، وكونه قد جاء بمثل ما جاء به النبيون وزيادة اقتضتها حال الزمان في ترقيه.

(٣) زواج الرجل المسلم للكتابية، ومعاشرتها بما أمر به الإسلام، يجعلها تقتنع بأحقية هذا الدين.. فيكمل إيمانها، ويصح إسلامها.. وقد تنشر تعاليم الإسلام بين عشيرتها، كما حدث من زواج النبي ﷺ من السيدة صفية بنت حيي اليهودية.

(٤) الزواج من الكتابيات يزيل الحواجز بين أهل الكتاب وبين المسلمين.. فتتاح الفرصة لدراسة الإسلام، ومعرفة حقائقه ومبادئه ومُثله العليا.. فهو أسلوب من أساليب التقريب العملي بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، ودعاية للهدى ودين الحق.

(٥) على المسلم الذي يبتغي الزواج منهن، أن يجعل ذلك غاية من غاياته، وهدفا من أهدافه.

أما عن كراهة الزواج من الكتابية في العصر الحالي، فسوف نذكره بإذن الله في موضعه بالأبواب التالية.

●●*●●

الباب الثاني

إنهاء العلاقة الزوجية والآثار المترتبة عليها

قال تعالى:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ... ﴿٢٢٩﴾ ﴾

[البقرة].

أولا: الطلاق

(١) تعريف الطلاق:

الطلاق مـأخوذ من الإطلاق، بمعنى الترك والفك والإرسال وإخلاء السبيل.. وفي الشرع معناه: حل رابطة الزواج، وإنهاء العلاقة الزوجية إنهاء كليا أو جزئيا.

(٢) كراهيته:

الزواج نعمة من الله على الإنسان.. والطلاق يعتبر جحودا لهذه النعمة.. ولا يصح اللجوء إلى الطلاق إلا عند الضرورة القصوى.. بأن يصل الخلاف بين الزوجين، وسوء العِشرة، وكثرة الشقاق والنزاع، إلى طريق مسدود يصعب معه الإصلاح.. وتباعد الأفكار، وتتنافر القلوب تنافرا لا علاج له.. وكذلك ارتياب أحد الزوجين في سلوك الآخر.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة بشأن الطلاق نذكر ما يلي:

* عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ أنه قال: «**أبغض الحلال إلى الله – عز وجل – الطلاق**» (رواه أبو داود فى سننه)[١].

* عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس، حرام عليها رائحة الجنة**» (رواه الترمذى)[٢].. (من غير بأس أي: من غير ضرورة تدعو إلى الطلاق).

أما حديث النفس بالطلاق، ولم يتكلم أو يعمل به الإنسان، فقد تجاوز عنه الله سبحانه وتعالى، ولا يعتبر طلاقا.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تجاوز الله لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تكلَّم به أو تعمل به**» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)[٣].

---

(١) د ٢١٨٠ ص ٣٦٦٩.
(٢) ت ١١٨٧ ص ١٥٧.
(٣) ت ١١٨٣ ص ١٥٦.

(٣) مشروعية الطلاق:

من الأدلة على إباحة الطلاق، قوله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم:

* ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ... ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [البقرة].

وقول رسول الله ﷺ في الحديث الشريف:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث جدُّهن جدٌّ، وهزلُهُنّ جدٌّ: النكاح، والطلاق، والرجعة» (رواه الترمذي)[1].

بمعنى أن حكم الله تعالى بعد كل طلقة - التي يحصل بها المراجعة للزوجة - يراجع الرجل زوجته إلى عصمته، وعليه أن يعاملها معاملة كريمة، أو يفارقها مع إعطائها حقوقها كاملة بإحسان.

ومن محاسن شريعة الإسلام، أنها لم تفتح باب الطلاق فتحا مطلقا، ولم تغلقه غلقا مطلقا.. فشريعة الإسلام تتناسب مع الفطرة الإنسانية، لأنها وإن كانت تقدس الحياة الزوجية، وتدعو إلى دوامها، إلا أنها في ذات الوقت تقدر الفروق في الطباع الإنسانية.. وهنا يجيء حكم الله تعالى في قوله سبحانه:

* ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النساء].

بمعنى أنه إذا حصل فراق بين الزوجين لضرورة اقتضت هذا الفراق، يغني الله - عز وجل - بفضله وإحسانه كلا منهما بما فيه الخير له، لأنه - سبحانه - واسع الرحمة، حكيم في أقواله وأفعاله.

(٤) الإصلاح بين الزوجين:

إذا حدث خلاف بين الزوجين، قد يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه، فعلى من يشغله أمر الزوجين أن يرسلوا حكَمًا - أي رجلا صالحا عاقلا ذا خبرة في الإصلاح بينهما - من أقارب الزوج، وحَكَمًا آخر من أقارب الزوجة.. وعلى الحكمين أن يبذلا جهدهما لرأب الصدع وإصلاح ذات البين من أجل جمع شمل الأسرة على الوفاق والاتفاق.. قال تعالى:

---

(١) ت ١١٨٤ ص ١٥٦.

* ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء].

وقد مدح الله - سبحانه وتعالى - من يقوم بهذا العمل من إصلاح ذات البين، في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:

* ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة في هذا الشأن:

* عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا، وينمي خيرا**» ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقولُ الناس كذبا إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل لامرأته وحديث المرأة لزوجها.. (رواه مسلم)[1].. (يَنْمي خيرا، أي: يُبلِّغ غيره خبرا فيه خير له، أو يقول خيرا).

* وعن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحلُّ الكذب إلا في ثلاث: يُحَدِّث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس**» (رواه الترمذي)[2].. والأحوط في هذا كله أن يُوَرِّي، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصودا صحيحا، وإن كان كاذبا في ظاهر اللفظ، وبالنسبة لما يفهمه المُخَاطَبُ.

(٥) شروط المطلق:

الطلاق أمر خطير، حيث يترتب عليه انفصال في الحياة الزوجية التي يعتبر الأصل فيها الدوام والاستقرار.. وقد جعلت شريعة الإسلام الطلاق وإنهاء الحياة الزوجية من حق الرجل وحده لأسباب متعددة.. نذكر منها:

- أن الزوج هو الذي تكلف في سبيل الزواج مالا كثيرا، وسينفق مثله أو أكثر منه إذا طلق زوجته وأراد أن يتزوج بأخرى.

---

(١) م ١٠٨٠ ص ٦٢٥. (٢) ت ١٩٤٠ ص ٢٦٦.

- أنه مكلف بأن يدفع لهـذه الزوجة المطلقة مـوخر صداقهـا إن وجد، وأن يدفع متعة الطلاق، وأن ينفق عليها في مدة العدة.

- أنه جرت العادة أن الرجـال أكثر صبرا على خطأ نسـائهن بسبب تكاليف الزواج، وهذا يدعوهم إلى التأني والتروي في الإقدام على الطلاق.

- أما المـرأة، فليس عليهـا تبعـات الطلاق ونفقـاته مثل مـا على الزوج.. علاوة على أنها بحكم طبيعتها، وتغـير الهرمونات في جسمها في أوقات عديدة - بأسـباب الحمل والوضع والرضاعـة وفترة انتهـاء الحيض - يؤثر على مزاجهـا وعواطفها وأعصـابها.. هذا علاوة على كثـرة الجهد الذي تتحـمله في رعاية المنزل والـزوج والأبناء، وهي أعباء كـثيـرة، وعادة لا يقدرها الزوج.. لهذه الأسـباب كلها قد تكون الزوجة أسرع غـضبا عند ظهور المشاكل الزوجـية.. خاصة أن المرأة بطبعهـا تحب الهدوء ولا طاقة لديها على كثرة الجدال والخصام.

لهـذه الأسبـاب وغيـرها، جـعلت شريعـة الإسـلام - وهي شريعـة الحق والعدل- الطلاق بيد الرجل، وأمرته بألا يُقدم عليه إلا عندما لا يوجد حل سواه.

أمـا المرأة إذا أرادت الطلاق - ولـم يوافق زوجـهـا - فلهـــا أن تطلب من القـاضي التطليق.. والأمر يرجـع إلى القاضي، بعـد معـرفة الظروف إذا كـانت تستدعي الطلاق أم لا.

فالطلاق لا يقع إلا من الزوج العاقل البالغ المخـتار؛ لأن الطلاق في شريعة الإسلام - تصـرف من التصرفات التي لهـا آثارها ونتائجها في حـياة الزوجين.. ولابد أن يكون الزوج الذي يريد الانفصـال عن زوجته كامل الأهلية، حـتى يصير تصرفه صحيحا.

وتكمل الأهلية الشـرعية عند الإنسـان، بكمال العقل، والبلوغ، والاختـيار الذي لا قسر فيه ولا إجبار.. ففي الحديث الشريف:

* عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ أنه قال: «**رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق**» (رواه النسائي)[(١)].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل طلاق جائز، إلا طلاق المعتوه المغلوب على عقله**» (رواه الترمذي)[(٢)].

(٦) الإشهاد على الطلاق أو المراجعة:

الطلاق عقد كما كان الزواج بعقد.. فلا بد من شهادة رجلين تتوفر فيهما العدالة والاستقامة، لأن الإشهاد يقطع التنازع، ويدفع الريبة، وينفي التهمة.. قال سبحانه وتعالى:

* ﴿**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴿٢﴾**﴾ [الطلاق].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة:

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بال أقوام يلعبون بحدود الله، يقول أحدهم، قد طَلَّقْتُكِ، قد راجَعْتُكِ، قد طَلَّقْتُكِ**» (رواه ابن ماجه)[(٣)].

* وعن عمران بن حصين أنه سُئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يُشهد على طلاقها ولا رجعتها فقال: طَلَّقْتَ لغير سُنَّة وراجعت لغير سُنَّة، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تَعُدْ (رواه أبو داود)[(٤)].

(٧) أنواع الطلاق بناء على الآثار الشرعية المترتبة عليه:

ينقسم الطلاق من حيث الأثر الشرعي المترتب عليه إلى ثلاثة أنواع:

---

(١) ن ٣٤٤٥ ص ٥٦١.
(٢) ت ١١٩١ ص ١٥٧.
(٣) جه ٢٠٩٥ ص ٢٩٣.
(٤) د ٢١٨٨ ص ٣٧٠.

طلاق رجعي.. وطلاق بائن بينونة صغرى.. وطلاق بائن بينونة كبرى. وفيما يلي شرح لكل نوع منها:

أ- الطلاق الرجعي:

هو طلاق الرجل لزوجته التي دخل بها.. ويملك الزوج بعد إيقاع الطلاق على زوجته أن يعيدها إلى عصمته من غير عقد جديد، ومن غير مهر جديد، مادامت في عدتها، ولم يكن هذا الطلاق مسبوقا بطلاق أصلا، أو مسبوقا بطلقة واحدة.. قال تعالى:

* ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ... (١)﴾ [الطلاق].

ومثال للطلاق الرجعي، أن يقول الزوج لزوجته لأول مرة: «أنت طالق»، ثم بعد ذلك يراجعها وهي في عدتها، بأن يقول: راجعت زوجتي فلانة إلى عصمتي، وتحسب عليه طلقة واحدة.

وبعد مراجعتها، إذا قال لها مرة ثانية: «أنت طالق»، فله - أيضا - أن يراجعها ما دامت في عدتها، وتحسب عليه طلقة ثانية.. وهذا هو المقصود بقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ... (٢٢٩)﴾ [البقرة].

أي أن الطلاق الذي شرعه الله تعالى يكون مرة بعد مرة، وأنه يجوز للزوج أن يعيد زوجته إلى عصمته بعد الطلقة الأولى بالمعروف، كما يجوز له ذلك بعد الطلقة الثانية.. والإمساك بالمعروف معناه: مراجعتها وردها إلى عصمته ومعاشرتها بالحسنى.

ولا يكون للزوج هذا الحق إلا إذا كان الطلاق رجعيا.. وهو وحده الذي يملك هذا الحق ما دامت الزوجة في عدتها، وهو حق أثبته الله تعالى في قوله سبحانه:

* ﴿... وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا... (٢٢٨)﴾ [البقرة].

بمعنى أن أزواج المطلقات طلاقا رجعيا أحق بمراجعتهن ما دمن في فترة العدة.. وينبغي أن تكون هذه الرجعة بقصد الإصلاح، وليس بقصد الإضرار بالمرأة.

ولأن الرجعة حق أعطاه الله للزوج، فلا تشترط الرجعة إلى وليّ، ولكن تحتاج الإشهاد عليها، خشية إنكار الزوجة فيما بعد أنه راجعها، كما أن الإشهاد يمنع التنازع، ويدرأ الريبة والشك، وينفي الظن والتهمة.. قال تعالى:

* ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ... ﴿٢﴾﴾ [الطلاق].

ب- الطلاق البائن بينونة صغرى:

هو الطلاق الذي لا يستطيع الزوج بعده أن يعيد زوجته المطلقة إلى عصمته، إلا بعقد ومهر جديدين.. ومثال ذلك: أن يقول الرجل لزوجته التي دخل بها: «أنت طالق»، ثم يتركها دون مراجعة إلى أن تنقضي عدتها، ففي هذه الحالة لا يستطيع مراجعتها إلا بإذنها ورضاها، وبمهر وعقد جديدين.

جـ- الطلاق البائن بينونة كبرى:

هو الطلاق الذي لا يستطيع الرجل أن يعيد زوجته إليه - التي دخل بها وطلقها للمرة الثالثة - إلا بعد أن تتزوج بزوج آخر زواجا صحيحا، ويدخل بها دخولا حقيقيا، ثم يفارقها، أو يموت عنها، وتنقضي عدتها من الزوج الثاني.

مثال ذلك: أن يقول الزوج لزوجته «أنت طالق» للمرة الثالثة، فهي لا تحلّ له بعد ذلك، لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة].

بمعنى أنه إذا طلق الزوج زوجته الطلقة الثالثة، فلا تحل له هذه الزوجة إلا إذا تزوجت برجل آخر زواجا صحيحا وعاشرها فيه معاشرة الأزواج، ويكون هذا الزواج عن رغبة وليس بنية التحليل لزوجها الأول.. فإن طلقها الزوج الثاني أو مات عنها، وانقضت عدتها منه، فلا إثم على هذه الزوجة أن ترجع إلى زوجها

الأول فتتزوجه زواجا صحيحا بمهر وعقد جديدين.. وتحدث هذه المراجعة إذا غلب على ظنهما أن يقيما حدود الله التي شرعها للزوجين، ويبينها سبحانه لقوم يعلمون أحكامه وحدوده.

هذه هي الأنواع الثلاثة عن طلاق الرجل لزوجته التي دخل بها.. أما عن طلاق الرجل لزوجته غير المدخول بها.. بمعنى أنه بعد إتمام عقد الزواج الصحيح، وقبل دخول الرجل بزوجته، وقبل الخلوة بها خلوة صحيحة.. إذا قال هذا الرجل لزوجته: «أنت طالق».. «أنت طالق».. «أنت طالق»، وقعت بالطلقة الأولى فقط طلقة بائنة، لأن الزوجية قائمة.. وأما قوله: «أنت طالق» الثانية والثالثة فهما لغو لا يقع بهما شيء، لأنهما صادفتاها وهي ليست زوجته ولا معتدته، حيث لا عدة لغير المدخول بها (وهذا بخلاف المدخول بها).. وتعتبر العلاقة الزوجية قد انتهت وأصبحت هذه المرأة أجنبية عنه بمجرد صدور كلمة الطلاق مرة واحدة.. وذلك لقوله تعالى:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)﴾ [الأحزاب].

ثانيا: الخلع

(١) تعريف الخلع:

لفظ الخلع معناه في اللغة الإزالة والنزع.. ومعناه في الشرع: إزالة عقد الزواج بلفظ الخلع أو بلفظ مشتق منه، في مقابل مال تدفعه المرأة لزوجها ليتخلى عنها.. أو بتعبير آخر: فراق الرجل لزوجته ببدل يحصل عليه.. فالمرأة بذلك تفتدي نفسها بما تبذله لزوجها.. ولذا قد يسمى الخلع بالفداء.

(٢) أسباب الخلع:

الحياة الزوجية لا تقوم إلا على السكن والمودة والرحمة وحسن المعاشرة، وأداء كل من الزوجين ما عليه من حقوق.. وقد يحدث أن يكره الرجل زوجته، أو تكره الزوجة زوجها.

والإسلام في هذه الحال يوصي بالصبر والاحتمال، وينصح بعلاج ما عسى أن يكون من أسباب الكراهية.. إلا أن البغض قد يتضاعف، ويشتد الشقاق، ويصعب العلاج، وينفذ الصبر، وتدب الكراهية.. وبالتالي يذهب ما أسس عليه البيت من السكن والمودة.. إلخ، وتصبح الحياة الزوجية غير قابلة للإصلاح.. وحينئذ يرخص الإسلام بالعلاج الوحيد الذي لابد منه.. فالفراق خير من حياة زوجية مليئة بالنزاع والبغضاء.

فإذا كانت الكراهية من جهة الزوج، فبيده الطلاق، وهو حق من حقوقه، وله أن يستعمله في حدود ما شرعه الله.

وإن كانت الكراهية من جهة الزوجة، فقد أباح لها الإسلام أن تتخلص من الزوجية بطريق الخلع، بأن تفتدي الزوجة نفسها بما تبذله لزوجها - بأن تدفع له ما كانت أخذته من مهر، أو تدفع له ما يتفقان عليه من مال.. ولذا قد يسمى الخلع بالفداء.. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى:

* ﴿ ... وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ... (٢٢٩) ﴾ [البقرة].. (حدود الله، أي: أحكامه).

وأول خلع في الإسلام يرجع إلى حديث النبي ﷺ مع امرأة ثابت بن قيس ابن شماس، التي أرادت مفارقة زوجها، ليس لسوء خلقه أو نقصان في دينه، ولكنها كانت تكرهه لدمامته، وتخشى أن تحملها كراهيتها له على التقصير نحوه فيما فرض الله من حقوق الأزواج.

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يارسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خُلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟» (أي: التي دفعها مهرا لها، فقالت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لزوجها ثابت بن قيس: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة» (رواه البخاري)[1].

ففرق رسول الله ﷺ بينهما بطريق الخلع، ولو وقع بلفظ الطلاق.. وقد أجمع الفقهاء على جواز الخلع وإباحته.

والخلع يكون بالتراضي بين الزوج وزوجته.. فإذا لم يتم التراضي بينهما، رفعت هي أمرها إلى القاضي.. وعلى القضاء متى اقتنع بوجهة نظر الزوجة أن يلزم الزوج بالخلع.. ذلك لأن ثابت بن قيس وزوجته رفعا أمرهما إلى النبي ﷺ، فحكم بالتفريق بينهما في مقابل أن ترد الزوجة لزوجها الحديقة التي جعلها مهرا لها.

وهذا من عدالة الإسلام في أحكامه التي تعطي الزوج حقوقه في الطلاق، وتعطي المرأة حقوقها في الخلع دون ظُلم لأحد، وذلك إذا تعذرت العشرة الطيبة والمودة والمحبة.

(٣) شروط الخلع:

أ- أن يكون البغض والكراهية من الزوجة لزوجها.. فإن كان الزوج هو الكاره لها، فليس له أن يأخذ منها فدية، وإنما عليه أن يصبر عليها، أو يطلقها إن خاف ضررا.

ب- أن لا تطالب الزوجة بالخلع حتى تبلغ درجة من الضرر، تخاف معها أن لا تقيم حدود الله في نفسها أو في حقوق زوجها.

---

(١) خ ١٨٧٨ ص ٤٣٩.

* عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة»** (رواه ابن ماجه)(١).

جـ- أن لا يتعمد الزوج الأذى لزوجته حتى تخالع منه.. فإن فعل ذلك فلا يحل له أن يأخذ منها شيئا أبدا، وهو عاص.

د- الخلع ينفذ طلاقا بائنا، فلو أراد الزوج مراجعتها، لا يحل له إلا بعقد ومهر جديدين.

هـ- يستحب عند الخلع، أن لا يأخذ الزوج أكثر مما مهر زوجته به، إذ إن «قيس بن ثابت» اكتفى من مخالعته بالحديقة التي أمهرها إياها، وذلك بأمر رسول الله ﷺ.

(١) جه ٢١٣٣ ص ٢٩٨.

ثالثا: العدة

(١) تعريف العدَّة:

لفظ العدَّة مـأخوذ من العدِّ والإحصـاء. . وهي اسم للمدة التي بانقضـائها يجوز للمرأة الزواج من شخص آخر غير الذي كان زوجها. . واحتساب العدة يبدأ من حين وجود أسبابها وهو الطلاق، أو الوفاة.

وقد أجمع الفقهاء على وجوب الالتزام بأحكام عدة المرأة، لقوله تعالى:

* ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ... (٢٢٨) ﴾ [البقرة].

* ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ... (٤) ﴾ [الطلاق].

* ﴿ ... وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ... (٢٣٥) ﴾ [البقرة].. (يبلغ الكتاب أجله: المفروض من العدة).

ويرى الفقهـاء أن المرأة تعتد في بيت زوجها. . ويجوز لهـا الخروج نهارا - سواء كانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها - وليس لها المبيت في غيـر بيتها، ولا الخروج ليلا إلا لضرورة؛ لأن الليـل مظنة الفساد، بخلاف النهار، فإن فـيه قضاء الحوائج، وشراء ما يُحتاج إليه.

(٢) حكمة مشروعيتها:

- استبراء الرحم حتى لا تختلط الأنساب.
- تهيئـة فرصة للزوجين لإعادة الحـياة الزوجية - بعـد الطلاق - إن وجدا الخير في ذلك.
- احترام عقد الزواج، حتى يكون صحيحا من كل الوجوه.

(٣) من انواع العدَّة:

أ- عدة الزوجة الحامل تنتهي بوضع الحمل سواء أكانت مطلقة أم توفي عنها زوجها. . لقوله تعالى:

* ﴿ ... وَأُولَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ... ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق].

ب- عدة الزوجة التي توفي عنها زوجها ولم تكن حاملا، أربعة أشهر وعَشْرُ ليال.. لقوله تعالى:

* ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ... ﴿٢٣٤﴾ ﴾ [البقرة].

وتقضي الزوجة هذه الفترة من العدة في بيت الزوجية، وتمتنع عن التزين وعن التعرض للخطَّاب، وفاء لحق الزوج المتوفى، واستبراء للرحم.. وإذا اضطرتها الظروف للخروج للعمل، تخرج، على أن تبيت في بيتها.

وإن طلق الزوج امرأته طلاقا رجعيا، ثم مات عنها، وهي في العدة، اعتدت بعد الوفاة؛ لأنه توفي عنها وهي زوجته.

جـ- عدة الزوجة المطلقة، التي دخل بها زوجها، ويأتيها الحيض وليست حاملا، عدتها ثلاثة قروء.. ثم لها أن تتزوج بعد ذلك إن شاءت الزواج.. والقروء، جمع قُرء - بضم القاف وفتحها - ولفظ القرء يطلق على الحيض أو الطهر؛ لأنه من الألفاظ التي تصلح للمعنيين.. قال سبحانه وتعالى:

* ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ... ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة].

د- عدة الزوجة التي بلغت سن اليأس من الحيض، وكذلك عدة الفتاة الصغيرة التي لم يأتها الحيض بعد، عدة كل واحدة منهما ثلاثة أشهر - لقوله تعالى:

* ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ .... ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق].

هـ- الزوجة التي لم يُدخل بها، إذا طلقها زوجها قبل الدخول بها - أي قبل معاشرتها معاشرة الأزواج - فلا عدة عليها، لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ... ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأحزاب].

هذه هي أنواع العدة للنساء، وقد شرعها الله - عز وجل- صيانة للأنساب، وتحصينا لها من الاختلاط، واحتراما لعقد الزواج الذي سماه الله - سبحانه وتعالى- الرباط المقدس الغليظ الموثق بين الزوجين، كما قال في كتابه الكريم:

* ﴿ ... وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ [النساء].. (ميثاقا غليظا، أي: عهدا وثيقا).

رابعا: الحضانة

(١) تعريف الحضانة:

الحضانة شرعا، تعني إيواء الصغير وكفالته، والقيام على تربيته ورعايته، والعمل على إصلاح شأنه ووقايته مما يضره ويؤذيه، إلى سن البلوغ.

(٢) من أحق بالحضانة؟:

عند إنهاء العلاقة الزوجية، فإن من أهم الأشياء الواجب مراعاتها بعناية فائقة هي حضانة الطفل الذي هو ثمرة الحياة الزوجية التي انتهت.. ولا ذنب للطفل في أسباب إنهاء العلاقة الزوجية بين أبويه.. ولكن هذا الطفل هو أول وأكثر من يقع عليه الضرر والأثر النفسي السيء نتيجة هذا الانفصال.

ومن الطبيعي أنه عند الفراق بين الزوجين، أن تكون الأم أحق بحضانة أبنائها.. لأنها - بطبيعتها التي خلقها الله - عندها الحنان والعطف، وكذلك عندها القدرة والصبر على رعاية الأطفال، بشرط أن تتوفر فيها شروط الحضانة.

(٣) أهم الشروط الحضانة:

أ- العقل:

فلا حضانة لمن لا تستطيع القيام بشئون نفسها.

ب- القدرة على الرعاية والتربية:

فلا حضانة للكفيفة أو المريضة، أو المتقدمة في السن.

جـ- الإسلام:

فلا تثبت حضانة الكافرة للطفل المسلم؛ لأن الحضانة ولاية، ولا يجعل الله ولاية للكافرين على المؤمنين.. لقوله تعالى:

* ﴿ ... وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿١٤١﴾ ﴾ [النساء].

د- عدم الزواج:

إذا تزوجت أم الطفل، سقط حقها في الحضانة، للحديث الشريف:

* عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن امرأة قالت: يارسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وعَاءً، وثديي له سقَاءً، وحجري له حِوَاءً، وأن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني، فقال لها ﷺ: «أنت أحق به ما لم تَنْكحي» (أخرجه أبو داود)[1]. (وعاء: إناء) (سقاء: وعاء الشرب) (حجري: حضني) (حواء: أي يحويه ويحيط به).

وهذا الحكم بإسقاط الحضانة يسري على المتزوجة من أجنبي - والمقصود بالأجنبي هنا أنه ليس قريبا للطفل.. أما إذا تزوجت بقريب مَحْرَمٍ من الطفل الصغير، مثل عمه، فإن حضانتها لا تسقط؛ لأن العم له من صلته بالطفل وقرابته منه ما يحمله على الشفقه عليه ورعايته، فيتم بينهما التعاون على كفالته.

أما الأجنبي، فإنه قد لا يعطف على الطفل، ولا يمكنها من العناية به.. فلا يجد الطفل الجو الرحيم ولا التنفس الطبيعي ولا الظروف التي تنمي ملكاته ومواهبه.. وقد اختلف الفقهاء في هذا الشرط من الحضانة.. إذ يرى الشافعية أن الزوجة متى تزوجت - من أجنبي أو قريب للطفل- يسقط حقها في الحضانة - لانشغالها بالزوج الجديد.

(٤) من الأحق بالحضانة بعد الأم؟:

إذا كانت الأم غير مستوفية لشروط الحضانة، أو لم تكن موجودة، فإن الحضانة تنتقل إلى الأحق بالحضانة من الأقارب.. ويلاحظ أن قرابة الأم تقدم على قرابة الأب.. وإذا لم توجد للطفل الصغير قريبات من المحارم، أو وجدت وليست أهلا للحضانة، انتقلت الحضانة إلى العصبيات من المحارم الرجال على حسب ترتيبهم في الميراث.. ولا يكون ابن العم حاضنا لابنة عمه حتى ولو كانت صغيرة، لأنه ليس محرما لها.. وفي جميع الأحوال لا تكون حضانة إلا للأمناء العقلاء المشهود لهم بالاستقامة من النساء ومن الرجال.

(٥) النفقة على الصغار واجرة الحاضنة:

النفقة على الصغار واجبة على الأب، لقوله سبحانه وتعالى:

---

(١) د ٢٢٧٨ ص ٣٨٨.

* ﴿ ... وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا... (٢٣٣) ﴾ [البقرة].

وهذه النفقة واجبة للمولود، لأن ولد الإنسان قطعة منه.. فكما يجب على الإنسان أن ينفق على نفسه، يجب عليه كذلك أن ينفق على من هو قطعة منه.. وكذلك عليه أجرة الحاضنة، إلا أن تتطوع الحاضنة بخدمتها فلا شيء في ذلك.. وتقدر نفقة الصغار وأجرة الحاضنة بحسب يسار المحضون له وإعساره.. لقوله تعالى:

* ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ... (٧) ﴾ [الطلاق].. (قدر عليه: ضيق).

(٦) تردد الطفل بين أمه وأبيه:

للمحافظة على نفسية الطفل، وعلى تهيئة الجو شبه العائلي المناسب له، فمن حق الأب أن يرى ابنه من آن لآخر.. بل من حق الجدات وأقارب الأب أن يروه أيضا؛ لأن صلة الرحم واجبة والعقوق مُحرم.. ومن الواجب - بل من حق الطفل - إذا بلغ سن التمييز (عادة سبع سنوات)، أن يعيش بعض الفترات مع أبيه، إذ يقوم بتربيته وتعليمه وتثقيفه.

ولابد أن يتفق الأب والأم على كيفية ووقت رؤية الطفل وإقامته مع الأب بعض الفترات؛ لأن الطفل في حالة الانفصال بين أبويه ممزق نفسيا.. فمن أوجب الواجبات أن تراعى نفسيته.. وأن يترفع الأبوان بأفكارهم وعقولهم عن مشاكلهم، وينظروا لمصلحة الطفل.. فمهما يكن فهذا والده، وتلك أمه.. ولا يقصوا عليه تفاصيل المشاكل التي كانت سببا للانفصال، ولكن يجعلون السبب فقط هو عدم التوافق، وذلك حتى لا يسببوا له عقدا نفسية وأزمة من الزواج عندما يكبر.. وأن يتركوا له حرية الاختيار في الوقت الذي يشاء ليذهب لأبيه أو أمه، ليستقي التربية الصحيحة من الاثنين معا.

خامسا: الميراث

(١) تعريف الميراث:

من الأمور المترتبة على إنهاء العلاقة الزوجية، توزيع تركة المُتَوفَّى، أو ما يسمي بالميراث.. والميراث هو ما يتركه الإنسان المُتَوفَّى لورثته من أموال.. وأحيانا يطلق على «علم المواريث» علم «الفرائض».. والفرائض جمع فريضة.. والفرض في الشريعة هو النصيب المفروض لكل وارث.

(٢) موانع الميراث:

وتعني أن يكون الشخص يستحق الميراث في شخص آخر، إلا أن هناك موانع سلبت منه هذا الاستحقاق.. ومن أهم هذه الموانع:

● **القتل:**

فقد اتفق الفقهاء على أن القتل العمد من موانع الإرث.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**القاتل لا يرث**» (رواه الترمذي)(١).

● **اختلاف الدين:**

فلا ميراث بين مسلم وكافر.

* عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم**» (رواه مسلم)(٢).

(٣) الحقوق الواجبة للمتوفى:

قبل توزيع التركة على الورثة، هناك حقوق واجبة تجاه المتوفى (من تركته) وتتلخص فيما يلي:

● **تجهيز الميت:** ويشمل هذا التجهيز نفقات تغسيله وتكفينه ودفنه في قبره، وغير ذلك مما يستلزمه حال المتوفى، دون إسراف أو تقتير.

---

(١) ت ٢١١٠ ص ٢٩٢.
(٢) م ٧١١ ص ٣٩٧.

• **قضاء ديونه:** إذ من الواجب أن تدفع الديون التي عليه لأصحابها من تركته، لأنها متعلقة بذمته، وهو محتاج إلى إبراء ذمته من حقوق العباد.. وتقدم ديون الله - كالزكاة والكفارات - على ديون العباد، إذا أوصى الميت بأدائها.. وقد جاء في الحديث الشريف:

* عن عليٍّ رضي الله عنه قال: **أن النبي ﷺ قضى بالدين قبل الوصية** (رواه الترمذي)[1].

• **تنفيذ وصاياه:** وتنفيذ وصاياه من ثلث تركته بعد قضاء الديون.. ولا تنفذ في الزيادة على الثلث مما تركه من أموال، إلا إذا أجازها الورثة.. لأن ما زاد عن الثلث هو حق الورثة، ولهم أن يتنازلوا عنه إذا أرادوا ذلك[2].

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرضت عام الفتح مرضا أشْفَيْت منه على الموت، فأتاني رسول الله ﷺ يعودني، فقلت: يا رسول الله، إن لي مالا كثيرا، وليس يرثني إلا ابنتي، أفأوصي بمالي كلِّه؟ قال: «لا» قلت: فثلثي مالي؟ قال: «لا». قلت: فالشطر؟ قال: «لا». قلت: فالثلث؟ قال: **«الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة إلا أُجرت فيها حتى اللقمة ترفعها إلى فَيْ امرأتك»** (رواه مسلم)[3].. (فَيْ: فم).

(٤) تقسيم الميراث (توزيع التركة):

بعد أداء الحقوق المتعلقة بالتركة، يقسم ما بقي من مال الميت بين ورثته بالطريقة التي حددتها شريعة الإسلام على الوارثين، وهم:

• **الأقارب:** سواء أكانت قرابة أصلية كالآباء والأمهات والأولاد، أم قرابة فرعية كالأعمام وفروعهم.. لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿... وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال].. (الأرحام: القَرَابات).

---

(١) ت ٢١٢٣ ص ٢٩٥.
(٢) فقه السنة جـ٣ ص ٣٤٣.
(٣) م ٧٢٥ ص ٤٠٥.

• **الأزواج:** وذلك بعد أن يعقد الزوج على زوجته عقدا صحيحا، سواء دخل بها أم لم يدخل.. فإذا حدثت وفاة لأحد الزوجين بعد هذا العقد الصحيح، ورث أحدهما الآخر.

وعلم المواريث أو الفرائض يعد من أهم العلوم وأشرفها، لأنه العلم الذي يعطي كل ذي حق حقه بناء على ما جاءت به شريعة الإسلام. فلابد من معرفة شروط الميراث وهي: وفاة المورث، والتحقق من حياة الوارث بعد المورث، وألا توجد موانع للميراث.

ولابد أيضا معرفة أصحاب الفروض والعَصَبَات من الورثة.. والمقصود بأصحاب الفروض أولئك الأشخاص الذين حددت لهم شريعة الإسلام نصيبا معينا من تركة الميت.. وهم اثنا عشر شخصا، منهم الأزواج والآباء.

أما العَصَبَات من الورثة، فهم أبناء الرجل وقرابته لأبيه.. ويطلق عليهم هذا الاسم لأن بعضهم يشد عصب بعض ويقويه ويناصره.. والعَصَبَات يأخذون باقي التركة بعد أن يأخذ أصحاب الفروض نصيبهم.

فإذا لم يبق من تركة الميت شيء بعد أن أخذ أصحاب الفروض نصيبهم، فلا شيء لعَصَبَات الميت، إلا إذا كان العاصب ابنا (أو ابن ابن وإن نزلوا)، فإنه لا يحرم من تركة أبيه بحال من الأحوال.. وفي الوقت نفسه فإن عَصَبَات الميت يأخذون جميع التركة إذا لم يوجد أحد من أصحاب الفروض.

ولا يمكن أن يرث الجميع في تركة واحدة أبدا، وذلك لأن بعضهم يحجب بعضا.. فالأب يحجب الجد، والابن يحجب الأخ، والأخ يحجب العم.. وهكذا.. فلوا اجتمعوا كلهم في تركة، فلا يرث منهم إلا ثلاثة: الأولاد (ذكر أو أنثى)، الآباء والأمهات، الأزواج.. ولذا سوف نذكر هذه الفئات الثلاث بشيء من التفصيل لما لها من علاقة مباشرة بالزوجين.

أ- الميراث للأولاد (ذكر أو أنثى):

قال سبحانه وتعالى في آيتي المواريث بسورة النساء:

* ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ .. ﴿١١﴾﴾ [النساء].

لقد ذكر هذا الجزء من الآية الكريمة ثلاث حالات لقسمة الميراث عندما يترك الميت الأولاد، وهم على النحو التالي:

- ذكورا وإناثا: وفي هذه الحالة يقسم نصيبهم من الميراث بينهم، بحيث للذكر ضعف الأنثى.

- بنتين فأكثر وليس معهما أخ ذكر: وفي هذه الحالة يكون لهما أو لهن ثلثا التركة.

- بنتا واحدة وليس معها أخ ذكر: في هذه الحالة يكون لها نصف التركة.

وكانوا قبل نزول هذه الآية الكريمة لا يورثون النساء ولا الصبيان.. وقد ذكر المفسرون(١) للقرآن الكريم، في سبب نزولها روايات منها:

* عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتِل أبوهما يوم أُحد شهيداً، وإن عمَّهُما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا تُنكحان إلا ولهما مال.. قال لها النبي ﷺ: «**يقضي الله في ذلك**» فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله ﷺ إلى عمهما وقال له: «**أعط ابنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثُّمن، وما بقي من تركة أخيك سعد فهو لك**» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)(٢).

ب- الميراث للآباء والأمهات:

قال سبحانه وتعالى:

* ﴿ ... وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ... ﴿١١﴾﴾ [النساء].

(١) التفسير الوسيط جـ ٣ ص ٦٤، صفوة التفاسير جـ٢ ص ٨٣.
(٢) ت ٢٠٩٣ ص ٢٨٩.

وفي هذا الجزء من الآية الكريمة، ذكر الله تعالى ثلاث حالات أيضا للأبوين:

- إذا ترك الميت ولدا (ذكرا أم أنثى، واحدا أم أكثر) وترك أيضا أباه وأمه: في هذه الحالة يكون للأب سدس التركة، وللأم كذلك سدس التركة.
- أن يموت الشخص ولا وراث له سوى أبيه وأمه: في هذه الحالة يكون للأم ثلث التركة، وللأب الباقي من التركة وهو الثلثان، إذ لا وارث له سواهما.
- إذا مات الشخص وترك الأبوين، وله إخوة أو أخوات (أشقاء أو غير أشقاء، ذكورا كانوا أو إناثا أو مختلطين): في هذه الحالة يكون لأم الميت سدس التركة وباقي التركة للأب، ولا شيء لإخوة الميت، لأن الأب قد حجبهم.

وقد ختم سبحانه الآية ببيان حكمة هذا التقسيم للتركة التي تركها الميت، وأكد سبحانه على الالتزام بهذا التقسيم العادل الحكيم، فقال تعالى:

* ﴿ ... آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)﴾ [النساء].. (فريضة: مفروضة).

أي أن الله تعالى قد قسم لكم تركة الميت بهذه الطريقة العادلة الحكيمة، فنفذوها كما أمركم خالقكم، واحذروا أن تظلموا أحدا من الورثة، أو تحابوا أحدا، فإنكم لا تعرفون من الأنفع لكم من ورثتكم.

جـ- الميراث للأزواج:

قال سبحانه وتعالى:

* ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ... (١٢)﴾ [النساء].

وضحت هذه الآية الكريمة ميراث الزوجين على النحو التالي:

* **الميراث للزوج**: للزوج نصف تركة الزوجة التي فارقت الحياة، إن لم يكن لها ولد (ذكرا كان أو أنثى، واحدا كان أو أكثر، منكم كان أو من غيركم).. فإن كان لها ولد فلكم الربع فقط من تركتها.. بعد سداد ما عليها من ديون وتنفيذ وصيتها.

* **الميراث للزوجة**: عند وفاة الزوج، فإن للزوجة (أو الزوجات)، ربع تركة الزوج، إذا لم يكن له ولد (من ظهره، أو ظهر بنيه، أو بني بنيه).. فإن ترك الزوج من خلفه ولدا (ذكرا كان أو أنثى، واحدا كان أو أكثر)، فللزوجة (أو الزوجات) الثُّمن فقط من تركة الزوج.. ويكون باقي التركة لبقية الورثة.. وذلك بعد تنفيذ الوصية وقضاء الديون.. وإذا تعددت الزوجات اقتسمن الربع أو الثمن بينهن بالسوية.

* **الميراث للزوجة المطلقة والحامل:**

- الزوجة المطلقة طلاقا رجعيا ترث من زوجها إذا مات قبل انتهاء عدتها، لأنها ما زالت في فترة العدة تعتبر زوجته التي يمكن أن يراجعها.
- أما المطلقة طلاقا بائنا، فلا ترث، إلا إذا طلقها زوجها طلاقا بائنا في مرضه الذي مات فيه.
- وإذا توفي الزوج وكانت الزوجة حاملا، فلا توزع التركة إلا بعد الوضع.

(٥) الحكمة في النصيب المفروض للذكر والأنثى:

قال سبحانه وتعالى:

* ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ... ﴿١١﴾﴾ [النساء].

هذه الآية الكريمة قد قدرت بوضوح أن نصيب الذكور ضعف نصيب الإناث، في معظم الأحوال.. وإنما قلنا معظم الأحوال، لأنه توجد مسائل أخرى يتساوى فيها الذكور والإناث في الميراث، ومثال لذلك، قوله تعالى:

* ﴿ ... وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ... ﴿١١﴾﴾ [النساء].

إن ما قررته شريعة الإسـلام - بأن نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى - هو عين العدالة والحكمـة. . فقد بُني هذا التقـسيم على أساس التفـرقة بين التكاليف الاقتـصادية والماليـة والاجتـماعيـة التي كلفت شـريعة الإسلام بهـا الرجل، وبين التكاليف التي كلفت بها المرأة.

فالرجل هو المسئول عن الأسرة، وهو المكلف بالإنفاق على جميع أفرادها بما فيها الزوجة. . أما المرأة فقد أعفتـها شريعة الإسلام عن كثير من التكاليف المالية، وألقتـها على كاهل الرجل. . فـهو الذي يدفع المهر عـند الزواج، وهو الذي يعد منزل الزوجية، وهو الذي تأمره الشريعة بتحمل مسئولية الإنفاق على الأسرة.

أما الزوجة فمن حقها الاحتفاظ بكل ما تملكه من مال، ولا تكلفها الشريعة الإسلامـية بالإنفاق بشيء من أمـوالها الخاصة على الأسـرة إلا على سبيل التـبرع منها، وتقديم العون لزوجها عن طواعية واختيار.

وبهذا نرى أن شريعة الإسلام قد قامت على العدل والإنصاف عندما جعلت للمرأة نصف نصيب نظيرها من الرجال في الميراث، لأن تكاليف الأسرة من حيث نفقات المعيشة على كاهل الرجال دون النساء.

الباب الثالث

أزمة الزواج.. المشكلة والحل

قال تعالى:

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ .... (٣٣) ﴾

[النور].

لا شك أن السبب الرئيسي لتأخر سن الزواج عند كثير من الفتيات، هو وجود بدائل كثيرة أصبحت تشغل اهتمامات الفتيات حاليا، بعكس الماضي.. فمعظم الفتيات أصبحن ذات ثقافة وعقلية متفتحة كثيرا عن ذي قبل.. وذلك لانخراط الكثير منهن في التعليم العام والجامعي؛ علاوة على الدراسات العليا.. وأيضا الرياضة والثقافة والعمل في المجالات المختلفة.

وعلى الجانب الآخر، فإن الشبان مشغولون بالدراسة والعمل لتكوين أنفسهم ماديا ومعنويا.

ولكن سرعان ما تجري السنوات، وتصل الفتاة إلى الثلاثين - وهو العمر الذي يعتبر بداية الخطر واليأس بالنسبة لبعضهن - دون أن تحصل على بغيتها وأمانيها التي أحلها الله لها بالزواج.. فتشعر بالوحدة هي وكل من مثلها في العمر أو أكبر.

وعلى الرغم من وجود الفتاة داخل أسرة، وجميع أفرادها متحابين، إلا أن الشعور بالوحدة والفراغ العاطفي يؤرق الفتاة ليلا ونهارا، مهما شغلت أوقات فراغها في أشياء عديدة.. ويصعب الأمر إن كانت لا تعمل، فيصبح عندها الفراغ العاطفي وكذلك الفراغ في الوقت مهما حاولت شغله بأشياء مفيدة.. إنها تتمنى أن تتحدث مع شخص آخر غير الأب أو الأخ.

والشعور بالوحدة، معلوم أسبابه لدى الشيوخ والعجائز الذين رحل عنهم وعن الحياة شركاء العمر، وانشغل عنهم أبناؤهم.. أما الشعور بالوحدة لدى الفتيات في مرحلة الشباب، فهذا أمر خطير ويحتاج إلى دراسة؛ لأنه في ازدياد في هذه الأيام.

فإذا اكتملت رجولة الشاب.. ونضجت أنوثة الفتاة.. فإن إرادة الله وإلهامه تناديهما، أن حي على الزواج.. ويتم ذلك بقوة قهرية لا يستطيع الرجل أو المرأة لها قهرا.. ولم تختلف هذه الظاهرة في الإنسان منذ بدء الخليقة حتى الآن.. إذ يرى الرجل في المرأة ما يجعله يرتاح إليها ولوجوده معها.. ولكل من الرجل أو الأنثى وسائل لا حصر لها لإبداء الرغبة في هذا التزاوج، الذي هو السبيل الوحيد للتناسل.. والتناسل يهدف إلى حفظ النوع البشري وتعمير الأرض.. نزولا على

رغبة خالق السموات والأرض.. إنه الإلهام والرحمة والقدرة من الخالق سبحانه وتعالى:

* ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً... (٧٢)﴾ [النحل].

فالإنسان سواء كان رجلا أو امرأة، شابا أو شيخا يحتاج إلى شريك، ونيس.. يأنس بجواره، وينشغل بأمره.. إن رغب في الحديث وجد من يتحدث معه ويسمعه.. إن شعر بالفرح وجد من يشاركه فرحه.. وإن حزن يوما وجد من يتقاسم معه همه ويخفف عنه.. إنها فعلا السعادة التي تغمر الأزواج، وتنشر فيهم حلاوة الحب والارتياح النفسي، وتبث فيهم النشاط والأمل في الحياة.. وتهون عليهم أعباء العمل، والصبر على تربية الأبناء.

مع ملاحظة صغيرة لا بد من ذكرها.. أن السعادة ليست دائما في الزواج.. فهناك بالطبع أزواج غير سعداء، ويتمنون لو أن الأيام عادت بهم إلى الوراء لكي يتمهلوا ويحسنوا اختيار شركاء حياتهم.. ولكن الحديث بصفة عامة، أن الإنسان لن يجد راحته وسعادته إلا بالزواج والاستقلالية وتكوين أسرة جديدة.

وتختلف نظرة الفتيات وردود أفعالهن عند الوصول إلى سن الثلاثين:

- فمنهن من تشعر بأنها بمفردها هكذا بدون زواج أفضل، وتعلل ذلك بانعدام المسئولية وبأنها قوية الشخصية وناجحة في عملها.
- وهناك من يصيبها الحزن الشديد والكآبة والحسرة، وتشعر بأنها ضعيفة.. وينتابها الخوف من أن تبقى بمفردها وحيدة بالمنزل بعد زواج جميع أخواتها.
- وفتاة أخرى تشعر بالحزن الشديد على تكبرها ورفضها كل من تقدم لخطبتها وراء سراب في خيالها.. فضاعت منها سنوات العمر الجميل بدون أسرة وأطفال.. إلى جانب الإحساس بالغيرة الشديدة من كل الذين هم في مثل عمرها ولكنهن تزوجن.

◆ وفتاة غيرها، نادمة أشد الندم؛ لأنها اعتقدت أن الجمال هو المؤهل الوحيد المضمون للزواج.. ونسيت التعليم والثقافة والأخلاق والتدين وغيرها.. وعاشت بعد أن ضاع منها الجمال تجتر الذكريات عن حياتها التي قضتها في الخلاعة والمجون.

◆ وهناك فتاة تنظر إلى الأمور بعقلانية شديدة، وتعترف بأهمية الزواج، ولكنها تؤمن بالنصيب، وبأن مسألة الزواج هذه مثل الرزق تماما.. وبالتالي لا تفقد ثقتها بنفسها، ولا تبالغ في عدم الاهتمام.

ولم تعد العنوسة - أي تأخر سن الزواج - أمرا يخص الفتيات فقط، بل انضم إليهن الرجال كذلك.. هذا علاوة على أن أزمة الزواج، لا تختص فقط بالفتيات والشبان غير المتزوجين.. ولكنها تشمل أيضا هؤلاء المطلقين والأرامل الذين هم في مرحلة الشباب من العمر.. فقد لوحظ كثرة الطلاق في السنوات الأولى من الزواج.. والطلاق يسبب أزمة أصعب لكل من الفتاة والشاب في الزواج بعد ذلك.

وفي معظم البلاد هناك خلل في الأعداد بين الإناث والذكور.. حيث يزداد عدد الإناث عنه في الذكور.. ويرجع ذلك إلى أن الرجال معرضون أكثر للأخطار والموت أثناء الحروب.. وقد اتضح ذلك أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية.

أما في الصين فإن الأمر معكوس، حيث إن أعداد الرجال أكثر منه في الإناث.. ويرجع ذلك إلى سياسة «المولود الواحد» التي تنتهجها الصين منذ فترة طويلة للتقليل من أعداد السكان.. ونظرا لأن معظم الأسر بالصين ترغب أن يكون هذا المولود الواحد ذكرا، فإنهم يمارسون عمليات الإجهاض عندما يكون الجنين أنثى.

وفي كلتا الحالتين، فإن هناك طرفا - سواء الفتيات أو الشبان- من الزائد أعدادهم، لن تتوفر لهم فرصة الزواج. وهذا يسبب زيادة العنوسة للإناث مع الحروب، كما يسبب زيادة العزوبة للرجال في الصين.. وكذلك تزداد العنوسة

للطرفين بسبب كثر، الطلاق في السنوات الأولى من الزواج، أي في مرحلة الشباب.

وسوف نستعرض معا - بإذن الله - بعض أسباب أزمة الزواج، والحل الممكن لهذه المشكلة التي تؤرق المجتمع.. فتزويج الشباب أصبح واجبا اجتماعيا، إن لم يكن من الواجبات لتحصين الشبان والفتيات ومنعهم من الوقوع في المعاصي.. وتقليل الجرائم التي يمكن أن تؤثر على أمن المجتمع بسبب هذه الأزمة.

أولا: حيرة الشباب في اختيار شريك الحياة

(١) طريقة اختيار شريك الحياة:

هناك عدة طرق لاختيار الزوجة.. وكل طريقة لها مميزاتها وعيوبها.. وعلى كل فرد أن يختار ما يناسبه من الطرق.. والإسلام يرى ضرورة أن يتحرى الإنسان الدقة في اختيار شريك الحياة من أسرة طيبة، ومن أصل طيب تُعرف عنه الصفات الحميدة، ولو على الأقل في الأقارب من الدرجة الأولى، ليستطيع بعد ذلك أن يجد من يتعامل معه من الرجال الذين تحترم كلمتهم، وأن يكونوا أهل كفء لأبنائه.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»** (رواه البخاري)(١).. (لحسبها: أي لشرف الآباء والأقارب) (تربت يداك: أي التصقت بالتراب إن لم تظفر بذات الدين، وهو كناية عن التنبؤ بالفقر وسوء الحال، ولا يراد به حقيقة الدعاء عليه).. وقد تأخر لفظ الدين في هذا الحديث الشريف لكي يظل عالقا في الأذهان، ويتأكد المستمع للحديث أنه الرابح إن اختار ذات الدين.

* وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: **«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»** (رواه ابن ماجه)(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا خطب إليكم من تَرْضَوْن دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»** (رواه الترمذي)(٣).

هذه المعايير يجب أن تراعى بغض النظر عن طريقة الاختيار.. سواء اختار الإنسان بنفسه أو عندما يفوض من ينوب عنه في الاختيار.

---

(١) خ ١٨٣٥ ص ٤٢٨.   (٢) جه ١٩٣٠ ص ٢٧٠.
(٣) ت ١٠٨٤ ص ١٤٢.

وفيما يلي، سوف نستعرض بعض طرق اختيار شريك الحياة.. مع شرح مميزات وعيوب كل طريقة.

أ- اختيار الشاب لشريكة حياته بنفسه:

إن الفرص متاحة حاليا للشبان - ومنذ زمن بعيد - أن يروا كثيرا من الفتيات بعد أن خرجت المرأة لتشارك الرجل في بناء المجتمع.. فأصبحت تنهل من العلم - مثل الرجل - ووصلت إلى درجات عليا من التقدم فيه.. كما أنها تعمل في كل المجالات جنبا إلى جنب مع الرجل، وقد تتفوق عليه في بعض الأعمال.. فهو يراها في دور العلم، وفي العمل، والشارع، والمواصلات، والنادي، وكل مكان.. بمعنى أنه يستطيع أن يراقبها - دون أن يتحدث معها مباشرة - وأن يعلم كثيرا من طباعها وهي تتصرف على طبيعتها، شكلها وسلوكها وأفكارها وآرائها.

فإذا صادفه الشكل المقبول، والسلوك المستقيم، والملابس المحتشمة، والأفكار الرزينة الهادئة، والآراء السديدة التي توافقه.. فلا بأس بعد ذلك أن يسأل ويتقصى عن أهلها؛ لأن المنبع الطيب ينجب الأبناء الصالحين.. فالإنسان الفطن يعرف أين يضع قدميه قبل أن يخطو الخطوة التالية.

ولا مانع - بل من الواجب - أن يشترك الأب في السؤال والتقصي عن أهل الفتاة.. ولا بد للشاب أن يستمع إلى نصائح أبويه؛ لأن الزواج علاقة بين أسرتين، وليس مجرد علاقة شاب بفتاة وحدهما.

ويلي ذلك طبعا مرحلة المكاشفة بما في النفس، والشوق للتعارف أكثر مع الفتاة، والرغبة الحقيقية في الزواج.. وهكذا يكون الشاب خطا خطوات تشعره بالاستقلالية في اختيار شريكة حياته، وفي نفس الوقت أشرك معه أسرته.. وينعم الشاب والفتاة بتبادل الحديث المباشر والتخطيط لحياتهما المستقبلية، في ظل أفراد أسرتيهما.. وفي هذه الحالة ستساعد بالقطع كل أسرة على إتمام هذا الزواج وتباركه.

ومن التحذيرات التي نشير إليها، هي النوع التالي من الزواج الذي يوضع أيضا تحت بند الاستقلالية التي يراها الشاب أنها من حقه.. فقد يتعرف على فتاة

- بكل عواطفه الجياشة - فيبدأ مباشرة في الحديث معها، أو إقامة علاقات خاصة، ويبثها الأشواق والهيام من لحظة رؤيتها.. وذلك طبعا خلال لقاءات خارج المنزل بدون الرجوع إلى أسرته أو أسرتها، ويظل يطاردها بكلماته المعسولة حتى تقبل الزواج منه.

ثم يبدأ بعد ذلك مكاشفة أسرته بقراره.. وكأنه في هذه الحالة يفرض رأيه ولا يشركهم معه أو يستشيرهم، تحت بند أنه حر في اختياره وأنه أصبح رجلا ومن حقه اتخاذ ما يراه مناسبا له.

والمحصلة أن الزواج الأول - الذي أشرك واستشار فيه الأسرة - ينجح، بينما الثاني - الذي فرض رأيه على الأسرة - كثيرا ما يفشل بعد فترة وجيزة، على الرغم من توفر الكفاءة في الحالتين.. والسبب أن الزيجات المبنية على علاقات سابقة بين الشاب والفتاة عادة ما تفشل، لأنهم لم يراعوا الضوابط الأساسية عند الاختيار.. حيث تتغلب العواطف والتهور والمشاعر الفياضة على العقل والتفكير السليم.. كما أن الرجل الشرقي، عندما يتذكر أن فتاته خرجت معه قبل أن يطلبها رسميا للزواج، يندم، ويشيره الشك، وتتغير عواطفه من ناحيتها، على الرغم من أنه هو الذي حثها على الخروج معه وطاردها بكل ما يملك من وسائل.

فمن الواجب أن يكون الزواج بالعقل والعواطف، ومشاركة الأسرة، والاستفادة من آرائهم السديدة التي تعتمد على تقدمهم في السن وخبراتهم بالحياة أكثر من الشباب.

وبكل أسف، فإن معظم الأفلام السينمائية بوسائل الإعلام، تركز على الأسلوب الثاني من الزواج.. حيث يُعجب بطل الفيلم بالفتاة من أول نظرة.. وتسير أحداث الفيلم كلها عن مطاردته لحبيبته التي رآها وأعجبته.. نظرة، فابتسامة، ثم لقاء.. وتنتهي بالزواج، بعد أن تَغَلَّبَ على بعض المشاكل الهامشية التي قابلته.. ويتوقف الفيلم عند هذه النهاية السعيدة بالزواج.. ولا يستكمل الأحداث لما يقابلها بعد ذلك من مشاكل.. وكأن الزواج هو نهاية المطاف، وليس بداية لحياة زوجية جديدة فيها من الحلو والمر، وفيها الكثير من تقلبات الزمن، وفيها جهد كبير لتربية الأبناء.. والسعادة الحقيقية هي التكاتف مع بعضهما للتغلب على كل ما يقابلهما بعد الزواج، وليس قبله فقط.

ب- اختيار الفتاة لشريك حياتها:

وهنا نشير إلى الحالة التي تُعجب فيها الفتاة بشاب معين.. فإن عليها أن تخبر بذلك والدها أو ولي أمرها، وهو الذي يلفت نظر الشاب أو يجس نبضه إن كانت عنده هذه الرغبة المتبادلة.. أم أن عنده الرغبة ولكن تعوقه ظروفه المادية أو غيرها.

فالفتاة لا بد أن تتحلى بصفة الحياء، ولا تلجأ مباشرة إلى الشاب وتفاتحه **بمكنون نبض قلبها**.. أو تعتقد أن المساواة بين الرجل والمرأة تسمح لها بذلك.. لأن الشاب في هذه الحالة سوف يعْتقد أنها فتاة سهلة يتسلى بها، وفي داخله لن يتزوج بها.. فنحن في البلاد الإسلامية والشرقية لنا تقاليدنا التي تحترم المرأة لحيائها.. ففي الحديث الشريف:

* عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»** (متفق عليه)[1].. وفي رواية مسلم: **«الحياء خيرٌ كله»**.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»** (متفق عليه)[2].. (الإماطة: الإزالة).

والعبرة نجدها في قصة سيدنا موسى - عليه السلام - عندما خرج من مصر خائفا وتوجه إلى مَدْيَن (بلدة في فلسطين)، وجد جماعة كثيرة من الناس يسقون أغنامهم من ماء البئر، ولاحظ وجود امرأتين تمنعان أغنامهما عن الماء.. فسألهما عن السبب، فقالتا أن أباهما شيخ كبير، وهما لحيائهما لا يسقيان مواشيهما حتى ينصرف الرعاة فأخذته الشهامة، وسقى لهما.. ثم جلس في الظل يدعو ربه.. فجاءته إحدى الفتاتين وهي تمشي على استحياء، وقالت له إن أباها يدعوه ليعطيه أجره.. فلما ذهب لأبيها وحكى له قصته مع فرعون مصر، طمأنه الأب بأنه نجا من القوم الظالمين، وأنه الآن في مكان أمين.

خلال هذه الأحداث القصيرة، من شهامته في مساعدة البنات، وفي مسيرته مع إحداهما لأبيها، وفي سرد قصته على الأب بأمانة، ووضوح إيمانه بالدفاع عن

(١) خ رص ٦٨٢ ص ٢٤٥.
(٢) خ ٦٨٣ ص ٢٤٦.

المظلومين انشرح قلب الفتاة لهذا الشاب.. فأشارت على أبيها أن يستأجره، وعبرت عن مكنون قلبها بالقول أنه قوي أمين.

وبالطبع فهم الأب ما تقصده في داخل نفسها.. ولكنه علم أن موسى - عليه السلام - فقير في الوقت الحالي وليس معه ما يتزوج به.. فكان تصرف الشيخ الحصيف أن عرض عليه الزواج من إحدى ابنتيه، نظير أن يكون أجيرا عنده في رعي الغنم ثمان أو عشر سنوات أيهما يختار.. قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

* ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص].. (أمة: جماعة كثيرة) (تذودان: تمنعان أغنامهما عن الماء) (ما خطبكما: ما شأنكما) (يصدر الرعاء: يَصْرِفُ الرعاة مواشيهم عن الماء) تأجرني: تكون أجيرا في رعي الغنم) (حجج: سنين).

ونلاحظ في هذا الجزء الصغير من قصة سيدنا موسى - عليه السلام - الآتي:

◆ حياء الفتاتين عندما سألهما موسى - عليه السلام - ، عن سبب إبعادهما الغنم عن البئر.

◆ تعليل الفتاتين لاضطرارهما الخروج للعمل ورعي الغنم، بأن أباهما شيخ كبير.

◆ أدب الدعاء الذي قاله سيدنا موسى - عليه السلام.. فشكر الله أولا - على الرغم من حالته السيئة من أثر سفره وخوفه - ثم ذكر فقره، ولم يقنط من رحمته تعالى.

- حيـاء الفتاة وهـي تمشي قادمة إلى مـوسى - عليه السـلام - تدعوه إلى أبيها.
- إعجاب الفتاة بموسى - عليه السلام - وتعبيرها عن ذلك بحياء لأبيها.
- تصرف الأب بحكمة الشيوخ المحنكة بالحياة.. فعرض على الفـقير المال نظير العمل.. وعـرض عليه الزواج من إحدى ابنتيـه بعد عدة سنوات.. فحفـظ للفتاة ماء وجـهها، وحفظ للشـاب عوزه وحاجتـه، وحفظ لبناته مشقة العمل برعي الغنم.
- الموافقة على العرض، والتوكل على الله.
- وكل ذلك كـان بتـدبير من الله تـعالى، لصـلاح هذه الأسـرة من الأب والفتاتين.. وكذلك صلاح موسى - عليه السلام - الذي هيأه ربه ليكون رسولا إلى فرعون وقومه.

جـ- الطريقة التقليدية:

يمكن وصف الزواج بأنه مشروع، قد يأتي تقيـيمه من وجهة نظر الآخرين، لأن صاحب الفكرة لا يستطيع أن يُقيم فكرته بمفرده.. وهنا يلجأ لمشاورة الآباء أو الأقارب أو الأصدقاء المخلصين.

فقد يـرشح الآباء أو الأقارب لأبنهم فتاة مـعينة يعرفون أخـلاقها وصفـاتها وشكلها وأسرتها.. ويتيحون الفرصة للقاء الشاب والفتاة - في وجود أحد أطراف الأسرة حـتى لا تصـير خلوة بين الشـاب والفتـاة - وهذه الطريقة تتـيح سهـولة التقييـم.. وقد يكون لها بعض المشاكل، ولكن يسهل التغلب عليها بالفراسة وقدرة الحكم على الناس.

ويمكن أن يتم هذا العـمل عن طريق الأصـدقـاء.. فـمثـلا تُرشح إحـدى الزوجات صـديقتـها لصديق زوجـها الراغب في الزواج.. ويعـملون على تهيـئة الظروف كأنه لقاء بين الأصدقاء.. وهذا الأسلوب يوافق الشـباب أكثر من ترشيح الآباء والأقـارب.. وذلك لأنه لن يكون هناك حرج بين الأقـارب عند الرفض.. وكذلك تعمل هذه الطريقة على توفـير الوضوح الكامل بين الطرفين والصدق مع

النفس من البداية وكل منهما ملتزم بأقواله وليس نقلا عن شخص آخر وسيط.. وبذلك يسهل الاسترشاد بالعقل والحكم على المميزات والعيوب بصراحة بينهما بدون العواطف التي تخفي العيوب وتضخم المميزات.

د- الاختيار عن طريق الخاطبة:

كانت الخاطبة هي الوسيلة السائدة في الزمن الماضي.. والخاطبة هي سيدة يثق فيها أهل العروسين.. وأسرة الراغب في الزواج يوضحون للخاطبة أوصاف الفتاة أو الشاب مشفوعا بصورة.. وهي تعتبر وسيطا بين الأسرتين.. وتأخذ أجرها من الاثنين.. وإذا نجحت في الموافقة المبدئية للشاب، فإنه يتقدم إلى أسرة الفتاة.. ويتيحون له الفرصة لرؤية العروس والجلوس معها، في وجود أحد أفراد الأسرة.

هذه الطريقة كانت منتشرة كثيرا من قبل، خاصة أن كثيرا من الفتيات كن في البيت، ولا يخرجن للتعليم أو العمل.. ولكن هذه الطريقة اندثرت لأن الفتاة تعلمت، وتشعر في هذا الأسلوب بالمهانة، كأنها سلعة تعرضها الخاطبة على الشباب.. ينظرون إلى شكلها ولا ينظرون إلى عقلها وأسلوب تفكيرها.. ومن النادر جدا أن تقبل أي فتاة حاليا هذا الأسلوب في الزواج.

هـ- الاختيار عن طريق المكاتب الخاصة:

هذه المكاتب الخاصة للتوفيق بين راغبي الزواج تعتبر أسلوبا متطورا للخاطبة.. أنشأها أصحابها كمشاريع تجارية؛ لأنهم يعلمون جيدا أن نسبة العنوسة في ازدياد حاليا.. فهم قطعا رابحون.. ولذا فهم يعرضون عناوينهم على شاشات التليفزيون بالقنوات المتخصصة لتزويج الشباب.. وهذا الأسلوب منتشر كثيرا في البلاد الغربية.

والخاطبة - أو هذه المؤسسات - يعتبرون أن عملهم واجب ديني للتوفيق بين راغبي الزواج.. ويأخذون أجرهم على هذا المعنى الذي يعرضونه.. ولكن كثيرا ما يبالغون في مدح الصفات الشكلية والخلقية حتى يتم المراد.. وفيما بعد قد تظهر حقيقة الصورة والصفات المختلفة، ولكن بعد عقد الزواج، وفوات الأوان.

و- الاختيار عن طريق الصحف والمجلات:

هناك الكثير من الصحف والمجلات التي تحدد لها أبوابا ثابتة للإعلان عن راغبي الزواج.. وكلما كان هدف الصحيفة من النوع النبيل المحترم الذي يبغي التوفيق بين الفتيات والشبان، وتشجع على الزواج، فإن راغبي الزواج سيجدون المساعدة الحقيقية - المادية والمعنوية - من المسئولين عن الصحيفة.. أما الصحف أو المجلات الأخرى الرديئة، فقد يكون هدفها مثل غيرها من الطرق التي تجعل من راغبي الزواج وسيلة لمشاريعهم التجارية، وكسب الأموال على حسابهم، دون التأكد من صدق بياناتهم.

ز- الاختيار عن طريق وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة:

لقد دخلت وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة في مجال اختيار شريك الحياة.. ومنها: التليفون المحمول (الموبايل)، والبريد الإلكتروني، وكذلك الكمبيوتر وما يحتويه من الشبكة العنكبوتية المعروفة باسم الإنترنت.

وكثيرا ما يتسبب التليفون المحمول، والبريد الإلكتروني في أزمات بالبيوت، بسبب معاكسات الفتيات والزوجات.. لأن المرسل قد يكون مراهقا يمثل دور المحب الولهان.. أو يكون متعمدا الانتقام من فتاة معينة أو أسرة معينة، ويلجأ إلى البريد الإلكتروني كوسيلة تكنولوجية حديثة لن تكشف عن شخصيته بسهولة.. وقد يكون له أهداف أخرى؟

فكثير من المراهقين يهوى المغامرات.. ويتخذ من التليفونات المحمولة والرسائل الإلكترونية وسيلة للتسلِّي بالبنات.. وعلى الفتاة المحترمة أن تغلق هذا الباب.. ولا ترد على هذه الرسائل نهائيا.

أما عن الإنترنت، فقد ظهرت به عدة مواقع - بعضها باللغة العربية - تقدم خدمة «المأذون الإلكتروني».. ومن خلال هذه المواقع، يقدم بعضها عناوين المأذونين، يرد على استفسارات الراغبين في الزواج.. وأصبحت هذه المواقع مشاريع تجارية من نوع خاص، فالعملية كلها جمع للأموال، ومصيدة لراغبي الزواج، أو لراغبي التسلية في وقت الفراغ.. ويتم تحصيل الرسوم من خلال

بطاقات الائتمان.. ومعظم زوار هذه المواقع من الشباب، ولكن هذا لا يمنع أن ارتفاع نسبة العنوسة هي السبب الرئيسي لرواج تلك المواقع.. فالعنوسة، وارتفاع تكاليف الزواج، والإثارة الدائمة عبر الفضائيات، والكليبات العارية، وانفلات الأخلاق في الشوارع، كلها أسباب رئيسية للجوء الشباب- وكذلك الكبار - إلى الانترنت.

وهنا نحذر الشباب من الاندفاع وراء موضات التكنولوجيا الحديثة، والرغبة المرضية في تقليد البلاد الغربية.. فقد يتم هذا الزواج بدون أركانه الشرعية.. حيث يُختصر الأمر كله على ملء بيانات استمارة على شاشة جهاز الكمبيوتر من طالبي الزواج.. ويقتصر دور مواقع الزواج بالإنترنت على نشر هذه البيانات دون التحقق من مصداقيتها.. وقد يتم الزواج بدون رؤية الشاب والفتاة لبعضهما.. أو بدون مجلس لعقد الزواج.. علاوة على عدم حضور الشهود أمام المأذون.. فكيف يشهد الشاهد على زواج لم ير طرفيه؟!.. وهذا شيء لا يقبله عقل، ويناقض أركان الزواج الصحيح.. وقد يتم تحرير عقود فاسدة على الإنترنت.. وقد تحمل صيغا تكون منافية لتعاليم الإسلام.. فلا تثمر هذه الزيجات عبر الإنترنت إلا زواجا فاسدا.

والأخطر من مواقع «المأذون الإلكتروني»، هي مواقع المحادثة المباشرة بين اثنين أو أكثر المعروفة باسم «الشات» على الإنترنت.. وهذه المواقع هي المدخل الحقيقي للفضائح وتلويث سمعة الناس، وهدم البيوت.. إنها مأساة يعيشها الشبان والفتيات، وكذلك الرجال والنساء داخل غرف الدردشة الإلكترونية عن طريق «الشات».. ولأنهم لا يرون بعضهم، فقد يسترسل الحديث عن الحياة الخاصة، كنوع من التسلية وشغل أوقات الفراغ، ثم يتحول إلى إدمان بعد أن بدأ كنوع من حب الاستطلاع.. فعدد كبير من الشباب يجلس أمام الكمبيوتر بالمنزل دون رقيب.. وكثير منهم يلجأ إلى مقاهي «النت» التي تملأ الشوارع، ليمارس علاقاته مع الآخرين والأخريات بحرية أكبر بعيدا عن أعين الأهل والدخلاء.

والأحقر من ذلك، ما يفعله بعض الشبان من أعمال في منتهى الحقارة واللعب بسمعة الناس.. وهؤلاء لن يفلتوا أبدا من عقاب الله - الذي يعلم السر

وأخفى - علـى هذه الأعمال.. والأسـاس في ذلك أن تضع فـتاة صورتهـا على الموقع الخاص بها.. فيتـحايل الشاب - معدوم الضمير - ويعمـل بخطته الجهنمية على تغـيير جزء من الصـورة، ويُظهر الفـتاة في أشكال أو أوضـاع فاضـحة.. ويطبعها أو ينقلها على التليفون المحـمول (الموبايل) ويرسلها إليها، مهددا إياها إن لم تستـجب له وتقابله في الخارج.. وقـد يرسل الصورة إلى والدها أو أخيـها أو زوجها انتقاما من تلك الفتاة المستعصية عليه.. وكما ذكرنا من قبل أن الكل يتسلى ويلعب بسمعة الناس!!.

فهل تجـازف أي فتـاة بوضع صورتهـا أو أي بيانات أو صـور عائليـة على الإنترنت بموقعـها الخاص بها، أو حتى حفظهـا على البريد الإلكتروني؟!.. وهل هناك فتاة محـترمة - مهما شعرت بالوحـدة - يمكن أن تصدق أن مواقع الإنترنت هي الطريق الصحيح للزواج؟!.. وهل تسمح أي فتاة لنفسها بقضاء ساعات الليل الطويلة أمام الكمبيوتر، ولا تخشى أن تحوم حولها الشبهات؟!.

إنها هجمة عالمية ببرامج غربية، لها أهداف محددة.. ومنها:

- استغلال زيادة نسبة العنوسة في أعمال تجارية تدر الربح لديهم.

- تخريب عقول الشباب، وإغراقهم في بحر من اللذات الحسية.

- إضاعة وقت الفراغ فيما لا يفيد، بل يهدم القيم الروحية لديهم.

- العمل على تفكيك الأسرة.. فكلما كانت الأسـرة صالحة، كان المجتمع قويا ومـتماسكا.. وبـالتالي فإن تفكيك الأسـرة وتحويلها إلـى أفراد، كل منهم مشغـول بحاله دون رقيب، يعتبـر هدفا حقيقـيا لتفكيك المجتمع ليـسهل السيطرة عليه.

وتتعدد أسباب هذا التـفكيك للأسرة.. فقد تكون بسبب الهجمـات الثقافية الفاســدة الواردة من البلاد الغربيـة.. وقد تكون بـسبب عدم الـتخطيط الـسليم من المجتمع ذاته لاستيعاب طاقة الشباب، وشغل أوقاتهم في بناء المجتمع الصحيح.. كما ترجع إلى عدم تربية الأبناء تربية دينية صحيحـة تجعلهم يخشون الله في السر والعلانية.

فيجب ألا يستخدم الإنترنت إلا بهدف البحث عن شيء مفيد.. فما الكمبيوتر إلا آلة مثل كل الآلات.. قد تستعمل في الطريق الصحيح والاستفادة منها، وقد تستعمل في الطريق الخطأ لتنقلب على صاحبها بالخسران والندم إن عاجلا أو آجلا.. فالمشكلة ليست في الإنترنت نفسه، لأن به ملايين المواقع المفيدة في مجال العلوم والفضاء والطب والدعوة الإسلامية وغير ذلك الكثير.. ولكن أصحاب العقول الضيقة المريضة غير المثقفة، هم الذين يسيئون استخدامه، ويسيئون إلى غيرهم وإلى أنفسهم.

ولا يجب أيضا الجلوس أمام الكمبيوتر ساعات طويلة، والانقطاع عن الأسرة والمجتمع، حتى لو كان استخدامه في أشياء مفيدة.. لأن مشاركة الناس في أعمالهم والحوار معهم شيء مهم لتكامل الشخصية.

ح- اختيار الشريك الآلي:

آخر التقليعات الغربية العجيبة - التي توضح أن الغرب أصبح يستخدم العلم في الإفساد وليس لمصلحة الإنسان - أن أعلن العلماء بإحدى الجامعات بهولندا عن إمكانية أن يختار أي شخص شريك حياته بسهولة بشرط أن يحدد الشكل الذي يريده لشريك الحياة، وكذلك طباعه وعيوبه ومشاعره وكل ما يريد.. وبعد دفع الثمن سوف يتسلم «روبوت» - أي إنسانا آليا - بالمواصفات التي طلبها.. وقد أكد العلماء على أن الإنسان سيقع في حب الروبوت بسهولة، خاصة أنه هو الذي حدد صفاته ومظهره وشخصيته.

وقد تعرض العلماء لنقد شديد من قبل علماء النفس الذين يرون استحالة الزواج من الروبوت.. ولكن العلماء دافعوا عن ذلك قائلين أن العواطف والمشاعر يمكن إدراجها كأي معلومات في ذاكرة الروبوت.. وهو يستطيع التعبير عنها بشكل أفضل من الإنسان الذي قد تتأثر عواطفه بمن حوله، بعكس الروبوت المبرمج.

وهذا هو الإفساد الفعلي لحياة الإنسان الذي خلقه الله من ذكر وأنثى لتعمير الأرض بالخير.

(٢) الصفات الشخصية وأثرها في اختيار شريك الحياة:

أ- الحب المراهق:

العلاقة بين البنت والولد التي يفكر فيها طالب الإعدادي أو الثانوي، ليست حبا، وإنما هي علاقة مراهقة، ولا تلبث أن تنتهي سريعا.. وهي علاقة محكوم عليها بالفشل.. وعندما يتذكرها أي شاب بعد أن يكبر وتصقله تجارب الحياة يتعجب من تصرفاته.. فكثيرا ما تحدث هذه العلاقات مع بنت الجيران، أو في المصايف، أو النوادي، أو خلال المحادثات التليفونية الصبيانية.

فالحب مسئولية وليس بالعشق والهوى وانهمار الدموع والخيال.. وإذا لم ينتبه الصبي ويحسن التصرف خلال فترة المراهقة، فإن مثل هذه العلاقات قد تكلفه مستقبله وتطيح بآماله وأحلامه.

وهنا واجب الأسرة كبير في مراقبة أبنائهم وتوجيه النصح والإرشاد إليهم، حتى لا يتخطوا الخطوط الحمراء في أي علاقة عاطفية تطرأ عليهم.

والحب المراهق يعتمد على الخيال أكثر من الحقيقة.. فالفتاة قد تعتقد أن هذا الحبيب سيتقدم إليها ويتزوجها مجرد أن يحصل على الشهادة مثلا، أو مجرد أن تنتهي هي من تعليمها، أو أسباب أخرى.. وتظل تحلم بذلك وتتمنى.. ولكن حينما يأتي الوقت الذي توقعته في خيالها، تكون المفاجأة بأنه يتهرب منها، أو أنه سافر وتركها في حيرتها، أو .. إلخ.

وبالتالي تكون صدمتها كبيرة.. فقد ترفض أي شخص يتقدم إليها لأنها ما زالت تحلم أن هذا الحبيب سيرجع إليها.. أو قد تقبل الزواج بأي شخص، وتظل صورة الحبيب الأول في خيالها، وتسبب مشاكل لا داعي لها.

والواجب عليها أن تزيل من خيالها ذلك الحبيب الأول، وتحمد الله وتشكره أن أرسل إليها من يصونها ويحميها من نفسها أولا.. وتراعي بيتها ولا تخربه بنفسها دون فائدة.

وهناك حالات أخرى بالنسبة للفتاة في سن المراهقة.. خاصة إذا كان والدها غير موجود بالأسرة - إما متوفى أو مطلق أو دائم السفر - فإن البنت تحتاج إلى

حنان الأب؛ لأن المرأة عموما تبحث عن الحنان والحماية والأمان.. وغياب الأب؛ قد يجعلها تقع في حب من هو في عمر والدها، خاصة إذا شعرت بعطفه عليها.. وهذا الشخص قد يكون مدرسا بالمدرسة، أو رئيسا في العمل، أو صديق والدها.. وعلى هذا الرجل الذي أشعل حبها المراهق، عليه أن يوقفها عن ذلك بالحكمة، وأن يبتعد عنها بقدر الإمكان، ويترك علاج الموضوع لأسرتها.

وهنا واجب الأم أن تجعل ابنتها صديقتها، تحكي لها مشاعرها وأفكارها وكل ما يقابلها في الحياة.. ولا تعالج هذه الأمور بالعنف أو الزجر، وإنما بالهدوء والتوعية والحكمة والصبر.. ولا مانع أن تحكي لها بعض قصص مشابهة مرت بها أو بصديقاتها وهن صغار وعرفن فيما بعد أنها كانت أحلام طفولة غير ناضجة، وأوهام ما يسمى بالحب.

ب- طريقة التفكير الخاطئة عن صفات شريك الحياة:

كثير من الشبان والفتيات يفوتهم قطار الزواج بسبب طريقة التفكير الخاطئة من حيث البحث عن شريك الحياة الذي يمتلك كل المزايا، من مال وثراء، وأخلاق وسلوكيات حسنة، علاوة على الوسامة والأناقة.. إلخ.. وبالقطع لا يوجد إنسان كامل الأوصاف سواء من الرجال أو النساء.

والأفضل لهذا الشخص الحائر أن ينظر ويتأمل في طباع الآخر من حيث الأخلاق والتدين.. لأن الجمال نسبي، ويتعود عليه الإنسان بعد فترة، ولا يبقى في الحياة الزوجية بين الزوجين إلا المودة والرحمة وخالص الأعمال.. كما أن المال يأتي ويذهب في لحظة بقدرة الله سبحانه وتعالى.. وقد يكون الثراء نقمة على صاحبه - وعلى شريكه - عندما يملكه الغرور والتعالي على الغير.

وهناك أيضا فتيات يطغى على تفكيرهن الأسلوب الحالم الرومانسي.. وتظل تبحث عن هذا الشريك الرومانسي سنين طويلة.. وإن حصلت عليه، فلا تجني إلا الندم.. لأن مرآة الحب عمياء، عندما لا ترى في الآخر سوء الخُلق، وإنما تحملق فقط في تفاصيل خَلْقِ الله، وفي الكلمات المعسولة التي تخرج من اللسان، ولا يعنيها القلب.

وكم هي الأفلام السينمائية التي استمعنا فيها إلى الجمل التالية «كلماتك الحلوة جعلتني أسيرة بين يديك».. «أنا لا يمكن أن استغنى عنك».. «من أين تأتي بهذه الكلمات الجميلة؟!».. إلى آخره من كلمات العواطف التي تأسر الفتاة.. والله أعلم بما في القلوب.

وهنا نحذر الفتاة.. وننصحها بأن تكون عملية وواقعية في تفكيرها.. وتضع المعيار الأول هو التدين، وثانيا القبول العام للآخر من حيث التكافؤ الثقافي والعقلي، وتحمل المسئولية وغير ذلك من الصفات.. ولا تحدد في خيالها صفات كالتي تراها في الأفلام من: الوسامة والأناقة مثل فلان من الممثلين، أو الرومانسية مثل فلان وفلان، أو البطل المشهور فلان أو فلان الذي سيأتي على فرس أبيض يخطفها من بين كل البنات.. كل هذا من أحلام البنات، ولكن الحياة الزوجية لها مسئوليات أخرى غير الخيال.

جـ- الشخصية الكاريزمية:

الشخصية الكاريزمية هي التي لها قبول عام نتيجة تركيبة شخصية خاصة.. فالتركيبة النفسية والعقلية والوجدانية للفرد هي التي تحدد توجهه العام تجاه الآخرين، إما بالخوف والتقوقع من الناس، أو بالانطلاق والعمل على كسب الود والوفاق.

والإنسان بطبيعته كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش بمفرده.. ولذا فإنه يندمج مع من حوله.. وبقدر ما تمتد وتتسع صلاته بالأقارب والزملاء والجيران والمعارف، بقدر ما يشعر الإنسان بالطمأنينة والأمان؛ لأنه قادر على أن يلجأ لأي منهم وقت الحاجة والضرورة.

ومن الطبيعي أن تكون درجة الود والأخوة مختلفة من شخص لآخر.. فهناك أشخاص محبوبون من كثرة، وهذه منحة من الله سبحانه وتعالى.. ومن هنا ظهرت عبارة «الشخصية الكاريزمية».. وفي المقابل هناك شخصيات ينفر منها الناس، وهي تلك التي ليس لها قبول لدى الكثير، وقد ينفر منها الناس لأسباب أو بدون أسباب.

ومعظم شخصيات البشر بين الحالتين.. أي أن كل شخص له مجموعة قريبة منه يتمتع معها بقدر كبير من الحب والاحترام، وفي المقابل مجموعة أخرى تكرهه لسبب أو لآخر.. وكلما كانت المجموعة التي تحبه وتحترمه كثيرة العدد كان شخصية كاريزمية.. وقد تعودنا أن يكون من دعاء الوالدين لأبنائهم عبارة: «ربنا يجعل في وجهك القبول».. وظهرت في العصر الحديث عبارة: «كيمياء القبول أو النفور».

ومعظم الزيجات تتم من خلال القبول من أول نظرة «كيمياء القبول».. ثم تتطور العلاقة مع الحوار الذي يختلف تبعا للتركيبة النفسية للشخص «الشخصية الكاريزمية».. فيتحول الشخصان إلى «حبيبين» لأنهما وجدا متعة في استمرار الحوار الذي يمتد بلا حدود.. أي يتحول «القبول» إلى «انسجام عقلي».. وإذا كان مقرونا بارتباط عاطفي ووجداني، عندئذ تصبح العلاقة ناضجة لقبول فكرة الزواج والارتباط طول الحياة.

وكسب الود والوفاق قد ينمو أو يضمر وفق مسيرة الحياة التي يتخذها المرء لنفسه.. ومن أهم سبل تنميتها، القراءة والثقافة والمعرفة.. فكلما اتسعت رقعة المعرفة على أنواعها كافة، اتجه الإنسان إلى الحديث في شتى الموضوعات بعمق وفهم، ولا يمل منه الناس في الحديث معه.. وقراءة القصص الأدبية مثلا تجعله يتعرف على شخصيات متنوعة من البشر ممثلة في شخوص القصة، مما يجعله أكثر فهما للطبيعة الإنسانية، فيتعامل معها من هذا المنطلق بود ومحبة وفهم.

د- التبرج والعري:

التبرج هو خروج المرأة من الحشمة وإظهار مفاتنها وإبراز محاسنها.. فالملابس والزينة مظهران من مظاهر الحضارة.. والتجرد عنهما إنما هو ردة إلى الحيوانية، وعودة إلى الحياة البدائية.. وإذا كان اتخاذ الملابس المحتشمة لازما من لوازم الإنسان الراقي، فإنه بالنسبة للمرأة ألزم؛ لأنه هو الذي يحفظ عليها دينها وشرفها وكرامتها وعفافها وحياءها.. فالمحافظة على هذه الفضائل، محافظة على إنسانية المرأة في أسمى صورها.. وليس من صالح المجتمع أن تتخلى المرأة عن الاحتشام، ولا سيما أن الغريزة الجنسية هي أعنف الغرائز على الإطلاق، والتبذل مثير لهذه الغريزة ومطلق لها من عقالها.

وقد فرض الله - سبحانه وتعالى - الحجاب على المرأة في قوله سبحانه وتعالى:

* ﴿ ...ولا تبرَّجن تبرُّجَ الجاهليَّة الأولى... ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

* ﴿يا أيها النبيُّ قُل لأزواجكَ وبناتكَ ونساء المؤمنين يُدنين عليهنَّ من جلابيبهنَّ... ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب]. (يدنين عليهن، أي: يُسْدلن ويرخين عليهن).

* ﴿ وقُل لِلْمؤمنات يغضُضن من أبصارهنَّ ويحفظن فروجهنَّ ولا يُبدين زينتهُنَّ إلاَّ ما ظهر منها وليَضربن بخمُرهن على جُيوبهن ولا يُبدين زينتهُنَّ إلاَّ لبُعولتهنَّ أو آبائهنَّ أو آباء بُعولتهنَّ أو أبنائهنَّ ... ﴿٣١﴾﴾ [النور].

* ﴿والقواعدُ من النساء اللاَّتي لا يرجُون نكاحًا فليس عليهنَّ جُناحٌ أن يضعن ثيابهُنَّ غير مُتبرِّجات بزينةٍ وأن يستعففن خيرٌ لهُنَّ ... ﴿٦٠﴾﴾ [النور]. (القواعد، أي: النساء العجائز).

وتوجيه الخطاب إلى نساء النبي وبناته ونساء المؤمنين دليل على أن جميع النساء مطالبات بتنفيذ هذا الأمر دون استثناء واحدة منهن.. وحتى لو كانت المرأة عجوزا لا رغبة لها ولا رغبة فيها.. والمرأة المحتشمة ذات الأخلاق الحميدة، هي التي يرغبها الرجال.

وقد تسبب الجهل والتقليد الأعمى إلى الانحراف عن هذا الخط المستقيم.. وجاء الاستعمار، ثم عقدة الخواجة، فنفخ فيه وأوصله إلى غايته ومداه.. فأصبح من المعتاد أن نجد المسلمة مبتذلة، عارضة لمفاتنها، خارجة في زينتها، كاشفة عن صدرها ونحرها وظهرها وذراعيها وساقيها، بل نجدها تختار الملابس المغرية بالذات.. وتبلغ منتهى هبوطها في المصايف وعلى البلاج.. وأصبح لموضة الأزياء مواسم خاصة يعرض فيها كل لون من ألوان الإغراء والإثارة.. كما أصبح من المألوف أن تعقد مسابقات الجمال لتبرز فيها المرأة أمام الرجال، ويوضع تحت الاختبار كل جزء من بدنها.. وللتغطية على هذا الوضع المزري للمرأة، يقولون أنها ليست اختبارات للبدن فقط ولكنها تشمل اختبارات الثقافة والعقل.. وللإعلام مجال واسع في تشجيع هذه السخافات، والتغرير بالمرأة للوصول إلى المستوى الحيواني الرخيص.. كما أن لتجار الأزياء دورا خطيرا في هذا الإسفاف.

وقد نجد أن بعض الفتيات تعتبر أن من مظاهر رقيها أن ترتاد المراقص والملاهي وحفلات الزفاف بملابس كاشفة عن مفاتنها ومعظم جسدها، وبكل أسف لا تجد غضاضة في ذلك.. ويكفي أن نلقي نظرة على صفحات الجرائد والمجلات التي تتحدث عن حفلات الزفاف، خاصة للطبقات الأرستقراطية، ونشاهد العروس كاشفة الصدر والذراع والظهر وكل المفاتن.. وكأن العروس قررت لنفسها أن تبدأ حياتها الزوجية بالبعد عما فرضه الله سبحانه وتعالى.

وكذلك فتيات الجامعة، فقد أصابت الكثير منهن موضة الأزياء بلوثة.. فأصبحت لا تفرق بين حرم الجامعة وصالة عرض الأزياء أو الكرنفال.. فهي لا تأخذ الدراسة الجامعية مأخذ الجد، وإنما تضع فوقها زينتها وأناقتها، والمفروض أن يكون العكس هو الصحيح.. وليس معنى ذلك مطالبتها بالإهمال في ملابسها، ولكن المطلوب هو الحشمة والبساطة والملابس العملية التي لا تعيق الحركة وتتسم بالطابع الشرقي، والحد من استعمال الحلي والمكياج، فإن نضارة الوجه الطبيعي في هذا العمر الجميل أفضل بكثير من المكياج المصطنع.. فيجب ألا تجعل الفتاة هدفها هو جلب الأنظار إليها، وإنما صقل عقلها بالعلم والثقافة.. وعلى الأسرة النصح والإشراف على ثياب ابنتهم، ولا يتركنها تفعل ما تريد باعتبارها كبيرة وناضجة.

وإذا أرادت الفتاة تقليد الغربيات في ملابسهن، فهل تعلم مدى الانحدار الأخلاقي الذي وصلت إليه الفتاة الغربية؟!.. فإن الإباحية والحرية قبل سن العشرين في المجتمعات الغربية أصبحت نهدد الأسر، وتزلزل ما بقي من القيم والأخلاق.. فهي تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع وبصر عائلتها، بل وتتحدى باسم الحرية، والديها ومدرسيها وغيرهم.. وتتزوج في دقائق، وتطلق بعد ساعات أو بضع ليال.. فالغرب يبيح الزواج حتى للشواذ، ويبيح كل ما هو منفر تحت بند الحرية. وضحايا الحرية الغربية يملأون السجون والبارات والبيوت السرية وعصابات المخدرات.

فهل تقبل الفتاة الشرقية هذا الوضع، وهل هذا هو ما تطمح إليه الفتيات في الدول الشرقية؟!.. وإن كان الجواب بالنفي، فلا بد أن نرضخ كمجتمع لعلاج هذا الوضع الشاذ بالطرق التالية:

- الإشادة بالفضيلة والحشمة والصيانة والتستر.
- نشر الوعي الديني وتبصير الناس بخطورة الاندفاع في هذا التيار.
- منع حفلات الرقص الجماعي المختلط في الزفاف أو غيره، والذي انتشر كثيرا هذه الأيام.
- منع الصحف ووسائل الإعلام من نشر الصور العارية.
- منع التليفزيون من إذاعة الكليبات الفاضحة بالعري والخلاعة.
- الرقابة على الواردات والمعروضات من الملابس الخليعة للفتيات، والبنطلونات ذات الخصر الساقط الذي يظهر مؤخرة الشبان، التي تملأ فاترينات العرض، حتى أصبح الإنسان يبحث بصعوبة عن الملابس المحتشمة.
- أن يقوم الآباء بدورهم إزاء ما يرتديه أبناؤهم وبناتهم الطائشين.
- يبدأ كل فرد بنفسه، ثم يدعو غيره.. ولا يقول هذا ما وجدنا عليه آباؤنا.. فكل إنسان سيحاسب عن نفسه.. ولا يقول أننا نساير التطور في العصر الحالي.. فهل هذا هو التطور أم التفسخ والانحلال؟!.. فلا بد من تحكيم العقل ولا نسير كالعميان.

هـ- القدرة على تغيير طباع الطرف الآخر:

قد يصمم الشاب على اختيار «فتاة خام» ولا تعرف شيئا في الحياة.. وهو الذي يشكلها كما يريد.. وقد تكون صورة هذه الفتاة الخام في خياله مثلا: أنها المطيعة لكل أوامره.. أو يكون هو «سي السيد» في البيت.. أو أنها لم تر الرجال قط ولا تعرف شيئا عن طباعهم.. أو أنها تشبه أمه أو جدته في طباعها وتفكيرها.

وهذا خطأ كبير في التفكير.. لأن العالم تغير كثيرا عن زمن الأمهات والجدات و«سي السيد».. والفتاة أصبحت لها شخصيتها، وعندها مشاعر وأحاسيس.. وهي غير محبوسة في بيتها، إنما تخرج للعالم الخارجي سواء

للدراسة أو العمل.. وحتى إذا كانت في بيتها، فقد انتقل العالم الخارجي إليها عن طريق الإذاعة والتليفزيون والتليفون والإنترنت وغيرها من وسائل الاتصال.

وإذا تم الزواج فسوف يفاجأ بتصرفات منها غير الصورة التي رسمها هو في خياله عن «البنت الخام».. فلا يعتبر أي إنسان أنه قادر على إعادة تشكيل وطباع وعادات الطرف الآخر.

ونفس الشيء قد يحدث من الفتيات.. ومثال ذلك أن تكون الفتاة ثرية، وتقدم لها أحد الشبان من بيئة رقيقة الحال.. فيصبح كل تفكيرها منصبا حول كيفية نقل هذا الشاب من بيئته إلى بيئتها.. كما يصبح مشروعها في المستقبل هو تغيير سلوكيات هذا الشاب، وليس التفاهم والتقابل معه في منتصف الطريق.

ولذا فإن مثل هذه الزيجات لا تدوم.. ومن هنا أيضا نقول أن الكفاءة الثقافية والعلمية والعقلية مهمة في الزواج.. أما تغيير صفات وطباع وعادات الطرف الآخر كلية، فهو أمر يكاد يكون مستحيلا.

ولكن.. بعد الزواج، يُفضل أن يكافح كل طرف من الزوجين - على انفراد وبنفسه - بتغيير بعض عاداته وطباعه التي تضايق الطرف الآخر، وذلك نتجة لشعوره بالمسئولية، والنضج في التفكير، والرغبة في استقرار الأسرة.. فقد كان قبل الزواج مسئولا عن نفسه، أما الآن فهو مسئول عن أسرة.. وقد كان يقضي أوقاتا كثيرة مع أصدقائه، ولكن الآن عليه أن يقضي معظم وقته مع أسرته وأبنائه ويراقب تصرفاتهم ويرشدهم إلى ما يصلحهم وهكذا.

و- عدم الثقة بالنفس أو الشعور بالفشل:

نذكر هنا بعض الصفات الشخصية لبعض الشبان أو الفتيات، والتي تدل على حيرتهم في أمر الزواج.. فالثقة بالنفس ليست بالأمر السهل عليهم لأن الخوف من الفشل يسيطر عليهم لأسباب عديدة.. فالشاب يحب، ولكن أحيانا يكون أجبن من أن يعبر عن حبه.. والفتاة متشوقة للزواج، ولكنها تخاف أن تدخل في أي تجربة، مع سوء الظن في شباب اليوم.. وفيما يلي نذكر بعض الصفات والحالات، مع النصيحة للشبان والفتيات:

◆ المحب الذي يعتقد أن فتاته ستنتظره.. فيسافر لتحسين أحواله المادية، دون أن يتقدم لها رسميا.. وبعد العودة يجدها تزوجت غيره.. فينعي حظه، أو يُحملها في داخل نفسه مسئولية فشل حبه.. ويصبح ناقما على جميع النساء.. ويرفض فكرة الزواج.

◆ التردد آفة كل محب.. فهو يحبها، ولكنه خائف أن ترفضه.. فهذا الشاب الخائف المتردد، لن يحصل أبدا على بغيته.. وليس في مصلحته هذا التردد والخوف؛ لأن الفتاة لن تظل في انتظاره طويلا حتى يقرر متى يتكلم.

◆ الشاب الذي يريد الزواج من فتاة تشبه امرأة أخرى أحبها حبا جما.. وذلك بإيهام نفسه أن شكلها لا بد أن يشمل صفاتها.. وهذا بالطبع ليس صحيحا.. فليس هناك إنسان صورة طبق الأصل من الآخر حتى لو تشابه في الشكل.

◆ الشاب المحب، والذي تطارده صورة امرأة أخرى ظالمة.. فالحكم على جميع النساء أنهن مثل واحدة في ذهنه، هو الظلم بعينه؛ لأنه يعكس صورة مرضية لديه من ناحية المرأة.. وهذا الشاب لا بد أن يفكر بعقله وقلبه قبل الحكم على الناس.

◆ الشاب الذي يحلم بالحب، وَلكنه في حيرة واكتئاب وعدم ثقة فى نفسه ونحو الآخر من كثرة ما سمع وشاهد في وسائل الإعلام عن الزيجات أو الحب الفاشل.. وهذا الشاب لا بد له أولا من الثقة في نفسه حتى يثق بالآخر ويتفتح للحياة والحب والسعادة.

◆ أسلوب الشاب الذي تقدم لفتاة، ولكن يطارده الشك في نفسه.. فكلما بالغت الفتاة في التمسك به، يبالغ هو في الفرار منها.. والنصيحة لأي فتاة ألا تبالغ في العواطف قبل الزواج، ولا تضيع وقتها أو تضع ثقتها في شاب يتهرب منها.. وتحفظ كرامتها إلى أن يتقدم لها من يرغبها ويكون جديرا بها.

◆ الفتاة التي لم يسبق لها أن أحبت شابا.. ومن كثرة ما تراه، فإنها تبتعد عن أي شاب يحاول التقرب منها.. وتخاف من الدخول في تجارب عاطفية قد تكون فاشلة أو زائفة.. وهي معها حق، لأن الزيجات المبنية على علاقات سابقة بين الشباب والفتيات معظمها فاشلة؛ لأنهم لم يراعوا الضوابط الشرعية الواجبة عند الاختيار، والخطوات السليمة لتتويجها بالزواج.

◆ الشاب (أو الفتاة) الذي يستدر الحب والعطف بأنه مظلوم - أو أنها مظلومة - في هذه الحياة.. هذا الإنسان بهذه الصفة يدل على عدم ثقته بنفسه.. وهذا الشخص لا يُعتمد عليه لو تم الزواج.. ولا يمكنه مقاومة الرياح التي قد تهب على أسرته، والدفاع عنها.. وبالتالي تفقد الأسرة الأمان معه.

◆ ذكريات الحب الأول في حياة الإنسان هي أصعب ما يواجهه الشباب.. وعادة لا يدوم هذا الحب الأول إلا في حالات نادرة.. ولكن الحب فيما بعد الزواج هو أفضل أنواع الحب.. والنساء أكثر ميلا لتذكر الحب الأول، ربما لأنهن لا يقعن في الحب بنفس السهولة التي يقع بها الرجل في الحب.. حيث إن الرجل يمكن أن يحب امرأة من أول نظرة بسبب الانبهار بجمالها ومفاتنها.. في حين أن الحب بالنسبة للمرأة عملية تدريجية، غالبا ما يحكمها الارتباط بزوج يهيئ لها الاستقرار.. ولا بد للإنسان - رجل أو امرأة - أن يعطي لنفسه فرصة كافية، إذا فشل الحب الأول، حتى يقوم الزمن بتغيير المشاعر ويتعود على الحياة الجديدة التي كان يتصور أنه لا يمكن أن يعيشها بدون هذا الحبيب.

والنصيحة للشبان والفتيات، هي عدم الانعزال والانغلاق، لكن التواجد في تجمعات عائلية تشمل أسر لها أبناء وبنات وأصدقاء وصديقات.. وهذا أمر مهم لإتاحة الفرصة للتعرف على الشباب عن قرب ، وفي أحوالهم الطبيعية.. ومن هنا يمكن أن يتم الإعجاب بأحدهم، ومعرفة صفاته في ظروف محترمة تحت ظل العائلة أو الأصدقاء المقربين والأسرة.

وكذلك الانضمام إلى نوادي أو تجمعات شبابية من خلال الأنشطة الصيفية أو مشروعات المجتمع المدني بجمعياته الأهلية وأنشطته الإنسانية.. كل هذه فرص محترمة للالتقاء بشبان لهم أهداف ومبادئ وقيم تتشابه مع قيم ومبادئ الفتيات في الحياة.

والتخلي عن المخاوف المبالغ فيها من جهة الشباب.. واقتحام الحياة من جانبها المضيء.. والتقرب من الدوائر الهادفة التي يشارك فيها شباب محترم يسعى إلى الارتباط الجاد - في ظل الأسرة أو أصدقاء الأسرة - وعدم المبالغة في التشاؤم.. وعدم جعل موضوع الحب والزواج هو الشغل الشاغل؛ لأنه بذلك تتلف الأعصاب ويصاب الإنسان بالاكتئاب كلما طال الوقت.

وليس معنى الفشل في تجربة أو تجربتين أن الحياة توقفت وانتهت، وينعزل الإنسان عن العالم، ويدخل سجن الوحدة والخوف بكامل إرادته المهزومة، ويكتئب.. فربما يقابل في طريق الحياة حب ثان أفضل من الأول.. ويصبح هذا الثاني هو الحب الحقيقي المبني على نضج التفكير والرغبة في الاستقرار والتعايش مع من نحب.. ومن هنا لا بد من الخروج إلى العالم الفسيح.. والاستمتاع بالوقت.. مع البحث عمن يستحق الحب والعطف والحنان والعطاء.. وعندما يأتي النصيب يكون الإنسان مشرقا ومرتويا بالخبرات السابقة، وقادرا على اتخاذ القرار السليم.

ومع السلوك المستقيم، والاعتماد على الله، سوف يتحقق حلم كل شاب وفتاة - ولو بعد حين - بأفضل مما يتوقع الإنسان.

(٣) أثر الأسرة في زيادة أزمة الزواج:

أ- مشاكل الأسرة:

البيت بالنسبة للأبناء - خاصة البنات - يعني الاستقرار، والأمان، والراحة.. ومع الخلافات الزوجية بين الآباء، فإن البنت ستقبل أي زوج يتقدم لها لتتخلص من هذا البيت - بيت أبيها - الذي لا تشعر فيه بالأمان أو الاستقرار أو الراحة.

ونظرا لأن البنت متعجلة في اتخاذ قرارها بالزواج، وبدون تفكير سوى أن تهرب من هذه المشاكل المحيطة بها، كثيرا ما تقع في مشاكل أكبر.. ذلك لأنها رسمت في خيالها صورة للزوج أنه سيخلصها من مشاكلها، ولم تنظر إليه كإنسان له طباعه وصفاته الحسنة، وله أيضا طباعه السيئة ككل البشر.. ولم تعط لنفسها فرصته لتتعرف على سلوكياته وإمكانية أن تتأقلم معه أم لا.

وهذا الزواج المتسرع، بدون تفكير بالعقل، تكون عواقبه الطلاق.. وما يتبع ذلك طبعا من الزيادة في أزمة الزواج.. وتنعي البنت حظها، فلا هي شعرت بالراحة والاستقرار في منزل أبيها، ولا في منزل زوجها.

ومن ناحية أخرى.. فإن مثل هذا الأب بمشاكله الزوجية، أو الأب الذي يتزوج بأخرى ويترك زوجته الأولى وأبناءه بدون عائل وبدون مورد، بالقطع يسبب فشل أو إعراض الأبناء - والبنات بصفة خاصة - عن الزواج.. حيث يترسب في ذهن البنت صورة الأب غير المؤتمن على أفراد أسرته.. وهذا الأب، رجل مثل جميع الرجال.. وبالتالي فإن شعور البنت أن نفس الشيء ممكن أن يتكرر معها إذا أقبلت على الزواج، يجعلها ترفض مبدأ الزواج، لما يعتريها من الحالة النفسية السيئة عن صورة الرجال ممثلة في أبيها.

ب- معارضة الآباء في اختيارات الأبناء لشريك الحياة:

معارضة الآباء لزواج الأبناء ممن اختاروه لحياتهم قد يسبب مشاكل كثيرة بالأسرة، خاصة إذا جاءت المعارضة بدون مناقشة أو تفاهم.. والنصيحة لكل أب وأم أن يترفقوا بأبنائهم ولا يعارضوا في زواجهم بمن يحبونهم.. لأنهم بذلك يدفعون الشباب إلى الحب والزواج السري من وراء ظهورهم.

ونرى أن فترة الخطبة تعتبر حلا وسطا.. ففي خلال هذه الفترة يمكن أن يكتشف الابن عيوب الفتاة التي اختارها، أو تكتشف البنت عيوب الفتى الذي تعلقت به.. وبالتالي يتغير الرأي بناء على اقتناع من الابن أو البنت.

أما أسلوب الأمر، أو الطرد من المنزل، أو المنع من رؤية مَنْ يعتقد - أو تعتقد - أنه الحبيب، أو الحرمان من أي مساعدة مالية، وغيرها من أساليب التعسف مع الأبناء، كثيرا ما يؤدي إلى نتائج عكسية تجعل الابن - أو البنت -

يتشبث أكثر بمن أحب.. وهذا التشبث قد يتم بعيدا عن أعين الأسرة.. وهنا مكمن الخطر.

جـ- تقصير الأب في السؤال والتقصي عن الخاطب لابنته:

من أهم واجبات الأب، أو ولي أمر البنت، أن يسأل عمن يتقدم لخطبتها: أخلاقه، وعمله، وسلوكه، وأهله، وقدرته على تحمل المسئولية، وهل متزوج من قبل أم لا.. إلخ، وذلك حتى تبنى علاقة ابنته الزوجية على أسس سليمة تعينها على الاطمئنان لهذا الزوج، ولا يتركها الأب في مهب الريح لتكتشف مثلا بعد الزواج بالمصادفة أنه متزوج، وأن عنده أبناء.. أو تكتشف مثلا أنه متعلم تعليما متوسطا، بينما ذكر أنه خريج الجامعة.. وهذا الخداع من الزوج لا تتقبله الزوجة، لأن الذي يكذب في شيء قد يكذب في غيره.. ولا يمكن أن تبنى الحياة الزوجية على الكذب والخداع.. وبالتالي تطلب الطلاق.. وتزداد أزمة الزواج.

د- نظرة الأسرة والمجتمع إلى الفتاة التي تأخرت في الزواج:

ارتفاع سن الزواج للفتاة ليس عارا عليها ولا على أسرتها.. ولا يدينها ذلك أو ينتقص من قدرها.. وقد ينسى أفراد الأسرة والمجتمع أن هذه مشكلة عامة نتيجة لظروف عديدة ليس من بينها أبدا الفتاة نفسها.. فهذا فكر جماعي غير ناضج، وهو للأسف تفكير الكثير بالمجتمع الشرقي بإدانة البنت إذا تأخر بها سن الزواج، وكأنها مسئولة عن هذا التأخير.

ويكفي أن نلقي نظرة على عيون الأم التي تتابع ابنتها كلما مرت بها السنوات دون زواج.. وإلحاح الأم لابنتها ولهفتها وشوقها أن تقبل الزواج من فلان أو فلان الذي ترشحه لها.

وإذا ما تمت خطبتها لأحد الشبان، فإنها لا تسلم من نظرات أم الشاب - أي حماتها - التي تلاحقها دائما، وتبحث عن أي عيب فيها، لتذكره لابنها، لعل وعسى أن يتركها ويبحث عن فتاة صغيرة في السن.. وكأنه ارتكب ذنبا أن يتزوج من فتاة كبيرة في السن، على الرغم من أنه أكبر منها بعدة سنوات.

ولأم الشاب نقول: إن لها كل الطاعة من الابن، إلا في أمر الزواج.. فالزواج أمر يخصه وحده.. وما عليها إلا إبداء الرأي والنصح فقط.. وإذا رأت

منه تمسكا بشريكة حياته التي اختارها عن نضج ووعي وحب، فليس أمام الأم إلا أن تحترم رغبته.. وتساعده في تحقيق سعادته، ولا تدفعه إلى عصيانها.. وعليها أن تحتضن ابنها وفتاته التي اختارها، ولا تنغص عليهما حياتهما.. فليس من حق الآباء أن يفرضوا على أبنائهم أن يعيشوا حياتهم بنفس أسلوبهم وبطريقة تفكيرهم.

وهناك أسباب عديدة لارتفاع سن الفتاة في الزواج.. ويكفي أن نذكر هنا مثالا واحدا حتى يمكن للمجتمع أن يقدر ظروف الفتيات اللائي تجبرهن الحياة على العمل والتضحية في سبيل الآخرين حتى تمر بهن السنوات.

ولعل من أوضح الأمثلة التي ربما نسمع عنها كثيرا، هي مشكلة الأخت الكبرى، التي تضحي بنفسها ومتعها في سبيل نجاح إخوتها وسعادتهم.. وتلعب دور الأم لهم وهي ما زالت صغيرة.. وذلك لعدم وجود الأم، أو الأم والأب معا، لأي سبب من الأسباب: إما الوفاة، أو الطلاق، أو المرض.

وعندما تمر السنون تتذكر هذه الأخت الكبرى عمرها الذي مضى وضاع، وتتمنى الحصول على حقها في الحياة مع زوج مخلص يعوضها عن كل ما فقدته من سعادة.. أليس من حقها أن تعيش حياتها الخاصة بعد طول إرهاق وتضحيات؟!.. أم يدينها المجتمع ويقسو عليها لارتفاع سنها وتأخرها في الزواج؟!.

ومما ساعد على ارتفاع سن الزواج أو انتشار العنوسة بالمجتمع، بعد الناس عن منهج الله وسنة رسوله الكريم في أمور الزواج.. والتعنت والمبالغة التي يفرضها الآباء وأولياء الأمور في متطلبات إتمام مشروع الزواج، على الرغم من أن تزويج الشباب أمر واجب حتى لو كانوا فقراء.. هذا علاوة على ما يبثه الغرب عبر وسائل الإعلام عن الحياة الغربية التي قد تؤثر في الشباب، وكذلك الفضائيات وما تبثه من الأفلام والكليبات الإباحية التي تثير الغرائز.

فالمرأة في الماضي كانت محاصرة بالتضييق الشديد لجميع حركاتها وسكناتها.. فلا تتعلم، ولا تخرج، ولا تتكلم إلا لضرورة.. وحاليا أصبحت مندفعة نحو النموذج الغربي المتحرر بلا أي ضوابط أو قيود.. والمطلوب منها الآن الاعتدال في كل الأمور.

ومن أسباب تأخر سن الزواج في المجتمع أيضا، عدم رغبة الشباب في تحمل المسئولية.. والبحث عن المواصفات المادية أو الظاهرية، دون الاهتمام بالخلق والدين.. وكذلك إصرار بعض الفتيات على استكمال تعليمهن الجامعي والدراسات العليا، وجعل الأولوية لذلك.. بالإضافة إلى بعض العادات الموروثة كعدم تزويج الفتاة الصغرى قبل الكبرى.. ومن الواجب أن ننظر إلى الزواج باعتباره المشروع الاستثماري للدنيا والآخرة، الذي يتحقق به عمارة الأرض، وإرضاء الله عز وجل.

وتأخر سن الزواج له أخطاره ونتائجه المدمرة على الأسرة والمجتمع.. فالإسلام دين الجماعة، والتكافل الاجتماعي واجب لتقليل الفجوة بين الأغنياء والفقراء.. ومن الضروري عودة الصحوة إلى مؤسسات الفكر الديني، والأخلاق الإسلامية، حتى يتسنى القضاء على تلك المشكلة.

ثانيا: الناحية المادية

يحرص الإسلام على إتاحة فرص الزواج لأكثر عدد ممكن من الرجال والنساء، ليستمتع كل منهما بالحلال الطيب.. ولا يتم ذلك إلا إذا كانت وسيلة الزواج مذللة، وطريقته مُيَسَّرة، بحيث يقدر عليه الفقراء الذين يجهدهم بذل المال الكثير، ولا سيما أنهم الأكثرية.. ولا شك أن المشاكل والأزمات المادية قد طغت على حياة الشباب في كل شيء بصورة قاسية، وأفقدتهم القدرة على الاستمتاع بأشياء أخرى كثيرة من حوله.

ولا بد للشباب أن يركز على العلم والثقافة التي هي مفتاح الثقة بالنفس والانطلاق إلى الحياة.. كما يجب أن يكون صادقا مع نفسه، ومع فتاته التي أراد أن يخطبها.. ولا يخجل من شيء، خاصة من ضيق ذات اليد.. فالفقر ليس بعيب مادام يسعى بجد في الحياة.. فلا يحق له أن يُنكر أباه، أو يخفي بيته.. بل يشكر أباه الذي رباه وأحسن تربيته، وأوصله إلى ما هو عليه الآن من ثقافة وعلم.. وكذلك يشكر الله أن أغناه بعد ضيق.. فدوام الحال من المحال.. قال تعالى:

* ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾[الضحى].
(ضالا: غافلا عن تفاصيل الشريعة) (عائلا: فقيرا) (فلا تقهر: فلا تستذله) (فلا تنهر: فلا تزجره وارفق به).

فعظمة الإنسان هي في ثقته في نفسه، واحترامه لوالديه.. وهذا يزيد من احترام الناس وخطيبته له وثقتها فيه.. فلا يتردد في التقدم للزواج بها.. وإذا كان غير مستعد ماديا الآن للزواج، واقتنعت به خطيبته، واكتملت صفاته وأخلاقه، فسوف تنتظره وتساعده هي وأهلها بكل إخلاص.

أما عن أهل العروس الذين جعلوا التركيز في الزواج على الأمور المادية فقط
- ماذا يملك الزوج.. كم سيدفع من المهر.. الشبكة.. مؤخر الصداق.. إلخ؟!
- هؤلاء حَوَّلوا الزواج إلى صفقة، وحَوَّلوا المرأة إلى سلعة، تباع وتشترى.. وقد غاب عن الجميع- في كثير من البلدان الإسلامية - ما أرساه الإسلام من مبادئ

وقيم حقيقية لاستقرار الأسرة وسعادتها، وتحقيق أغراض الزواج التي عبَّر عنها القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى:

* ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

وكثير من الناس جهل هذه التعاليم، وحاد عنها، وتعلق بعادات الجاهلية، من التغالي في المهور وغيرها، ورفض التزويج إلا إذا دفع الزوج قدرا كبيرا من المال يرهقه ويضايقه.. كأن المرأة سلعة يساوم عليها، ويتجر بها.. وقد أدى ذلك إلى كثرة الشكاوى.. وعانى الناس من أزمة الزواج التي أضرت بالرجال والنساء على السواء، ونتج عنها الكثير من المفاسد، وكسدت سوق الزواج.. وأصبح الحلال أصعب منالا من الحرام.

وفيما يلي نذكر بعض هذه الأمور المادية التي هي من أسباب البعد عن الدين.. وكذلك البعد عن مفهوم استقرار الحياة الزوجية.. والبعد عن مفهوم السكن والمودة والمحبة.. وكيف أنها أصبحت سببا إلى الفرقة بين الزوجين عنها إلى المودة والمحبة:

(١) المغالاة في المهور:

المغالاة في المهور، أصبح من العادات السيئة والتقاليد الخاطئة التي انتشرت كثيرا، وتعددت صورها، حتى نجدُ - في بعض الأحيان - من يطالب الزوج بتوقيع شيك على بياض بدعوى أن هذه أمور شكلية تهدف إلى تأمين مستقبل الفتاة فقط.. وإذا اعترض الزوج على ذلك أو ناقش الأمر، يتم اتهامه بالتقصير وسوء النية!!.. هذا فضلا عن التسابق في البلوغ بمؤخر الصداق إلى أعلى معدلاته.

هذه الأفعال تعد غشا وخداعا ينبغي على الزوج ألا يستجيب لها، ولا يجوز اعتبارها نوعا من أنواع التقدير والحب من قِبل الزوج، لما قد يتركه في النفس من قلق وتوجس، وعدم سلامة نية أهل العروس.

فالمهر - المقدم والمؤخر - ليس أمرا شكليا، بل هو حق للزوجة يجب أن يُدوَّن كما هو في عقد الزواج دون مبالغة؛ لأنه دَيْنٌ على الزوج لا يسقط بوفاة

الزوجة، بل يتم توريثه.. فماذا يكون الحال عند المطالبة به بعد وفاتها - مثلا - هل يدفع الزوج المتفق عليه حقيقة، أم يكون مطالبا بدفع وسداد ما تم إقراره على الورق؟.

هذه كلها مستجدات يبرأ منها الإسلام.. وما هي إلا عراقيل وعقبات لا تتواءم مع الظروف الاقتصادية الصعبة التي يقابلها الشباب، مما يحول دون تيسير الزواج.. وإن تم الزواج بهذه القيود، فإنه لا يخلو من تحفظات وضغوط نفسية واقتصادية تثقل كاهل الأسرة الوليدة في بدايتها.. فتؤدي إلى توتر العلاقة بين الزوجين.. فاختيار الزوج الصالح هو الأمان الحقيقي للفتاة.. فقد أرشدنا النبي ﷺ لذلك:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»** (رواه الترمذي)(1).

وعندما جاء رجل يسأل الإمام الحسن قائلا: جاءني فلان وفلان لخطبة ابنتي.. لمن أزوجها؟.. فقال له: أعطها لمن يتقي الله.. فإن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها.

وهكذا قيم الإسلام في الزواج.. ولم تعتمد أبدا على الغنى أو الفقر أو المغالاة في المهور.. بل إن البركة في أقلهن مهرا.

* عن أبي العجفاء السُّلمي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ألا، لا تُغالوا صَدُقة النساء، فإنها لو كانت مكْرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها نبي الله ﷺ. ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئا من نسائه، ولا أنكح شيئا من بناته، على أكثر من ثِنْتي عشرة أوقية (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)(2).

---

(1) ت ١٠٨٤ ص ١٤٢.   (2) ت ١١١٤ ص ١٤٦.

(٢) الشبكة:

كثير من الفتيات تطلب الآن شبكة بثمن مرتفع - قد يصل إلى الآلاف من الجنيهات - وقد تصر الأم أو الفتاة على شرائها من محل معين مشهور بالجواهر الغالية، كنوع من المظهرية والمباهاة.. وهذا الأمر يشكل عبئا على العريس من الناحية المادية.. والمشكلة الأكبر أن أهل العروس يعتبرون تلك الشبكة الغالية، مجرد هدية بسيطة تفرح بها العروس.

وعادة ما تقدم الشبكة للعروس في يوم الاحتفال بالخطبة، كنوع من توثيق الصلة بين الأسرتين.. والخطبة - كما نعلم جميعا - أنها فترة اختبار للطرفين، وليست ارتباطا رسميا بالزواج.. وبالتالي إذا لم يتفق الطرفان، ذهب كل منهما إلى حاله وليس عليه ما على الزوجين من مسئوليات.

ولكن - نظرا لأن العريس قدم شبكة غالية - ففي حالة التحلل من الخطبة، غالبا ما تحدث مشاكل بين الطرفين بسبب هذه الشبكة.. فقد تعتبر العروس أنها هدية، والهدية لا ترد، من وجهة نظرها هي.. ويعتبر الخاطب أنها جزء من المهر، وحيث لم يتم الزواج فلا بد من إعادة الشبكة إليه.. وأحيانا تصل المشاكل إلى المحاكم بسبب هذه الشبكة.

ولذا فإنه من الأفضل، أن تقدمْ الشبكة مع المهر أثناء عقد الزواج.. وأن تدوَّن قيمة الشبكة وقيمة المهر في عقد الزواج.. وهذا يُخرجها عن دائرة الهدايا ويلحقها بالمهر.. ولا يدخل أحد في مشاكل ترهقه وترهق المحاكم بالخلافات المستحدثة.

ولا بد أن نؤكد على أن الخِطبة ليست إلا تمهيدا لعقد الزواج.. وهذا الوعد بالزواج لا يقيد أحدا من المتواعدين.. فلكل منهما الحق أن يعدل عنه في أي وقت يشاء.. وهذا لا يكون سببا لأن يطالب أحد الطرفين بالتعويض - كأن يطالب والد العروس تعويضا عن الأضرار المادية والأدبية التي أصابت العروس - طالما لم تحدث أفعال تلحق ضررا بأحد الطرفين.

(٣) أثاث منزل الزوجية:

المسئول - شرعا - عن توفير المسكن وإعداد وتجهيز كل ما يحتاجه من الأثاث، والفرش، والأدوات، هو الزوج.. والزوجة لا تُسأل عن شيء من هذا، لأن المهر حق خالص لها، ليس لأبيها، ولا لزوجها، ولا لأحد حق فيه.

وقد رأى المالكية، أن المهر ليس حقا خالصا للزوجة؛ لأن عليها أن تتجهز لزوجها بالمعروف، أي بما جرت به العادة في جهاز مثلها لمثله بما قبضته من المهر قبل الدخول.

* عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جهز رسول الله ﷺ ابنته فاطمة في خميل، وقربة، ووسادة حشوها إذْخِر (رواه النسائي)[1].. (الخميل: القطيفة، وهي كل ثوب له خميل ووبر من أي شيء) (الإذخر: نبت طيب الرائحة تحشي به الوسائد).. وهذا مجرد عرف جرى عليه الناس.

وقد استوحى واضعو مشروع قانون الأحوال الشخصية مذهب الإمام مالك في هذه الناحية: «إن الزوجة تلتزم بتجهيز نفسها بما يتناسب وما تعجل من مهر قبل الدخول، ما لم يتفق على غير ذلك، فإذا لم يعجل شيء من المهر فلا تلتزم بالجهاز، إلا بمقتضى الاتفاق أو العرف»[2].

وعلى ذلك، فقد جرى العرف على أن يدفع الزوج جزءا من المهر عاجلا (مقدم الصداق) قبل عقد الزواج.. والجزء الثاني آجلا (مؤخر الصداق).

أما إعداد وتجهيز منزل الزوجية، فيشترك فيه الطرفان بالاتفاق بينهما عما يمكن أن يجهزه كل منهما.. وذلك حسب حالة كل من الزوجين.

والجهاز إذا اشترته الزوجة بمالها، أو اشتراه لها أبوها - لإدخال السرور على ابنته بمناسبة زفافها - فهو ملك خالص لها، وقرينة على ملكيتها للأثاث.. ولا حق للزوج ولا لغيره فيه.. ولها أن تمكن زوجها وضيوفه من الانتفاع به.

ولا يجوز للزوج عند الطلاق أن يطرد زوجته.. ويبيع جهازها.. أو يتزوج غيرها على نفس جهازها.

---

(١) ن ٣٣٩٧ ص ٥٥٢.

(٢) فقه السنة جـ ٢ ص ٢٢٦.

ومن الموسف، أن تقوم بعض الأسر - من أهل الزوجة - بتدوين أشياء وهمية، مع المبالغة في قيمة بعض الأثاث الذي قام أهل الزوجة بشرائه.. وإجبار الزوج على التوقيع على هذه القائمة من المنقولات.. حتى إذا طلقها ترفع عليه قضية تبديد أثاث الزوجية، مطالبة إياه - زورا وبهتانا - بثمن أشياء وهمية.

(٤) الإسراف في إقامة الحفلات:

ينشغل الأب كثيرا بزواج ابنته من صاحب المال والجاه.. ويهتم اهتماما بالغا بالمظاهر والشكليات لمراسم الاحتفالات حتى تنال رضى الناس.. ويُصِرُّ الكثير من الناس حاليا على إقامة حفلات الخطبة والزفاف بالفنادق ذات الخمس نجوم.. ومعظم هذه الاحتفالات لا تخلو من مظاهر الانحراف والمخالفات التي لا تليق بواجب الشكر لله - عز وجل - على نعمة الزواج.. فقد أصاب الحفلات حاليا من غبار العولمة الكثير، وحدث لها نوع من التغريب.. فخرجت عن أصالتنا وعاداتنا وتقاليدنا إلى التشبه بالمجتمع الغربي.. ومن أهم هذه المظاهر السلبية نذكر ما يلي:

أ- فستان العروس: نظرا لأن كل العيون مصوبّة نحو العروس في هذه الاحتفالات.. فهي لا بد أن ترتدي فستانا من أرقى الموديلات.. والرقي يختلف من شخص لآخر.. فهناك الكثيرات يرتدين الفستان ذا الحشمة الراقي الذي يتناسب مع هذه المناسبة الجليلة.. أما الأخريات، فكل منهن تختار الفستان على حسب مفهومها الذي تربت عليه.. فقد تختار الفستان الذي يظهر جمالها وكل مفاتنها، عاري الصدر والذراعين، وربما الظهر أيضا كما هو الحال في موديلات البلاد الغربية التي لا تتناسب مع العادات الشرقية أبدا.

ب- الانفلات الأخلاقي: ومنها التبرج الصارخ للنساء.. والاختلاط الفج بين الرجال والنساء، والشبان والفتيات.. والرقص المشترك مع الموسيقى الصاخبة.. والكلمات المبتذلة في كثير من الأغاني.. والحركات المثيرة من الراقصات.. والسهر حتى الصباح، وضياع صلاة الفجر.

جـ- التلوث السمعي: حيث مكبرات الصوت العالية التي لا تهدأ حتى الصباح.. مصحوبا بالصخب الرهيب الذي يزعج الناس ويعتدي على حرياتهم.. ويبدأ

الحفل بموكب من سيارات العائلة تزف العروس بصخب السيارات المزعج على طول الطريق من الكوافير إلى مقر الاحتفال.. ثم ينتهي بزفة السيارات من مقر الاحتفال إلى المنزل أو الفندق.

د- الإسراف والتبذير: التكلف والمغالاة في إقامة هذه الحفلات قد يصل بأسعارها إلى أرقام خيالية.. خاصة إذا أحضروا الطعام من البلاد الغربية - فرنسا أو إيطاليا مثلا - ولو أن هذه المبالغ المهدرة في ليلة واحدة أنفقت على مئات الفقراء لكان ثوابها أعظم بكثير من هذا الإسراف الذي سوف يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة، حتى لو كان ميسورا.

ولسنا ضد الاحتفال بالزوجين؛ لأننا جميعا نسعد حين يتم الزواج على بركة الله.. ولكننا نُذكِّر بالأخطاء التي يرتكبها البعض ممن أصابته العولمة بآثارها. والكل يقلد بعضه في الإسراف والمباهاة والتفاخر وإيذاء مشاعر الغير، دون التفكير في مشروعية ما يفعل.. ولهذا النوع من الاحتفالات آثار سلبية على المجتمع وعلى الزوجين، مما يجعل أفراحنا عبئا علينا في ظل الوضع الاقتصادي السيء الذي نعانيه.

وهذه التكاليف الباهظة قد تكون سببا رئيسيا لعزوف الكثير من الشباب عن الزواج.. وحينما نجعل الزواج الحلال صعبا، فإننا نحول الشباب دون أن ندري إلى الزواج السري أو العرفي وإلى الحرام.

ومن الحلول الجيدة لتوفير جزء كبير من المطالب المادية السابقة.. ظهر نوع جديد من حفلات الزواج وهو «الزواج الجماعي»، حيث تقام حفلة منظمة لمجموعة كبيرة من الأزواج.. وينظم هذه الحفلات هيئات أهلية بمختلف المحافظات، تعمل الخير لتوفير النفقات لرقيقى الحال، وفي نفس الوقت تدخل الفرحة إلى قلوبهم في مثل هذا اليوم السعيد.. وقد يتبرع بعض رجال الأعمال بمبالغ أو أشياء عينية تدخل السرور على الأزواج.. وأحيانا يتبرع الفنانون والفنانات بأجرهم في هذا اليوم لمجموع الأزواج.. وهذا يعتبر من الأعمال الطيبة التي يباركها الله بفضله تعالى.

(٥) حيرة الشباب بين الطموحات والواقع الاقتصادي:

معظم شباب اليوم في حيرة وإحباط أمام الواقع الذي يعيش فيه. . فالشباب لهم آمال وطموحات عريضة. . والمتأمل في حياتهم يجد أنهم يتطلعون بشغف إلى التمتع بأعلى قدر من التعليم الذي توفره الدولة. . كما يتطلعون إلى الالتحاق بعمل مناسب يكفي احتياجاتهم ويرفع من مكانتهم الاجتماعية، ويشعرهم بذاتهم واستقلالهم وانخراطهم في المجتمع. . ثم الزواج وتكوين أسرة وما يتطلبه ذلك من العثور على مسكن وتأثيثه. . والتطلع إلى زوجة مكافئة له في التعليم والثقافة وتتحمل معه المسئولية ليسعدا بحياة مستقرة.

كلها مطالب وآمال وطموحات مشروعة. . ولكن تعترضهم مشاكل ومعوقات، كثير منها اقتصادية. . وإدارية تحول دون تحقيق مصالحهم. . ومشاكل أخرى نفسية كالقلق والضيق والتوتر والغضب. . وكذلك الشعور بالضياع واليأس والاكتئاب. . علاوة على الشعور بالاغتراب بسبب الاستعمار العلمي والثقافي الغربي لعقول الشباب. . وبالتأكيد لا يعاني كل الشباب من هذه المشكلات مجتمعة، بل بدرجات متفاوتة.

إنها المادة التي سيطرت على عقول الكثيرين من الناس، وأنستهم أنفسهم، وأبعدتهم عن فعل الخيرات لحل مشاكل الشباب، ومساعدة من يرغبون في الزواج وليس عندهم القدرة على تكاليفه. .

والسبيل لتحقيق آمال الشباب هو:

- يجب مساعدة الشباب الذين طال انتظارهم لتتويج فترة الخطوبة بالزواج. . فالشاب في العصر الحالي، لكي يوفر متطلبات الزواج بنفسه – دون مساعدة من أب يسانده أو غيره – سوف ينفق ما ادخره طول حياته، وقد يصل ويتجاوز الأربعين من عمره قبل أن يحقق متطلبات الزواج بشكل مُرضٍ له أو لعروسه.
- في مسألة الزواج، يجب تقييم الشاب بناء على الصلاح والخلق. . ولكن يبدو أن فكرة أن أهل العروس يشترون رجلا أصبحت أفكارا قديمة ومغايرة تماما لما يحدث هذه الأيام حيث يتم تقييمه تبعا لمقدرته المالية. .

وقد حثنا الرسول ﷺ وأوصى بالتيسير على الشباب وعدم المبالغة في متطلبات الزواج، ووضع أمور يصعب تحقيقها، مما يجعل الشباب ينغمس في الحرام لإشباع رغباته.. فمن عسر زواجا، فقد يسر زنا.. وكل من يتسبب في إثارة العقبات أمام الزواج، فإنه يسهم في الانحراف والانفلات الأخلاقي.

◆ يجب على الشباب إدراك أن الزواج ليس مجرد لحظات رومانسية يعيشها كل شاب وفتاة، ومنتظرين اللحظة الحاسمة التي تجمعهما في بيت واحد.. ولكن قبل ذلك لا بد من التفكير المنطقي لبناء منزل الزوجية بالإمكانيات المتاحة.. وقبل ذلك بناء العقول بالأسلوب المناسب للتعاون والتفاهم حتى يمتلئ البيت بالحب والود والسعادة.. والبيت الحقيقي ليس بما فيه من أثاث وتحف، ولكن بما فيه من عواطف إنسانية، واستعداد كل طرف لاحتواء الطرف الآخر بكل ما فيه من مزايا وعيوب.

◆ تذكير الناس الذين يكررون الحج والعمرة كل عام - بأنه من الأعظم أجرا عند الله - أن ينفقوا أموالهم في مساعدة الأيتام وطلاب العلم والمرضى والعاجزين عن إعفاف أنفسهم بالزواج.

◆ ومن أوجه الخير أيضا أن يتصدق كل قادر على الزواج بمبلغ من تكاليف الزواج لمساعدة العاجزين عن إتمام زواجهم من الفقراء والكادحين، تقربا إلى الله.

◆ في حفلات الزفاف إسراف ملحوظ ومظاهر كاذبة لا جدوى منها - كما ذكرنا من قبل - وكم نتمنى أن يتذكر أصحاب هذه الحفلات مد يد العون بجزء من هذه التكاليف للفقراء والأيتام والعاجزين عن ضروريات الزواج.

◆ نتطلع ونأمل أن يخصص رجال الأعمال، والمقتدرون، والأندية، ودور السينما والمسارح، نسبة بسيطة من دخولهم لوجوه الخير، ومساعدة الشباب على الزواج.. فإن معاونة البائسين من أبناء هذا الوطن يعتبر صورة حية للإصلاح الذي ننشده ونتطلع إليه.

◆ تشجيع الجمعيات الأهلية والمحافظات والمؤسسات المختلفة بالمجتمع على تنظيم حفل الزواج الجماعي الذي يوفر على الأسر الكثير من المبالغ التي تنفق في الحفلات المنفردة. . وقد تدفع هذه الحفلات الجماعية الكثير من المقتدرين على التبرع لهؤلاء الأزواج بهدايا عينية تعينهم على تأثيث منزل الزوجية.

◆ نظرا لأثر وسائل الإعلام البالغ على الشباب، فإننا نؤكد على أهمية البعد عن إثارة الغرائز، وعن الثقافات الدخيلة على المجتمع، وأن نتمسك بتراثنا وثقافتنا وعاداتنا الأصيلة.

◆ التركيز على التربية الدينية. . لأن الدين وضع الضوابط والقواعد المختلفة للعلاقات الاجتماعية من زواج وطلاق، ومعاملات، وجميع العلاقات الإنسانية. . وكلها تدفع الإنسان على حب الناس والمجتمع وتبعده عن طريق الفساد. . فالدين هو صمام الأمان للفرد والمجتمع.

◆ يجب التركيز على تربية الأبناء ومفهوم الأسرة في المجتمع. . ومعنى الحياة الزوجية السعيدة. . وتوعية المقبلين على الزواج بأهمية بناء بيت سليم على أسس منطقية. . لأن الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع، وهي التي تفرز الأجيال القادمة بالسلوكيات التي تعلموها في المرحلة العمرية الصغيرة داخل الأسرة.

◆ على الدولة أن تدفع الشباب إلى عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ لأنهم أكثر الفئات رغبة في التغيير، وهم مصدر التجديد الثقافي والاجتماعي. . ويتمتعون بالقدرة على الإبداع والابتكار شريطة عدالة التوزيع للثروات والسلطات التي تحسن أوضاع الشباب وتحقق طموحاته.

◆ العمل على سد الذرائع المؤدية إلى خلخلة المجتمع. . ومن أهمها العامل الاقتصادي؛ لأن الفقر، خاصة إذا اقترن مع ضعف الإيمان، كان أساسا لكل الفتن والفساد في المجتمع.

(٦) قبول الفتاة أن تكون زوجة ثانية:

في الماضي البعيد كانت الزوجة الثانية في معظم الأحيان إما امرأة مطلقة أو أرملة، وتتقبل هذا الزواج لتعيش في ظل رجل يحميها اجتماعيا وماديا.. ولكن الجديد الذي طرأ على هذه الظاهرة الاجتماعية، هو إقبال بعض الفتيات الصغيرات على الزواج من رجل متزوج وميسور الحال.. وقبول لقب الزوجة الثانية.

لقد اختلفت كثيرا طموحات بعض الفتيات.. فبعد أن كانت رغبة معظم الفتيات في الرومانسية عند الزواج، تغيرت تلك الرغبات والطموحات لبعض الفتيات - مع الكساد الاقتصادي - ولم تعد مشاعر الحب في المرتبة الأولى، بل تراجعت لتحتل المرتبة الأخيرة، إن وجدت.. ولماذا تتزوج الفتاة من شاب بسيط ما زال في بداية الطريق، وبعد ذلك تعيش معه حياتها كلها في الفقر والكفاح؟!.. أليس أفضل بالنسبة لطموحاتها أن تصبح زوجة ثانية مع توفر المال والرفاهية؟!.. إنها نظرة مادية بحتة!!.

وإذا كانت هذه الرغبة نابعة ممن تخطت الثلاثين وتبحث عن ظل رجل كما يقال، فقد نلتمس لها العذر في قبول العرض بأن تكون زوجة ثانية.. أما أن تكون فتاة صغيرة وتطمع في الرفاهية والمال، وتعتقد أن الزواج مجرد متعة ورفاهية، دون تحمل أي مسئولية، فهذا خطأ كبير، وبعيد كل البعد عن المعنى الحقيقي للزواج.

إنها مشكلة في غاية الخطورة خاصة إذا أقبلت فتاة اليوم على فكرة الزواج من رجل جاهز حتى لو كان متزوجا، وتصبح هي الزوجة الثانية.. لقد انقلب الحال في هذا العصر الذي سيطرت فيه المادة على المشاعر النبيلة.

هذه الزيجات مصيرها الفشل؛ لأنها تقوم على أساس مادي بعيد كل البعد عن معاني الزواج السامية التي حددها الله تعالى من السكن والمودة والمحبة والرحمة.

ونظرا لأن الفتاة هي التي تسعى لهذا النوع من الزواج، فإنه - إذا تم الزواج - يسير بسرعة دون الرجوع لمناقشة كل الأمور، دون تحديد موقف وحقوق ومكانة

الزوجة الثانية في حياة الزوج.. ولذا فإن مثل هذا الزواج محكوم عليه بالفشل، لأن الزوجة الأولى لن تقبل ذلك، وهذا من طبيعتها وهو أمر طبيعي ويجب توقعه.. ولا بد أن تنشأ بينهما مشاكل كثيرة، تنتهي بطلاق الزوجة الثانية؛ لأنه مرتبط أساسا بأولاده وزوجته الأولى.

ورأي آخر يرى أن تعدد الزوجات أفضل كثيرا من تعدد العشيقات الذي ينتشر في الدول الغربية.. وقد يساهم هذا الأسلوب في حل مشكلة العنوسة إذا كان الرجل على مستوى عال، ويستطيع أن يتكفل بمصاريف أسرتين.. ولكن هذا الأمر نادرا ما يحدث، أو تتقبله الزوجتان دون مشاكل.

(٧) الإعراض عن الزواج:

إن كافة الكائنات الحية، ومنها الإنسان، تأتي أحيانا بأعمال لا إرادة لها فيها.. إنما تقوم بما نسميه إلهاما.. والتناسل في الإنسان هو إلهام وإرادة من الله - سبحانه وتعالى - بهدف حفظ النوع البشري وتعمير الأرض.

والتناسل أصبح غريزة في الإنسان لا يتنازل عنها.. وهذا التناسل يمر بعدة مراحل، فيها الكثير من المصاعب.. وبالرغم من ذلك نرى الشخص يتخطاها وهو في منتهى السعادة؛ لأنه سيحصل على بغيته من طفل يحمل اسمه ويحفظ ذكراه، ويدعو له إن كان صالحا.

فإذا اكتملت رجولة الشاب.. ونضجت أنوثة الفتاة.. فإن إرادة الله وإلهامه تناديهما، أن حي على الزواج.. وهو السبيل الوحيد للتناسل والإبقاء على حياة الإنسان.. ويتم ذلك بقوة قهرية لا يستطيع الرجل أو المرأة لها قهرا.. ولم تختلف هذه الظاهرة في الإنسان منذ بدء الخليقة حتى الآن.. إذ يرى الرجل في المرأة ما يجعله يرتاح إليها ولوجوده معها.. ولكل من الرجل أو الفتاة وسائل لا حصر لها لإبداء الرغبة في هذا التزاوج.. نزولا على رغبة خالق السموات والأرض.

* ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ... (٢١) ﴾ [الروم].

وقد هُيئت الأجهزة التناسلية للذكر والأنثى، تهيئة متلائمة لحفظ النوع وتكوين الجنين الذي يكبر تدريجيا خلال عدة شهور، ثم يخرج إلى الحياة.. وتستقبله عاطفة الأبوة وحنان الأمومة.. ويكدُّ الأب ليؤمِّن له مستقبله.. وتتحمل الأم في سبيل طفلها من الآلام ما لا طاقة لغيرها عليها.. والأمثلة على تضحية الأم في سبيل وليدها، وحبها له، وسهرها عليه، لا حصر لها.

◆ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ... ⦗٧٢⦘﴾ [النحل].

تبين مما تقدم أن الزواج ضرورة لا غنى عنها، وأنه لا يمنع منه إلا العجز أو الفجور.. والرهبانية ليست من الإسلام.. والزواج حق مشروع لكل الناس سواء الغني أو الفقير.. والإنسان الذي يُعرض عن الزواج فإنه يفقد كثيرا من المنافع والمزايا في الحياة.. ولذا فإنه من الواجب على جماعة المسلمين العمل على تهيئة أسباب الزواج، وتيسير وسائله حتى يَنْعَم به الرجال والنساء، الغني والفقير، على السواء.

ولكن - بكل أسف - خرج كثير من الأسر عن سماحة الإسلام وسموِّ تعاليمه، وسيطر المال على عقولهم، فأصبحوا عبيدا له، وخلقوا أزمة في الزواج بسبب شروطهم المادية لتحقيق الزواج.. ومما ساعد على ازدياد أزمة الزواج هو الحالة الاقتصادية، والتي بسببها ازدادت نسبة البطالة، مع الزيادة في أزمة المساكن.. وهذا كله دفع الشباب إلى الإعراض عن الزواج.

ومن جهة أخرى فإن الهجمة الشرسة من الفضائيات، بما فيها من إثارة للغرائز.. علاوة على الإنترنت وما يحويه من بعض المواقع الرديئة.. كل ذلك ساعد على تغيير سلوكيات بعض الشبان والفتيات، خاصة ضعاف الإيمان.

وصار الجميع في حيرة لاختيار شريك الحياة بعد التغيرات التي حدثت في السلوكيات والتبرج والتبذل والتشبه بالحرية الغربية دون وعي بمخاطرها.. بسبب ما يداخلهم من الشك والريبة في مسلك بعض الفتيات.

فلا بد من العودة إلى تعاليم الإسلام فيما يتصل بتربية المرأة والرجل وتنشئتهم على الفضيلة والعفاف والاحتشام.. والتمسك بعاداتنا وتقاليدنا وقيمنا الإسلامية الغالية.

ومن ناحية أخرى.. هل تستغنى المرأة عن الزواج؟!.. لا شك أن الفتاة في سن العشرين - ومن قبلها - تسمع وتحلم بالزواج والحياة الوردية السعيدة في ظل زوج يحبها ويدللها.. وهذا ما خلقت عليه الأنثى.. فلم تخلق المرأة ناعمة وديعة جميلة لكي تعيش منفردة أبدا.

والآن - وبعد أن خرجت للعمل - أصبحنا نسمع كثيرا، أن المرأة تحس بذاتها في العمل.. وأنها تفوقت على الرجل في بعض مواقع العمل.. والعمل قد يعطيها الشهرة.. والأهم من ذلك أن العمل يعطيها الاستقلال المادي.. وهذا كلام جميل عن عمل المرأة.

ولكن ماذا عن الحياة الزوجية؟!.. هناك عدة مفاهيم وأفكار لدى الفتيات في هذا الشأن.. نذكر منها:

- هناك الفتاة التي ترفض كل خاطب يتقدم إليها، بحجة أنها تريد استكمال الدراسة الجامعية، ثم الدراسات العليا.. وتمر السنوات دون أن تشعر أنها وصلت إلى العمر الذي يصعب معه إقبال الشباب عليها.
- كما أن الفتيات - وخاصة الأثرياء - تعيش بعضهن مع الخيال، وتريد الزوج «كامل الأوصاف» وتظل ترفض كل خاطب إلى أن تصل إلى مرحلة معينة، إما أن تتنازل عن شرط كامل الأوصاف، أو تعرض عن الزواج.
- والبعض الآخر من الفتيات، في حيرة واكتئاب من كثرة ما سمعوا وشاهدوا في وسائل الإعلام عن الزيجات الفاشلة والخيانات الزوجية والتي تنتهي بالطلاق.. وكل الفتيات لا تحب أن تحمل لقب «مطلقة».. ولذلك ترفض أي خاطب، على الرغم من أنها في حاجة إلى الارتباط بل، تحلم بالزواج ليلا ونهارا.
- أما المفهوم الحديث، فهو مسألة الاكتفاء الذاتي والاستقلال المادي للفتاة.. فهي لا تحب المغامرة بالزواج، وتعيش مكبلة تحت رحمة زوج ربما يمنعها من العمل.. وربما يكون متسلطا.. وربما يكون بخيلا.. وربما وربما.. ولماذا تدخل في مغامرة لا تعرف مصيرها؟!.

لجميع هؤلاء الفتيات.. نقول: إن الزواج لا يمنع الفتاة من استكمال دراستها، ويمكنها أن تضع هذا الشرط في عقد الزواج.. كما يجب على المرأة التي تعلمت أن تعيش الواقع وتعلم أن كل إنسان له مزاياه وعيوبه.. والمهم الاستفادة من فترة الخِطبة في دراسة طباع شريك الحياة، ومدى تحمل عيوبه، ولا تكون فترة الخِطبة بهدف النزهة وتبادل الهدايا فقط، بل هي فترة تخطيط لحياة مستقبلية يظهر خلالها مدى التوافق بين الطرفين.

أما الاكتئاب وعدم الثقة بالنفس وشعور الفتاة بالفشل إذا أقبلت على الزواج، فهذا أمر مرفوض.. فمن النادر أن تعرض وسائل الإعلام شيئا عن حياة الأزواج الناجحين، لأن هذا هو الأمر الطبيعي في الحياة الزوجية.. ولكن الإعلام يبحث عن الشيء الشاذ وهو الفشل في الزواج بصوره المختلفة، حتى نأخذ العبرة.. وليس معنى الفشل في تجربة، أن نُعرض عن الزواج.. بل المفروض أن يتعلم الإنسان من الفشل الجوانب التي تمكنه من تجنب الأخطاء التي قد يقع فيها.

وعن الاكتفاء الذاتي، والاستقلال المادي للفتيات، فنقول لهؤلاء الفضليات الناجحات في العمل: إن هذه المبررات الانهزامية للإعراض عن الزواج لا تتناسب أبدا مع مستوى الحديث عن النجاح في العمل.

فيجب أن تعلم الفتاة أنه مهما كانت كنوز الدنيا، فإن الإنسان لا يستغنى عن الشريك الذي يأنس إليه - صباحا ومساء وطول العمر - وهذه فطرة الله التي خلقنا عليها.. ولن يسعد الإنسان بهذا الشريك إلا بالزواج الذي أحله الله.. ولا ننسى أن المرأة جُبلت منذ طفولتها على الأمومة، فنراها وهي طفلة تلعب وتُحدث العروسة وتحاول إرضاعها وإطعامها.. وهذه مظاهر، نراها ونحس بها، ولا يمكن مخالفة طبيعة أجسامنا وما تحس به قلوبنا وترتاح إليه نفوسنا.. فالمرأة السوية هي التي تجمع بين أنوثتها وعملها وتربية أبنائها في نفس الوقت.. وهذا ليس بالمستحيل، خاصة أن دور حواء المقدس هو دور الأم.. ولا يمكن لأى رجل في العالم أن يتنافس معها في هذا الدور عظيم الشأن.

فالإعراض عن الزواج ليس من طبيعة الإنسان.. ولكنه مخالفة وعناد وسوء تقدير يحتاج إلى معالجة لتفكير الشبان والفتيات،ومعالجة من المجتمع لتهيئة الظروف التي تساعد على الزواج.

ثالثا: الجهل أو عدم الاهتمام بشرائع الدين

ما معنى الدين؟.. الدين هو مجموعة من العقائد والقواعد والآداب والأحكام التي شرعها الله - سبحانه وتعالى - لعباده.. فالإنسان له تساؤلات فكرية وعقلية، وحاجات شخصية ونفسية واجتماعية، لا يجيب عنها سوى الدين.

فعلى المستوى الفكري والعقلي يتعرف الإنسان على الله من خلال أسمائه الحسنى، وكذلك من آياته الواضحة في الكون بسمائه وأرضه.. ونجد في الدين أيضا الإجابات عن الإنسان ذاته، ووظيفته في الحياة، ومصيره بعد الموت بناء على أعماله في الحياة الدنيا.

وعلى المستوى الشخصي، وما يحمله الإنسان من آمال، وآلام، وصحة ومرض، فهو يتعرف عليها من الدين.. وقد أثبتت الدراسات العملية، أن الأعمال الصالحة والعبادات، وفي مقدمتها الصلاة والصيام والزكاة، تساعد على إفراز مواد داخل الجسم تنشط خلاياه المناعية، وتساعده على تخفيف ومقاومة الأمراض العضوية - كأمراض القلب وغيرها - وتخفف كذلك من المتاعب النفسية والعصبية والقلق والاكتئاب والتوتر بصفة عامة.. ولا يغيب عن الذهن أن الهدف من العبادات كلها، إنما هو صقل النفس الإنسانية وتهذيبها، وذلك عن طريق القرب المستمر من الله عز وجل.

وقد بدأت حديثا نظريات إدارة الضغوط النفسية وتدريبات الاسترخاء - منها اليوجا - تظهر على ساحة الطب النفسي.. ومدربو الاسترخاء أكدوا أنه لا بد لكي يرتاح المخ ويتمكن من استكمال مهام اليوم، أن يقوم الإنسان بعملية الاسترخاء الذهني للفصل بين مشاكل الحياة بالعالم الخارجي إلى عالم السكينة والطمأنينة الداخلية.

والأفضل من اليوجا، هو الخشوع في الصلاة والانتقال من عالم الضغوط الخارجية إلى منطقة المشاعر الهادئة والطمأنينة والسكينة بين يدي الله.. مما يساعد على تهدئة ضربات القلب، وطمأنينة النفس، وانخفاض الضغط، والحد من التوتر والشد العصبي، ويهدئ من سورات الغضب.. فيخرج المرء من الصلوات، وقد انتهى من التوتر.

والصيام كذلك يساعد على تنشيط الجهاز المناعي لدى الإنسان.. وهذا يفسر الراحة النفسية التي يشعر بها الصائم خلال شهر رمضان الكريم.. كذلك الحفاظ على الزكاة والصدقات، وصلة الأرحام، وغيرها من العبادات والأعمال الصالحة، كلها تكسب الإنسان راحة نفسية كبيرة.

فالأشخاص الذين يجعلون الدين جزءا مهما في حياتهم، يقل لديهم التوتر والاكتئاب والأمراض النفسية والعضوية.. لأن نور الإيمان - الذي نسعى جميعا لنقتبس منه - يخترق الروح والقلب، ويهون على الإنسان مشاق الحياة، ويجعله يفكر بالحكمة والعقل في كل أموره الخاصة، وأمور أسرته، وأمور مجتمعه.. وبدون الدين، يقع الإنسان فريسة اليأس والاكتئاب والتشاؤم والإحباط، والانتحار أيضا.

وعلى المستوى الاجتماعي، فقد نظم الدين، ووضع الضوابط والقواعد لمختلف العلاقات الاجتماعية، من زواج وطلاق، وتربية أبناء، وصلة رحم، وصداقه، وتجارة ومعاملات، إلى آخر العلاقات الإنسانية.

فالدين هو صمام الأمان للفرد والمجتمع للوصول بسفينة الحياة إلى بر الأمان. وفيما يلي نوضح أثر الأسرة والمجتمع في التربية الدينية للنشء والشباب:

(١) أثر الأسرة في التربية الدينية:

الأسرة هي مجموع الأشخاص من زوج وزوجة وأبنائهما، الذين يظلهم بيت، يأوي إليه الجميع، ويشعرون فيه بالاستقرار والأمن والسكينة، والحب المتبادل بين أفراد الأسرة الواحدة.. والأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع ككل.. فإذا صلحت الأسرة، صلح المجتمع.. وتربية الأبناء، وتنشئتهم النشأة الصالحة - دينيا وخلقيا وعاطفيا - تعتبر من أوجب الواجبات على آبائهم.. حتى يشبوا أسوياء نافعين لأنفسهم ومجتمعهم؛ لأن أبناء اليوم هم شباب الغد، وقادة المستقبل.

واللوم كل اللوم لكل زوجين ينفصلان، ولا يشغلهما إلا سعادتهما وراحتهما فقط، دون الأبناء.. فإذا اكتشفا صعوبة الاستمرار في الحياة الزوجية، فإن أول واجباتهما هو الاهتمام بمستقبل الأبناء، وتوفير المناخ المناسب ليعيشوا في

جو من الحنان والألفة، ولا تنعكس عليهم الخلافات والصراعات التي أدت إلى طلاق الأبوين.. فليس هناك أغلى من أن يعيش الأبناء وسط الأسرة والأهل والأحباب.

وفيما يلي نستعرض المطلوب والمرفوض في تربية الأبناء داخل الأسرة، والتي قد تؤثر فيهم منذ الطفولة، وتكون سببا في أزمة الزواج عندما يصلون إلى مرحلة الشباب.. لأن التربية الدينية تنهى عن كل ما يضر بالأبناء حالا ومستقبلا:

أ- القدوة الحسنة:

حرصا من الإسلام على سلامة ونقاء الأسرة المسلمة، وعلى أن ينشأ الأبناء نشأة سوية كريمة، فإنه أراد لهم أن يكون المناخ الذي يشبون فيه مناخا إسلاميا يحكم طرفيه (الزوج والزوجة) كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ومن أجل ذلك وضع الإسلام أولوية صلاح وأخلاق الشخص عند الاختيار لشريك الحياة كأساس لحق الأبناء على أبويه.. فالأخلاق والتدين هما أساس الاختيار السليم.. والعلاقة عندما يكون أساسها الدين، ينشأ الأبناء نشأة إسلامية، ويعرف كل من الأب والأم حقوقهما وواجباتهما تجاه الآخر وتجاه الأبناء.. ويصبح الزواج حينئذ مؤسسة صالحة وتربة خصبة لنشأة أبناء أسوياء صالحين.. ذلك لأن الصغار يكتسبون العادات.والأخلاق والقيم من المحيطين بهم وخاصة أقرب الناس إليهم.. فلا بد أن يتمسك الآباء بالأخلاق والقيم الإسلامية، ليكونوا قدوة حسنة لدى أبنائهم.

ففي المراحل الأولى لتكوين الابن، يتعلم بالاقتداء أكثر مما يتعلم بالتلقين. فإذا رأى الابن والده يصلي مثلا، انطبعت الصلاة في ذهنه وقام بمحاكاة والده وإن لم يتم توجيهه لذلك.

ومن الصفات التي يكتسبها الأبناء بالممارسة الفعلية وترسخ في أذهانهم منذ الصغر، هي صلة الأرحام وبر الوالدين.. والعطف على الفقراء والحديث معهم بلطف ولين، والإنفاق عليهم من زكاة وصدقات.. وكلها صفات تنطبع في نفوس

الصغار من قبل أن يفهموا مقاصدها ومعانيها الدينية لمصلحتهم ومصلحة المجتمع في التكافل الاجتماعي والتعاون بين جميع أفراد الوطن الواحد.

ومرحلة الطفولة هي مرحلة الصفاء وخلو الفكر.. وتوجيه الطفل للناحية الدينية يجد قبولا من عقله ويملأ فراغا في قلبه.. كما أنها مرحلة تتوقد فيها ملكات الحفظ والذكاء، فيجب تنمية هذه الملكات وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وغرس الثقافة الإسلامية والقيم والأخلاق في الأبناء منذ الصغر.. وهذا الأمر مرتبط ارتباطا وثيقا بثقافة الوالدين.. فإن ميول الأبناء الثقافية عادة ما تكون تبعا لميول والديهم.

فالأب الفاضل المتدين الذي يربي أبناءه على طاعة الله - عز وجل - وخشية الله في السر والعلانية.. والأم الفاضلة التي تركز على تثقيف نفسها، وإسعاد زوجها، والعبور بالأبناء إلى بر الأمان، هما القدوة الحسنة الصالحة.. وعندما يكبر الابن أو البنت يتمنى كل منهما أن يرزقه الله بشريك الحياة الذي له نفس السلوك والأخلاق التي اكتسبوها من آبائهم، وانغرست في نفوسهم منذ الصغر.. فالقلوب العامرة بحب الله والأسرة والوطن هي التي تمتلك مفاتيح السعادة وتستطيع أن تنتصر على ما تواجهه من محن وآلام في الحياة.. كما أن القلوب التي تخاف وتخشى الله في السر والعلانية هي القدوة التي يُعتمد عليها في بناء الأسرة والمجتمع على أساس سليم.

ومن السلوكيات الحسنة التي يتعلمها الأبناء، تتضح فيما يشاهده الأبناء من العلاقة الحميمة المحترمة والكلمات المهذبة بين الأبوين والتعاون والتآلف.. وعلى عكس ذلك تماما تتأذى نفوسهم كثيرا وتضطرب وينتابهم الشعور بالخوف وعدم الأمان حينما يشاهدون الأب والأم في حالة غضب، وكل منهما يعلو صوته على الآخر بالألفاظ السوقية.. ويزداد بكاء الأطفال والشعور بالضياع إذا تطاول الأب على الأم باليد وبالإيذاء البدني والنفسي، أو الطرد من المنزل.. ومن أجل ذلك ينبغي توفير الجانب النفسي الملائم من قبل الوالدين بالامتناع عن كثرة المشاكل التصادمية التي تؤثر على الصحة النفسية للأطفال.

ويغفل كثير من الآباء أن عيون الصغار ترصد خطاهم، وتختزن لغتهم وتصرفاتهم.. ولأن الصغار يعجزون عن المواجهة، وعن التغيير، فقد يعزلون أنفسهم ويصيبهم الاكتئاب.. وقد يصيبهم أيضا الفشل في الدراسة والحياة والزواج فيما بعد، في نفس الوقت الذي يتعجب فيه الآباء من أسباب فشلهم بالرغم من توفير كل طلباتهم المادية.

ومن الملاحظ حديثا أن هناك انهيارا في منظومة القيم والأخلاق.. بدأت بالتدريج منذ سنوات، ومازالت - بكل أسف - تزداد حتى الآن.. فهناك خلل في الموازين الأخلاقية والسلوكيات في ظل الضغوط الاقتصادية للأسرة، والتي بالطبع تنعكس على المجتمع ككل.. فالعلاقة المتوترة بين الآباء والأبناء، أفرزت بعض الأبناء العاقين.. وأصبحنا نسمع عن ابن يطرد والدته من أجل زوجته، وآخر يطرد والده من أجل الشقة.. وغيره يحجر على والده من أجل الطمع في المال.. وهذه الحالات وإن كانت نادرة، إلا أن وجودها هو جرس إنذار ينبه إلى الخطر الذي يجب علاجه قبل أن ينتشر.

ب- بعض المبادئ الأساسية في تربية الأبناء:

من المؤسف أن نجد بعض الشباب يعيش فراغا عاطفيا ونفسيا ودينيا.. ولا يوجد دور تربوي أو إرشادي من الأسرة يساعد على الاعتدال والوسطية في كل الأمور.. فالأبناء نعمة من الله، وحبهم من الطبيعة البشرية، ورعايتهم وتربيتهم من المسئوليات الأساسية للآباء.. وفيما يلي نذكر بعض المبادئ الأساسية في تربية الأبناء:

◆ **بث روح الحياة الجميلة:** من الواجب تعليم الأبناء في الصغر مبادئ الحياة الجميلة، ورسم البسمة على شفاههم، وزرع المحبة والتسامح بين الإخوة.. وذلك بالتحفيز تارة بالهدايا والألعاب المفيدة التي تنمي الذهن، وتارة أخرى بالوعود للتنزة.. وتعليم الطفل الصغير كيف يحب ويحترم الآخرين.. وكذلك تعليم الشباب معنى الحب وعودة الضحكة إلى الوجوه والقلوب.. فالحب هو الذي يزرع الرحمة في القلوب، ويؤلف بين الناس.

◆ **العدل**: العدل بين الأبناء -ذكورا وإناثا- من الأمور التي أوجبها الشرع وأكدتها السنة النبوية.. فلا يجوز تمييز الذكر عن الأنثى، أو أحد الأبناء عن الآخرين.. أو تفضيل أبناء زوجة على أبناء الزوجة الأخرى، أو إهمال أبناء الزوجة المتوفاة.. فكل ذلك وغيره من صور التمييز بين الأبناء يرفضه الشرع الحنيف.. بل إن العدل لا بد أن يمتد إلى توزيع القبلات والعطف بينهم بالعدل، لأن الأبناء يرصدون كل أفعال الآباء الصغيرة والكبيرة، وتُختزن تصرفاتهم في أذهان الأبناء، وتنعكس بعد ذلك رويدا مع الكبر، إما بالغيرة من بعضهم أو الحقد أو الكراهية، ويتسبب بذلك الآباء في انتزاع الحب والتراحم بين الإخوة الأشقاء...

ومن الصور البغيضة التي نراها في التميز بين الأبناء، أن يحرم الأب بعض أبنائه من الميراث أو يخص الذكور دون الإناث، وذلك بتحرير عقود بيع وشراء صورية في حياته، ويقع بذلك في إثم عظيم لمخالفته قوله سبحانه وتعالى:

* ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ...(٩٠)﴾ [النحل].

◆ **الأخذ والعطاء**: حين تربي الأسرة أبناءها على الأخذ دون العطاء، فإنها تحرمهم من نعمة الحب.. فالحب لا ينمو إلا بالعطاء.. أما بالأنانية وحب الذات فلن يجني صاحبها إلا بُعد الناس، بل بُعد الإخوة أيضا عنه.. كما أن الأنانية تجعله غير قادر على الاعتماد على نفسه في الكبر، لأنه تعود الأخذ فقط.

◆ **حرية الاختيار**: إعطاء الابن - منذ فترة التكوين في البدايات الأولى من عمره - حق الاختيار لملابسه أو اللعبة التي يريدها، أو أي شيء يريده بشرط ألا يضره، فإن ذلك يعطيه الإحساس بكيانه ووجوده، كما يعطيه السعادة لأنه حقق رغبته.. علاوة على ذلك يجعل له شخصية مستقلة ناجحة، فلا يكون تابعا أو منقادا، لا رأي له ولا موقف.. وتتجلى قيمة حرية الصغير في الاختيار، أن ما يختاره سيكون حريصا عليه ومهتما به وسعيدا باختياره .. وهذا يعتبر من أسباب نجاحه مستقبلا في الحياة.. فهذه الحرية في اختيار أشيائه الخاصة منذ الصغر، تجعله في الكبر يختار شريكة الحياة بعقلانية واقتناع.

◆ **تقنين العواطف**: توفير كل طلبات الصغير - حتى لو كانت فوق طاقة الآباء - ليس من التربية الصحيحة، لأنه يصبح مدللا، ولن يجد ذلك في الحياة

عندما يكبر؛ لأنه لا يعرف، ولم يتعلم معنى المشاركة في الحياة بحلوها ومرها.. وبالتالي سيقابل مشاكل كثيرة.. فإذا حدث وتوفي ذلك الأب الذي دلله، فإن الابن يصاب بصدمة، لا تجعله يقف موقف الرجولة والاعتماد على نفسه.. وعادة ما يصبح هذا الابن ناقما وعاقا للآباء عند الكبر.. ويتحسر الآباء على نكران الابن لجميلهم، ولم يدركوا أنهم كانوا الأساس في تدليله.. فمن الأولى أن يبكي الابن الصغير عند رفض بعض طلباته، عن أن يبكي الآباء بعد ذلك.. وحتى نحسن تربية الأبناء ورعايتهم، فلا بد من تقنين العواطف.. فلا إسراف في التدليل، وكذلك لا إسراف في القسوة.. لأن كليهما يؤدي إلى الضرر بالأبناء.

◆ **تعليم الصلاة:** من أوجب الواجبات ألا ينشغل الآباء برعاية الأبناء عن أداء الفرائض الدينية، فيحرموا أنفسهم وأبناءهم من بركات الله تعالى.. كما يخسروا الأبناء ويخسروا أنفسهم.. فالصغار يحاكون الآباء في الصلاة.. وعند الصبا لا بد من تعليمهم القواعد الصحيحة للصلاة، وتأديتها في أوقاتها في جماعة.. فالصلاة ليست مجرد أقوال وأفعال بلا وعي وتدبر، بل لها أهداف سامية، وبعد أخلاقي في تهذيب النفس وإصلاح المجتمع والارتقاء بالأخلاق.. لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿ ... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ .... ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت].

والصلاة وسيلة يستعين بها المؤمن على مواجهة أحداث الحياة، وعلى الصبر والثبات في كفاحه في دنياه، فيستمد من ربه العون، ويستلهم الثقة والطمأنينة.. قال تعالى:

* ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة].. (لكبيرة، أي شاقة وثقيلة).

والمسلم الحق حين يؤدي الصلاة، ويحسن القيام بها، والإفادة منها، والمداومة عليها، يظهر أثرها في حياته، وتعمل عملها في تهذيب نفسه وتطهير قلبه، والبعد عن مخالفة أوامر الله تعالى، فيعرف حق الله عليه، وحق العباد، وحق المجتمع.

ومع تعليم الصلاة، يتعلم الأبناء قراءة القرآن، والدعاء، والصدق، وفعل الخيرات، والأمانة، والرحمة، والاتحاد، والاستقامة، وآداب الاستئذان، وحمد الله وشكره على نعمه التي لا تحصى.. قال تعالى:

* ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ... ۝٧﴾ [إبراهيم].

* ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى].

❖ **تعليم الصبر**: كلما كبر الصبي، لا بد أن يزرع الآباء في داخله الصبر على أي أذى يقابله، وكذلك الصبر لتحصيل العلم والاجتهاد فيه، وتعليمه أن الحياة تُعرِّض الإنسان لمواقف يضيق فيها صدره، ويتعثر في الدنيا فتضيق به الأرض.. وينفعل انفعالا مبالغا فيه، إما بسبب القهر أو الإحباط في العمل أو زيادة الضغوط والأعباء عن طاقة الإنسان سواء في العمل أو المشاكل العائلية.

والصبر يعطي للإنسان الفرصة للاحتفاظ برؤية أوضح للأمور، ويجعله يرى الموقف الصعب في حجمه، ولا يعتبره مسألة حياة أو موت.. فيتعامل معه باعتباره مشكلة يمكن حلها.. فالصبر هو مفتاح النجاح في الحياة.. والعاقل من يتذكر أن أبواب الفرج مفتوحة.. وأن يملأ قلبه بالإيمان والتوكل على الله، ولا ييأس من رحمة الله.

والصبر: هو حبس النفس وترويضها على ما تكره، وتوطينها على تحمل المشاق، وتجنب الجزع.. فهو تحمل المكاره مع عناء النفس.

والصبر الجميل: هو الذي لا شكوى معه إلى الخَلْق.. فهو بطولة قلبية، وشجاعة نفسية، وعزيمة قوية.. يقاوم به الإنسان وساوس الشيطان وأهواء النفس.

أما الرضا: فهو أعلى درجة من الصبر.. إذ هو تقبل الأمور - سواء كانت نفعا أو ضرا، خيرا أو شرا - عن طيب خاطر مع طمأنينة القلب وهدوء النفس، والتسليم لأمر الله.. فهو أعلى درجات الراحة النفسية في الحياة.

والمسلم يميز ببصيرته بين المواطن التي يُحمد فيها الصبر.. فهو لا يصبر على الذل، ولا يستسلم للطغيان.. أما صبر المسلم فهوه قوة دافعة تجعله أصلب عودا وأشد بأسا، فلا يجزع ولا يفزع.

فإذا انتهت هذه الدنيـا، وانطوت صفحتها، فـإن للصابرين من عظيم الأجر وكريم الجزاء ما ينسـيهم ما لقوا في هذه الحياة من جـهد وعناء.. قال الحق تبارك وتعالى:

* ﴿ ... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر].

* ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد].

* ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ... ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزمر].

❖ **فن معاملة الناس:** في مرحلة الشباب، يكتـسب الأبناء فن معاملة الناس من الآباء أولا عن طريق مشاهدتهم لمعاملة الآباء مع غيرهم، وكذلك من خبراتهم في الحياة.. فلا بد أن يتـعلم الأبناء أن البشر مختلفون في طبـاعهم وأخلاقهم.. ففيهم المتعلم والجاهل.. وفيهم الصالح والمفسد.. ومنهم الصغير والكبير.. وكل شـخص له صفـاته التي يتمتـع بها.. والمهم مـعـاملة كل شخص قـدر فـهمـه ومجادلتهم بالتي هي أحسن.. ومن المهم الرحمة بالصغير.

كما يجب توجيه الابن بأن يتسم بالحكمة ونور البصيرة والوعي الكافي لفهم الناس من أقـوالهم وسلوكـياتهم.. فـلا يندفع نحـو سوء الظن حـتى لا يقع في الإثم، كما لا يتمادى في حسن الظن حـتى لا يتورط في الغفلة.. يفترض حسن نواياهم وفي نفس الوقـت يتقـصى مكرهم.. يلتـمس الأعـذار للناس، ولكن لا يبرئهم من النفس الأمـارة بالسوء.. يتسامح مع الأخطاء، ولكن يتنبـه إلى التدبير والخداع الذي يصـدر من بعضهم مـهما كـان ظاهرهم في لباقة تصـرفاتهم وحلو كلامهم.. لقوله تعالى:

* ﴿ ... وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ... ﴿٣٠﴾ ﴾ [محمد].

وفي القول المأثـور: المرء مخبـوء تحت لسانه: وفي كل المعـاملات يجب أن تراعي حدود الله التي أمر بها سبحانه وتعالى.

ومن الأمور المهـمة، تربية الابن الشاب على أسلوب المعـاملة مع الأخوات والجنس الآخر ككل، والدفاع عنهن وحماية الحرمات والأعراض والغيرة عليهن.. وأن يتجنب العنف أو المشاجرات معهـن.. وأن يشعر بمشاكل المجتمع في داخله،

وبمدى الجرم العظيم الذي قد يفعله بعض الشباب من جرائم مع الفتيات، من معاكسات أو تحرش أو اغتصاب أو زواج سري.. وبذلك ينطبع في داخله وازع الضمير والأخلاق وحسن السير والسلوك، والدفاع عن أي فتاة تجرفها الظروف إلى الوقوع في فخ شاب معدوم الضمير.

وبمناسبة الحديث عن فن معاملة الناس.. فإنه من الضروري توجيه الحديث إلى الأبناء ليتعلموا فن معاملة الآباء حتى تكون الأسرة صالحة.. فالاحترام واجب.. وبرهما وطاعتهما في غير معصية الله.. وإيصال الخير لهما.. وبذل المعروف، وإسداء الجميل إليهما بالقول والفعل.. وكف الأذى عنهما.. والاستغفار والدعاء لهما.. وإكرام صديقهما.. قال تعالى:

* ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ... ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت].

* ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء].

والأحاديث النبوية الشريفة في هذا المجال كثيرة.. نذكر منها:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال ﷺ: **«أمك»**. قال ثم من؟ قال: **«أمك»**. قال: ثم من؟ قال: **«أمك»**. قال: ثم من؟ قال: **«أبوك»** (متفق عليه)(١).

* وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»** قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: **«يَسُبُّ الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه»** (رواه البخاري)(٢).

(١) ر ص ٣١٦ ص ١٣٥.   (٢) خ ٢٠٠٨ ص ٤٦٦.

وكثير من الأبناء لا يلتفتون لاحتياج الأب من مشاعر الحب.. ربما لطول غيابه عن البيت بسبب عمله، وربما لعجز الرجل الشرقي أو خجله في التعبير عن مشاعره، مما يباعد من المسافة بينه وبين أبنائه، فلا يعبر كلاهما عن حبه للآخر.. وغالبا ما يخجل الأب من استجداء هذه المشاعر، بينما يراها سهلة ومنهمرة تجاه الأم.

◆ **تحمل المسئولية:** وهذه نقطة مهمة في أسلوب التربية من البداية للابن والبنت، ولها دور كبير في مستقبل الأبناء.. فلا بد أن تُربى البنت على تحمل المسئولية، حتى تتمكن من التعايش مع أسرتها المستقبلية بإمكانيات زوجها، وتحسن التدبير بمنزلها.. لأن من شَبَّ على شيء شابَ عليه.. كما يجب تربية الابن أيضا على مساعدة أفراد الأسرة، وشراء طلبات المنزل أسبوعيا، واصطحاب الصغار للنزهة والتسوق، وذلك حتى يتعوَّد على هذه السلوكيات، وأن يكون في خدمة أهله في حياته مع أسرته الجديدة في المستقبل.

هذه بعض المبادئ الأساسية في تربية الأبناء.. ومن المؤكد أن الواقع في التعاملات اليومية مع الأبناء يفرز الكثير من المواقف التي يجب أن يتسم فيها الآباء بالحكمة، واتباع شرع الله في حسن المعاملة بالرفق واللين في كل الأمور.. ولا يقف الآباء نداً لأبنائهم وعناداً بعناد.. لأن ذلك يقطع الطريق على الأبناء في الطاعة والاستجابة للآباء.

جـ- الحوار مع الأبناء:

ترتبط قلوب الآباء ارتباطا فطريا بالأبناء.. والمجتمع الإسلامي يعطي الناشئة عناية خاصة، ويعلق عليهم الآمال في المستقبل.. ولذا يوصي الإسلام باستقبال الوليد بفرحة ورضا - ذكرا كان أو أنثى - مع إحسان تسميته، والحرص على سلامته، والتدرج في تربيته بحنان ورفق.. ولهذا يجد الصغير من التوجيهات السديدة التي تأخذ بيده تدريجيا، ويشب على طريق الحق والسداد.

والمصلحون كانوا في هذا المجال من التربية الدينية، آيات صدق وشموس هداية.. يترفقون بالصغار، ويخشون عليهم، ويبثون فيهم روح الحنان، حتى إذا شبوا في المجتمع، ينعكس أثر هذه التربية والعاطفة في سلوكياتهم، ولا ينحرفوا أو ينجرفوا إلى تيار الفساد.

والأسرة تزداد ترابطا من خلال التفاعل اليومي مع بعضهم بعضا، ومواجهة ظروف الحياة اليومية، ما بين الفرح والحزن والكفاح وغيره.. وباعتبار الأسرة هي أساس المجتمع، فإنه ينبغي على الآباء الاهتمام بالأبناء ومجالستهم ومداعبتهم والرفق بهم، في الحياة.. وحتى لا يبحثوا عن أشخاص آخرين خارج المنزل، فإنه على الآباء أن يبحثوا معهم مشاكلهم وإرشادهم وتعليمهم والأخذ بيدهم إلى طريق الأمان واكتساب الخبرات في الحياة.. فالتربية الهادفة هي التي تشمل جميع الجوانب المعنوية والمادية.. والتعبير عن ذلك بالإقناع دون مصادرة أو إلغاء لآراء الأبناء بحجة أنهم صغار.

وعندما يتدرج الصغير في مراحل السن المتتابعة، ينبغي أن يحرص الآباء على تنمية مواهبه، وبناء شخصيته المتميزة.. فلا يُهملوا رأيه، ولا يكتموا شعوره، ولا يتجاهلوا إحساسه بذاته.. ولذا ينبغي العناية الكاملة به، وتقويمه بالتعاليم المفيدة، وتربيته على أدب الحوار، وتدعيم حياته بحسن الرعاية، وجميل الآداب، حتى يشب على القيم النبيلة والأخلاق الحميدة.. وبذلك يحقق الآباء لأنفسهم البر والإحسان، ويحققوا للمجتمع الأهداف التي تنشر الأمن والسلام والاطمئنان والحق والعدل والعلم، وكل آمال المجتمع المرجوة.

فإذا كانت العلاقة التي يقيمها الآباء مع أبنائهم تتسم بالصراحة والاحترام، فحينئذ تكون هناك فرصة للتحدث وفتح مجال للحوار والمناقشة بلا خوف، وبلا تغيير في الحقائق، إذ يشعرون بالحب وبالصداقة المتبادلة بينهم وبين أبنائهم رغم اختلاف الأجيال.

ويخشى الكثيرون من الآباء والأمهات فكرة أن أبناءهم يمرون بمرحلة المراهقة.. فيبدأون في توقع الخطر في كل تصرف وكلام للأبناء كما يشعرون أن أبناءهم يخبئون عنهم بعض الحقائق ولا يتحدثون بصراحة.. فيشعر الأبناء بالتوتر نتيجة لهذا الخوف والحب المبالغ فيه.. وللآباء والأبناء الحق فيما يشعرون به من توتر.. فالآباء يسمعون عن الإدمان، والاعتداءات، والسرقات، والبلطجة، فيخشون على الأبناء.. أما الأبناء فإنهم يحاولون أن يطمئنوا والديهم ليكتسبوا ثقتهم.. فالعلاقات بين الآباء والأبناء المبنية على الصراع، وتجنب الكلام بصراحة، ومن سينتصر في نهاية الجدال، كلها علاقات مغلوطة.. لأن الوصول إلى التفاهم لن يحدث إلا بالمحبة.. ولا حل لإزالة هذا التوتر الحادث بالأسرة إلا بالصراحة والصدق من الأبناء في الأقوال والأفعال.

ودور الأم مع ابنتها في فترة المراهقة يعتبر من أهم وظائفها التربوية.. فالفتاة في هذه المرحلة من العمر، تنمو عندها بسرعة مشاعر الحب والانجذاب إلى الجنس الآخر.. ويكون لديها الفضول والرغبة في دخول تجربة الحب، التي تسمع عنها وتراها في عيون بعض صديقاتها.. وبالتالي فقد تنخدع بالكلمات المعسولة التي يبثها في أذنيها أي شاب عابث، يلعب بعواطف الفتيات تحت مسمى الحب.

فالأم عليها أن تحتوي ابنتها بفهم ووعي لطبيعة هذه المرحلة العمرية.. وإقامة حوار مفتوح معها دائما.. ولا يجب على الأم أن تجعل دورها الأمر والنهي، بل الاستماع والإنصات، والتعاطف مع الابنة في كثير من الأحيان، مغلفة بالنصيحة والمواعظ، والإرشاد في سياق الحديث المستمر بينما.

وهكذا تتحول الأم إلى صديقة - أكبر سنا، وأعمق تجربة - مدركة للمشاعر الجياشة للبنت في هذه المرحلة.. ولا بأس أن تحكي لها بعضا من ذكريات الماضي المفيدة لهذا العمر، وبعض أحداث مرت بها الصديقات، والعبرة من كل حكاية أو حديث.. فيتحول الحديث بينهما إلى دردشة بين صديقتين حميمتين، ويكون ذا أثر بالغ في تشكيل فكر ابنتها، وتكوين شخصيتها، وتدعيم ثقتها بنفسها، والحد

من تأثير صديقات وأصدقاء السوء عليها.. وعدم الخوف من مصارحة أمها بمشاكلها ومشاعرها.. وليس ذلك فقط، بل على الأم تعليم ابنتها كل ما يهمها كأنثى.. وتعليمها قواعد الصحة ورعاية الطفل.. والطهو ونظافة وأناقة المنزل من خلال الحوارات المختلفة، والدروس العملية تحت إشرافها.

والأبوان عليهما مسئولية كبيرة تجاه الابن، خاصة في مرحلة المراهقة.. واتخاذه كصديق، وتحذيره من قرناء السوء.. ولا مانع من استضافة أصدقائه بالمنزل حتى يتعرفوا على أسلوب تفكيرهم وآرائهم وسلوكياتهم.. ومتابعة تصرف الابن فيما معه من نقود.. وعدم إعطائه ببذخ.. أو إعطاء الأم نقودا للابن مع إخفاء ذلك عن الأب.. لأن كثرة المال مفسدة للأخلاق خاصة في هذه المرحلة من العمر.

ومنذ عدة عقود، كانت الأسرة تتميز بهدوء أفرادها، وانتمائهم لقائدها - كبير العائلة - سواء كان الأب أو الأم أو الأخ الأكبر، مع قوة تماسكهم، وانتشار روح التضحية وإنكار الذات بينهم مهما كانت الظروف الحياتية.

ولكن ساد العنف، وانعدام الحوار، وزاد التفكك بين أفراد بعض الأسر في العصر الحالي.. ولم تقتصر هذه السلوكيات على الفئات ذات المستوى المتدني، بل امتدت إلى معظم الفئات.. ولا شك أن حالة العراك التي يعيشها المجتمع الآن، إنما هي بسبب غياب الحوار الصادق الهادف داخل الأسرة، والذي يترتب عليه عمى البصيرة عن حقيقة الدين، والابتعاد عن مكارم الأخلاق.. علاوة على ظروف المجتمع الاقتصادية التي جعلت الناس تلهث للحصول على الضروريات للمعيشة والحياة الكريمة.

وغياب الحوار بين أفراد الأسرة له أسباب عديدة، نذكر منها ما يلي:

◆ **غياب الأب**: هناك أنواع من غياب الأب عن الأبناء:

الغياب الكامل بالسفر إلى خارج البلاد: حيث يقوم الأب بدور الممول - أي البنك - وهذا يؤدي إلى رفض وجود الأب الذي يعود ليؤدي دورا تربويا.. وحتى

الأم قد لا ترغب في قيامه بالدور التربوي؛ لأنها تعودت على أن تقوم بدور الأبوين معا، وقد يتعارض معها في بعض الآراء في فترة إجازته التي يقضيها مع الأسرة.. وهذا الوضع يؤدي إلى تصدع الأسرة.. علاوة على تعويد الأبناء على النمط الاستهلاكي؛ لأن المسافر يريد تعويض أسرته بكثرة الهدايا والأدوات الاستهلاكية.

أما النوع الثاني فهو الغياب بدون سفر: وذلك بالعمل مثلا في أكثر من وظيفة، أو بالعمل فترتين، كمحاولة للحصول على القوت اللازم للأسرة.. أو بالعمل في القطاع الخاص الذي يستهلك طول اليوم.. وبكل أسف، فقد لوحظ أن معظم أصحاب الأعمال بالقطاع الخاص يريدون أقل عدد من العمالة، ويحملونهم أكبر كمية من الأعمال، دون مراعاة لأن هذه العمالة سوف تستهلك، وأن من حقهم العمل لساعات محددة والراحة حتى يواصلوا العمل في اليوم التالي كما هو الحال في الدول الرأسمالية الأخرى.. وحتى إذا حددت مواعيد للعمل، فإنها تكون شكلية فقط؛ لأن كل فرد من العاملين يريد المحافظة على وظيفته، وبالتالي لا يمكنه أن يخرج من العمل إلا بعد الانتهاء من كم الأعمال الضخمة الملقاة على عاتقه.. والمحصلة أن الأب غائب عن الأسرة بدون سفر، ويعود للمنزل ينشد الراحة وليس في مقدرته الحوار أو النقاش مع الأبناء إلا النزر اليسير الضروري.

والنوع الثالث هو غياب الأب داخل البيت: وهذا النوع هو الأسوأ على الإطلاق.. فإذا اعتبرنا أن السفر أو العمل المتواصل طول اليوم، أنه نوع من الكفاح للمضطر، لكي يؤمن الحياة المعيشية لأسرته، فإن غياب الأب داخل البيت يدل على عدم فهمه للدور التربوي المفروض عليه نحو أبنائه.. فقد ينشغل هذا الأب في البيت بالتليفزيون، أو الجرائد والمجلات، أو الإنترنت، أو يقوم بالزيارات للأصدقاء واللعب معهم.. وكأن الأبناء مسئولية الأم فقط.. فهو لا يتفاعل مع الأبناء، ولا يتناقش معهم في مشاكلهم ولا يسعى لحلها، وليس له وجود في حياتهم الوجدانية.. ومن العجيب أنه إذا فشل أحد الأبناء أو وقع في مشكلة، فإن هذا الأب يلوم الأم على سوء تربيتها للابن!!.

◆ **كثرة واجبات الأم**: فقد أصبحت الأم تدور في دوامة العمل خارج وداخل المنزل، ورعاية الأبناء، ومتابعة دروس الأبناء التعليمية.. وإذا اقتطعت أوقاتا للحوار والدردشة مع الأبناء، فإنه قطعا على حساب صحتها أو التقصير في أي من الأعمال المنوطة بها.. ولذا فإن بعض الأسر تفضل أن تترك الأم عملها خارج المنزل، وتتفرغ للأبناء.. والحقيقة أنه لم يثبت بأي حال أن أبناء الأم غير العاملة يكونون أفضل حالا.. والسبب أن هذه المرأة تنحصر حياتها داخل دور واحد وهو رعاية الأسرة، وتعتمد على الزوج في كل الأعمال خارج المنزل، مما يشعرها مع الوقت بالإحباط والانعزال عن العالم الذي يعيش فيه الزوج والأبناء.. وتقل خبراتها في التعامل مع الناس وفي مواجهة المشاكل والأزمات.. كما أن حالتها النفسية تزداد سوءا كلما كبر الأبناء وقل الاعتماد عليها، فتشعر أن حياتها مليئة بالملل والفراغ، ولم تتمكن من التواصل مع الجيل الجديد من الأبناء.

أما الأم العاملة، وإن كان العبء عليها أكبر، والجهد مضاعف لكي تقوم بواجباتها داخل المنزل وخارجه.. إلا أن نفسيتها أفضل، لأنها أكثر تفتحا وخبرة بالحياة.. وتتعاظم قدرتها على التواصل مع زوجها والأبناء .. وتتمكن من متابعة دروس الأبناء التعليمية.. كما أنها تعطي مثلا طيبا للأبناء على قيمة العمل والكفاح، مما ينمي فيهم الإحساس بتحمل المسئولية، ويكون لديهم الفرصة للاعتماد على النفس.. والأم الناجحة هي التي توازن بين دورها كأم وزوجة وبين عملها خارج البيت.. وهذا يتطلب التفاهم بين جميع أفراد الأسرة.. على أنه من الضروري أن تتفرغ الأم لرعاية الأبناء في السنوات الأولى من عمرهم.

* **الكمبيوتر ووسائل الاتصال الحديثة**: لقد ساعد الكمبيوتر والتليفزيون وكل أجهزة الاتصال الحديثة من الموبايل (التليفون المحمول)، والنت وغيرها، على انعزال الأبناء عن بعضهم، وعن الآباء والأمهات.. واختفى عصر العلاقات الحميمة والقيم الجميلة والتفاف الأسرة حول مائدة الطعام.. وتم استبدالها بمحلات الوجبات السريعة.. وهذا أمر في منتهى الخطورة، إذ إن مفهوم الأسرة سوف يخرج عن نطاق المنزل، ويصبح أصدقاء الشاب في النادي والدراسة هم أسرته التي يبوح إليهم بمشاكله.. وتتشكل طباعه وسلوكياته طبقا لطباع وسلوكيات الأصدقاء وليس بتوجيه الآباء.. أما مشكلة الفتيات، فهن أحيانا

موضع شك واتهام من قبل الآباء.. وهذا الشك مصدره الخوف عليهن.. إلا أن ذلك يجعل هجوم الآباء مثيرا لهن في أي مناقشة.. وبالتالي تتفادى الفتيات اللجوء إلى الحوار أو النقاش في أي مشكلة أو أي موضوع.

ويتضح مما سبق أن من أهم أسباب الخلل الحادث بالأسرة، هو العامل الاقتصادي الذي جعل الأب يغيب عن الأسرة.. كما أن عدم جودة التعليم بالمدارس نتج عنه عبء كبير مادي ومعنوي على الأسرة.. والأم بالذات أصبحت تبذل جهدا مضاعفا لتحقيق آمال الأبناء في التعليم الجيد ومتابعة دروسهم التعليمية، وتتحمل بذلك فوق طاقتها من الأعمال.. وبالتالي لم يحصل الأبناء على الوقت الكافي مع الآباء والأمهات للحوار والتوجيه والتربية وتقويم السلوكيات.

فلا بد للدولة أن تجد حلا سريعا للمشاكل الاقتصادية التي تكفل العيش الكريم للأسرة.. وكذلك الاهتمام بالتعليم الجيد بالمدارس ولا تلقي به على كاهل الأسرة.. وذلك حتى تسترد الأسرة دورها الطبيعي، وتجد الوقت الكافي للحوار والمناقشة مع الأبناء وحسن تربيتهم حتى يصبحوا أعضاء نافعين للمجتمع.

د- مراقبة سلوك الأبناء ومنع أسباب الانحراف:

من الواجبات المهمة المفروضة على الآباء، مراقبة سلوك الأبناء، والتعامل معهم بحزم مع الحنان في آن واحد.. وذلك للحفاظ على حياتهم وعلى مستقبلهم، وإرشادهم وتقويم سلوكهم.. والعمل دائما على اقتلاع الجوانب السلبية في سلوكهم، ومحاربتها عن طريق بيان خطورتها.. ونذكر من ذلك:

- إبعاد الأبناء عن أصدقاء وصديقات السوء الذين لا يدركون مدى خطورة الطرق الملتوية التي يسيرون فيها في الظلام، دون اهتمام أو إدراك لما يحدث مستقبلا من الوقوع في فخ الإدمان.. أو التهور في قيادة السيارات وما يسببه من ضحايا.. أو ارتكاب الجرائم التي تمس الشرف ومنها معاكسات الفتيات سواء باللفظ أو بالإشارة أو الفعل.. وغير ذلك من العلاقات المشبوهة.

❖ يجب على الآباء أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم في الملبس والسلوك.. ومراقبة ملابس الأبناء قبل خروجهم من المنزل.. فالحجاب ملابس الفضيلة التي تدعو إلى الفطرة السليمة.. ودليل الحياء والاحترام وبرهان الأدب والكمال.. وقد شرعه الله للمرأة ليجعلها كالجوهرة الثمينة، فلا تمتد إليها يد أو لسان بسوء.. وهناك بعض الفتيات ترى أن الحجاب يكون ملزما عند تقدم السن وليس في فترة الشباب.. وهذا الرأي قلب للأوضاع، لأن الحجاب فُرض لستر الجمال والزينة وليس لستر الشعر الأشيب والتجاعيد.

وكذلك الشبان الذين يلبسون البنطلونات ذات الخصر الساقط، مما يُظهر مؤخرتهم لأقل انحناءة. وأيضا البنطلونات الجينز المقطعة غريبة الشكل وسيئة المنظر.. وكلها تقليد أعمى للموضات الغربية الشاذة، والتي لا يلبسها في تلك البلاد الغربية إلا رجل الشارع.

❖ من الضروري أيضا مراقبة ما يشاهده الأبناء بالتليفزيون من القنوات الفضائية.. وتحذيرهم أشد التحذير من الاستخدام السيء للكمبيوتر عن طريق البريد الإلكتروني أو غرف الدردشة (الشات)، وكذلك استخدام التليفون المحمول (الموبايل) في غير الغرض الأساسي منه.

❖ عدم السماح للأبناء بالسهر طول الليل بدون مراقبة، ثم النوم بالنهار.. لأن ذلك سيعمل على عزل الأبناء عن المجتمع والحياة الطبيعية، علاوة على أنه عكس طبيعة الجسم الذي خلقنا الله عليها.

❖ تحذير البنات من العودة إلى المنزل في وقت متأخر من الليل.. وتحذير الأولاد من التسكع بالشوارع والسلوكيات المشبوهة بالطريق.

ولمنع أسباب انحراف الأبناء.. فقد ذكرنا من قبل أهمية التربية الدينية، وأن يكون الآباء قدوة حسنة للأبناء.. ويعلموهم الأخلاق الفاضلة والسلوكيات المهذبة.. والحوار وجلسات النقاش الودية داخل الأسرة.. إلخ.

ولكن للأسف، قد يكون الآباء أنفسهم السبب في انحراف الأبناء.. ونذكر من ذلك:

- حبس الأبناء بالمنزل دون تعليم.. فذلك يجعل الأبناء خامة سهلة للتغرير بهم بمجرد الاحتكاك بالعالم خارج المنزل.
- الحرمان من حنان الأب ودفء الأم.. يجعلهم يبحثون عن هذه الاحتياجات العاطفية خارج المنزل.
- القسوة من الأب أو الأم أو كليهما، مع الضرب والإذلال للأبناء، لا بد أن يجعل الأبناء يهربون من المنزل إلى عالم المجهول، بحثا عن الحنان والحماية.
- الأب الحاضر الغائب، يخرج أبناؤه إلى المجتمع بشخصيات مهتزة أو مختلة.
- طغيان القيم الاستهلاكية، والتطلع إلى الكسب المادي وإلى السلطة والنفوذ، من الأسباب التي تؤدي إلى الفساد، والجرائم أيضا.
- الأب الذي يكره البنات، ويفضل عليهن الأولاد، يزرع الحقد بين الإخوة والأخوات، علاوة على أن الأولاد سيتشربون نفس سلوك الأب، المقترن بالقسوة على الجنس الآخر.
- الأب الذي يُزوج ابنته في صفقة تجارية لمصلحته الشخصية دون النظر لحق ابنته في العيش بكرامة مع زوج يحترمها.. فهذا الزوج - الذي اشتراها بماله - سوف يحتقرها ويعاملها كجارية في خدمته، وربما خدمة أمه وأسرته كلها.. فتحس الفتاة بالاضطهاد والكراهية والغضب في داخلها.. ولا تجد مخرجا لهذه الظروف إلا الهروب بحثا عن المعين.
- الخلافات الزوجية، وافتقاد دور الأب، وغياب التفاعل بين الأم وأبنائها، من أهم أسباب التعثر الدراسي لدى الأبناء، على الرغم من الذكاء الفطري لديهم.. والتعثر الدراسي يتبعه عدم الثقة بالنفس والشعور بالفشل، وبالتالي اللامبالاة بالمستقبل.. وصداقة الفاشل لا تكون إلا مع فاشل مثله.. وهذا يقودهم إلى طريق الانحراف.

- الخيانة الزوجية بين الأب والأم، لهـا أكبر الأثر في انحراف الأبناء؛ لأنه سلوك ينطبع في ذاكرة الأبناء من الصغر، مما يجعلهم يرفضون الزواج عند الكبر.
- التفكك الأسري هو المسئول عن كثير من انحـراف الأبناء، ودفعهم إلى الزواج العرفي أو السري.. علاوة على الانخراط في الجرائم المختلفة دون وعي أنهم يضرون أنفسهم.
- انفصال الأب عن الأم، والاستسـلام لفكرة الطلاق حتى يستريحوا هم، دون النظر إلى تأثير ذلك على الأبناء، وحـرمانهم من حقوقهم الشـرعية في العيش ببيت آمن مستقر.. ويدفع الأبناء ثمن سوء اختيارهما لبعضهما البـعض من قبـل الزواج.. علاوة على توزيـع الأبناء الأشقـاء بين الأب والأم.. وكل ذلك يؤثر في الأبناء ويدخلهم فـي متاهة لا بد أن تـقودهم إلى الانحراف.
- المنازعات والـضغائن بين المطـلقين، دائما ما يـدفع فاتورتها الأبـناء قبل أطراف النزاع.

فهل يرتدع الآباء ويندمون على مـا ارتكبوا في حق أبنائهم؟!.. وهل يمكن للآباء أن يتـحـملوا عـذاب الضميـر بعـد أن يروا آثار جـريمتهـم على أبنائهم، وانحرافهم عن الطريق المستقيم؟!.. وهل يسارعون إلى تصحـيح ما يمكن تداركه حتى لا ينزلق الأبنـاء في تيار الإجرام والانحـراف أكثر من ذلك؟!.. إنهـا دعوة لكل أب وأم لعلها تتحقق، وننقذ المجتمع من شرور الفساد والإجرام.

هـ- النظرة إلى مستقبل الأبناء:

الحيـاة بما ينشدها الإنسـان من أمن وأمان واسـتقرار وسكينة واطـمئنان حق للأبناء على آبائهـم، منذ الولادة حتى الكـبر.. وعندمـا يصل الابن إلى مـرحلة الشباب، لا بـد أن له آمالا وطموحات مشـروعة يريد أن يحققـها.. وعلى رأس هذه الآمال والطمـوحات: العمل؛ ليكسـب قوته ويحقق ذاته ويفـيد وطنه.. ثم الزواج والاستقرار في سكن خاص لتكوين أسرة جديدة.

لا شك أن احتياج الشاب للمال هو أولى طموحاته.. لأن المال عصب الحياة.. وعادة ما تكون طموحات الشاب أكثر بكثير من قدراته الجسمية أو الذهنية.. فقد يرغب أن يكون بطلا رياضيا، وفي نفس الوقت مريض بالقلب مثلا.. أو يرغب أن يكون طيارا، ولكن نظره ضعيف.. أو يريد أن يقيم مشروعا وليس عنده خبرة على الإطلاق فيه.. وهكذا.. وهنا يكون دور الآباء أن يترفقوا به، ويعملوا على تعليمه وتوجيهه إلى الوجهة الصحيحة التي تتناسب مع مواهبه وقدراته.. لأنهم أقرب الناس إليه، وهم أعلم بقدراته وإمكانياته الذهنية أو مواهبه.

فمن حق الابن على الآباء - منذ فترة الصبا - أن يتعلم ما يعينه على الاستقلالية والاعتماد على النفس.. وذلك بتعليمه مجالا معينا أو نشاطا يميل إليه ويرغب فيه.. غير أن هناك - للأسف - بعض الآباء يرغمون أبناءهم على ممارسة نفس مجالهم، حتى لو كان غير مناسب لميولهم.. فلا يجوز للآباء إجبار أبنائهم على أن يمارسوا نفس نشاطهم حتى لو ظنوا أن ذلك هو الأفضل، من وجهة نظرهم.. بل يجب فقط توجيه الابن ومساعدته على ما يميل إليه ما دام عملا مشروعا.. لأن إجباره على غير ما هو مستعد ومهيأ له يجعله يفشل فيه، ويفوته ما هو مهيأ له.. ويصيب الابن الاكتئاب، ويشعر أنه إنسان فاشل في الحياة.. ويكره الأب الذي تسبب في فشله.

ونظرا لأن هذه المرحلة من العمر في مرحلة الشباب تتطلب أمورا حياتية كثيرة، فهو في حاجة ماسة إلى المال بالسرعة السريعة.. وقد يراوده فكرة الحصول عليه بالطرق المشروعة أو غير المشروعة.. وهنا دور الأب في كبح جماح الابن، إما بالمساعدة المالية أو الإقناع بالتريث والتفكير بروية.. وكذلك قد تطرأ في ذهن الابن فكرة مشروع، يريد تنفيذه بسرعة دون دراسة كافية.. وهنا أيضا دور الآباء في إعادته إلى الصبر والتفكير السليم؛ لأن كل شيء يحتاج إلى وقت ودراسة واجتهاد حتى يتم على أساس سليم، وحتى لا يندم بعد ذلك في اتخاذه قرارات سريعة قد تضر بمستقبله.

وللأسف هناك بعض الآباء يطيعون الابن في أفكاره المتسرعة، دون مراجعته ظنا منهم أنهم بذلك يبعدون شبهة التقصير نحو ابنهم.. فيبيعوا كل ما لديهم، ويسلموا المال لابنهم ليحقق مشاريعه وطموحاته التي يطلبها.. ولكنها قد تكون طموحات وأفكار غير مدروسة جيدا.. وبالتالي تضيع الأموال، ويخيب أمل الابن وييأس ويكتئب، ويندم الآباء على خسارة المال، وضياع أمل الابن.

ومن المؤكد أن نقص فرص العمل والبطالة تؤدي إلى تدني مستوى المعيشة، والإحباط واليأس والانحراف أيضا.. ولكن حين يستنفد الابن كل فرص البحث عن أي عمل حتى لو كان بسيطا أو غير متناسب مع أوضاعه الاجتماعية.. فهنا يجب على الآباء، أو العائلة كلها، أن تتكاتف لمساعدة مثل هذا الشاب في البحث عن عمل له، بدلا من تركه لليأس والإحباط أو الهجرة المشروعة أو غير المشروعة من الوطن إلى عالم المجهول.. وهل هناك هدف أهم وأسمى من مساعدة أحب الناس، للخروج من مأزق البطالة إلى الاستقرار المادي الذي يفتح أمامه الأمل للعمل وإظهار مواهبه والعطاء لأسرته ومجتمعه؟!.

ولا يقتصر هذا الأمر على الأسرة فقط، بل إن المجتمع المدني والجمعيات الأهلية عليها أن تعمل على ضمان التكافل الاجتماعي حتى يستوعب الراغبين في الانضمام إلى سوق العمل.. كما أن التعليم لا بد أن يفرز خريجين قادرين على العمل بالسوق مباشرة.. علاوة على وسائل الإعلام التي عليها الإعلان عن الوظائف المرغوبة.. وعليها أيضا حث الشباب على المثابرة والعزيمة وإرادة السعي، وعدم الاستماع إلى دعاوى الإحباط والتشكيك والتقليل من شأن الوطن الذي هو أولا وأخيرا الملجأ والملاذ الذي يضمن الحماية والرعاية والكرامة لأبنائه.

◆ زواج الأبناء:

يجب إعادة النظر في مفاهيم الزواج بعد القصور الذي أصاب التربية الخاصة بالزواج للجيل الجديد؛ ذلك لأنه لم يعد يستوعب الحقوق والواجبات المفروضة عليه قبل أن يُقدم على الارتباط.

فكثير من الأبناء ينجرفون وراء مشاعرهم، ويصمون آذانهم، ويغمضون عيونهم، فلا يرون الواقع، ولا يستقرئون المستقبل.. فيندفعون خلف نبضات

قلوبهم، معتقدين أن السعادة تختبئ خلف هذا الإحساس الغامض الممتع، ألا وهو الحب كما يعتقدون.. وذلك عكس ما يراه الآباء بعيون خبيرة، وعقول عركتها الحياة، وزادتها خبرة وصلابة.. لهذا فإن الحوار والإقناع من الضروريات المهمة جدا في هذا الوقت.. وكذلك ضرب الأمثلة للتفرقة بين الحب الحقيقي الذي يختلف عن الهيام والخيال.. مع شرح المزايا والعيوب.. وأن الحب الحقيقي لا يبنى على العواطف فقط، بل على العواطف والعقل معا.. فالعقل والعواطف هما الأساس للبيت السعيد.. وهذا الحب المزعوم قد يترك جرحا في نفس الابن.. ولا دواء له إلا بالاندماج في العمل، والأمل في مستقبل أفضل.

وعند اختيار الابن للزوجة، فإنه على الآباء أن يتقصوا الحقائق حول مشروع هذا الزواج.. وأن يقدموا النصيحة.. ولكن لا يفرضوا عليه زوجة معينة.. ولا يقسموا بالله: «إذا تزوجت فلانة فأنت لا ابني ولا أعرفك» كما سمعناها كثيرا في الأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية.. ولا يطردوا الابن من المنزل.. فكل هذه التصرفات مرفوضة.. فإذا كانت التربية من الأساس سليمة، فسوف يستخدم الابن حقه في الإختيار الصحيح الذي يباركه الله، ويباركه الآباء.

كما أن ضغط الأب أو الأم على ابنهم بالزواج المتعجل من فتاة معينة من أقاربهم، يعتبر خطأ كبيرا.. لأن عوامل الوراثة قد تؤثر سلبا على الجيل التالي من الأبناء.. علاوة على أن المجاملات قد تصلح في أشياء كثيرة إلا في الزواج.. فإذا تصادف وكان الابن مطيعا لهما وتزوج ممن رشحوها له، فقد تحدث مشاكل وعدم توافق، ويصبح الطلاق هو الحل الوحيد أمامه.. ولكن عادة ما يبدأ الضغط عليه مرة أخرى من الأب أو الأم بعدم الطلاق، بحجة أن العلاقات بين الأقارب ستنقطع.. وهكذا يعملون على تدمير حياة الابن، على الرغم من أن الهدف - من وجهة نظرهم - كانت لإسعاده.. هذا، وقد أخطأ الآباء من قبل في عدم تعليم هذا الابن منذ الصغر الاعتماد على نفسه، والاعتداد برأيه، واختيار ما يشاء، خاصة في أمور الزواج.

وما دمنا نتحدث عن الأسرة.. فإن هناك حالات عكسية، لها ظروف خاصة.. ذلك عندما يكبر الأبناء ويصبح كل منهم مشغولا مع زوجته وأبنائه

وحياته مع أسرته الجديدة.. ويتركون الأب الأرمل وحيدا يعاني من تدهور الصحة والاكتئاب.. وإذا أراد هذا الأب أن يتزوج - بعد إعمال العقل وليس مجرد عواطف مراهقة - من سيدة لها نفس الظروف، تتوافق معه، وتؤنس وحدته، وتداوي جراحه. يثور الأبناء، ويضغطون عليه ألا يفعل، وذلك بحجة الإحراج أمام الأصدقاء!!.

هذه الضغوط في أمور الزواج، سواء من الآباء للابن، أو من الأبناء على الآباء، تسبب مشاكل كثيرة وعناء نفسيا كبيرا.. ولا بد أن يخرج موضوع الزواج خارج دائرة المجاملات بين الأقارب والأصدقاء.

كما أنه من الضروري مقاومة العادات القديمة التي كانت تتبعها كثير من الأسر خاصة في الريف.. حيث كانت تحدد أن «فلانة لفلان» وذلك منذ أن يكون فلان وفلانة هؤلاء صغار لا يفهمون شيئا ولا يدركون معنى الزواج.. وعند الكبر قد يكون لكل من هؤلاء الأبناء رغبات أخرى غير التي حددتها الأسرة.. وهذا قد يجعل بعض الأسر يأخذون موقفا رافضا لأي خاطب يتقدم للابنة.. وهذا ظلم يقع عليها دون ذنب جنته.. وهذه كلها عادات تدل على الجهل، وعدم فهم الأضرار الوراثية التي قد تنشأ من زواج الأقارب.

وقد يميل الأب لزواج ابنته ممن تتحقق به مصلحة أو منفعة دنيوية له.. بل قد يجبرها أحيانا على هذا الزواج.. وهذا الأمر مرفوض شرعا.

ومن الملاحظ أيضا أن بعض الآباء والأمهات يتعاملون بحساسية زائدة، ولا يجيدون التعامل مع ابنتهم التي تأخرت نسبيا في الزواج، وكأنها مصابة بمرض خطير.. وهذا خطأ كبير، يؤثر على نفسيتها، وربما هذه الحالة النفسية تجعلها فعلا ترفض أي خاطب يتقدم إليها.. ومما يزيد من هذه المشكلة أن وسائل الإعلام تستخف بمن تأخرت في الزواج، وتجعلها مادة للفكاهة.

وأحيانا يكون تكوين الأسرة غير سليم، ويريد الأب والأم فيها سرعة زواج البنت، إما لتخفيف المسئولية عن الأسرة، أو اعتقاد بأن زواج البنت «سترة».. وبالتالي يتم تزويجها في سن مبكرة دون أن تفهم البنت التعاليم الصحيحة والسليمة للزواج.

وأحيـانا أخـرى لا تجد البنت الإشـباع العـاطفي الكافي من الأب أو الأم، وبالتالي تبحث عن هذه العواطف خارج البيت، وتسارع إلى الزواج لعله يعوضها عن هذا النقص.. ولكن مثل هذا الزواج محكوم عليه بالفشل.

وكثيرا ما يتمسك بعض الآباء بعـادات قديمة مثل عدم زواج البنت الصغرى قبل الكبرى.. فـإذا تأخرت الكبرى في الزواج، لأي سبب، فإن جمـيع أخواتها مـوقوف حـالهم معـها.. فـالزواج قـسمة ونصـيب.. ورزق من الله.. ويجب التخلص من هذه العادات القديمة.. لأنها قد تولد البغض بين الأخوات.

(٢) أثر التعليم في *التربية الدينية*:

العلم والثقافة همـا الاستثمار الحقيـقي للبشر، ووسيلة تغيـير المجتمع نحو الأفضل في الفكر والسلوك والرؤى المستقبـلية.. ولذا فإنه يقع العبء الأكبر على المؤسسـات التعليـمية المخـتلفة - من الحـضانة إلى الجامـعة، علاوة عـلى البحث العلمي - مسئـولية عظيمة في نهضة الأمم.. ومـعظم الدول التي تسعى للوقوف في صفوف الأمم المتـقدمة، ترصد أموالا طائلة على التعليم والصـحة.. فالعلم مفتاح العقل والمعرفة.. والعقل السليم في الجسم السليم.

ومن الملاحظ في مجتمعاتنا أن معظـم أفراد الشعب حريصون ومقبلون على التعليم بدرجة كبيرة.. وهذه نعمة عظيمـة للأمة إذا أحسنت استخدامها وتنشيطها بالكيف لا بـالكم.. ولكن المشكلة حـاليـا تكمن في التكـدس الرهيب في دور التعليم بمستوياته المختلفة، مع قلة المـوارد المادية الرهيبة سواء في التعليم أو البحث العلمي، مما يؤثر سلبا على أسلوب المردود التعليمي والتـربوي والثقافي، والنهضة والتقدم للمجتمع ككل.

والمسئولية في هذا الشأن تقع على الحكومة وجميع المؤسسات في تطوير نظم التـعليم.. مع ضـرورة منع التـدخل الغربي الأجـنبي في نظم التـعليم لأنه شيء يخص كل دولة بما يتفق مع التقاليد والأعراف والتاريخ الخاص بتلك الدولة.

والشباب المتـعلم تعليما راقيـا هم الثروة الحقيـقية للمجتـمع، لأنهم الطاقة الجبارة، والعقول المفكرة التي تصنع المسـتقبل.. ولا يمكن أن يكون هؤلاء الشباب

عبئا على الدولة، تبحث لهم عن عمل خارج الدولة، أو تتركهم يهاجرون للبحث عن عمل.. فإذا أحسنت الدولة وأشركتهم في التخطيط الشامل لما يطمح فيه الشباب أن تكون عليه دولتهم مستقبلا، فإنها ستجني ثمارا فوق الخيال.. وتحتفظ بثروتها القيمة من الشباب بنشاطه وطموحه العظيم.

والقدوة الحسنة هي أساس التربية للنشء.. وتبدأ من الأسرة - كما ذكرنا من قبل - وتليها مؤسسات التعليم بكل مستوياتها من الحضانة إلى الجامعة.. والتعليم له أثر كبير في نفوس الصغار.. والمقصود من التعليم، التربية أولا وقبل كل شيء؛ لأن الأسرة والمدرسة هما الأساس في تكوين شخصية الصغار، وهما الأساس في تعليمهم التربية الدينية، والأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، حتى يشبوا كأفراد نافعين لأنفسهم وللمجتمع.

فمن المفروض أن يكون جميع المعلمين الأفاضل في المدرسة هم القدوة الحسنة للتلاميذ.. فإذا رأي أحدهم أي تصرف غير سليم عليه أن يُقومه.. ولا يكرن وظيفة المعلم إلقاء الدرس، وليس له شأن بما يحدث بعد ذلك بالمدرسة باعتبار أن هناك إداريين مسئولين عن ذلك!!.. لأن هذا التصرف من المعلم يرصده التلاميذ الصغار كسلوك سلبي لما حوله.. وترسخ السلبية في طباعه حتى الكبر.. ومن أمثلة ذلك سماع الألفاظ البذيئة من التلاميذ، ولا يجدون مرشدا يُقوِّم سلوكهم.. وفي المراحل المتقدمة من التعليم، قد يشاهد المعلم التلاميذ يدخنون أو يلعبون بطرق عنيفة، ولا يتدخل أو يرشد أو يُبلغ المسئولين بالمدرسة.. إنها السلبية من المعلمين التي جعلت بعض التلاميذ لا يحبون المدرسة.

وقد ظهرت بالمدراس بعض الأشياء المعيبة التي لم تكن تخطر على البال.. ومن أمثلة ذلك: الغش، وعدم الأمانة.. فكيف ننتظر من هؤلاء التلاميذ أن يتسموا بالأمانة في عملهم عندما يشبوا ويصبحوا مسئولين في المجتمع؟!.. كما أن هناك عدة تصرفات من بعض المعلمين، كانت سببا في انتقاص هيبة المعلمين ككل.

وهناك آلاف المواعظ التي يمكن أن يلتقطها المعلم ليشير إليها من داخل جميع الدروس العلمية والأدبية وغيرها.. وهذه اللقطات من المواعظ هي التي تميز معلما

عن آخر.. وهي بمثابة غرس الوازع الديني في نفوس التلاميذ وتعليمهم الأخلاق والحياة.. لأن التربية لا تأتي إلا بمواقف معينة وسلوك من المعلم، يرسخ في ذهن التلميذ، وليست مجرد مواد يحفظها التلميذ وينساها بعد ذلك.

وعلى الرغم من وجود مادة التربية الدينية بالمدرسة، إلا أنها بلا تأثير.. لأنه لا يقوم بتدريسها متخصصون.. بل مدرسو اللغة العربية.. ولذلك تعتمد نتائج تدريسها على مدي ثقافة المدرس، والتي غالبا لا تُشبع حاجة الطالب من الأسئلة المرتبطة بالدين.. هذا علاوة على اعتبار مادة التربية الدينية للنجاح أو الرسوب فقط، ولا يضاف مجموع درجاتها إلى المجموع الكلي للتلميذ.. ولذا فإن التلميذ والمعلم لا يهتم بها إلا بالقدر اليسير الذي يجعل الطالب يحصل على درجة النجاح فقط.

والنتيجة هي تخريج جيل من تلاميذ المدارس إلى المرحلة الجامعية، يعانون أمية دينية وجهالة بأولويات الإسلام وأساسياته، إلا إذا استقاها من الأسرة.. والمرحلة الجامعية هي المشكلة الحقيقية، لأنها أحوج مرحلة إلى الثقافة الإسلامية والتدين بشكل عام.. حيث تبدأ عقول الشباب في النضوج خلال هذه المرحلة، وتكتمل إدراكات الشاب وتنضج فيها غرائزه وشهواته.. ورغم ذلك فمازال بين الجامعات والثقافة الإسلامية مسافة كبيرة.. ويمكن هنا أن نسأل عن عدد الندوات الدينية التثقيفية التي يحضرها الطلاب في العام الواحد.. وفي المقابل نسأل عن عدد المتزوجين عرفيا - عن جهل بحقيقة الزواج العرفي - وسوف يتبين لنا عندئذ أهمية دور الوعي الديني وغرس الثقافة الإسلامية في هذه المرحلة.

والثقافة بصفة عامة، عنوان عريض؛ لأنها تتضمن سائر العلوم والفنون والآداب والتقاليد والأعراف التي تقيم وتكون عمران النفس الإنسانية في حضارة من الحضارات.. ومصادر الثقافة الإسلامية تتمثل في: القرآن الكريم وهو المصدر الأساسي الأول، والسنة النبوية المشرفة باعتبارها الشارحة لمعانيه، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، والفقه الإسلامي، وإلى جانب ذلك هناك كتب خدمت هذه المصادر مثل كتب التفسير التي خدمت الثقافة القرآنية، وكتب شروح الحديث التي شرحت ثقافة الحديث والسنة النبوية، وأيضا كتب التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.

ولهذه المصادر مراجع علمية قديمة تمثل التراث الإسلامي، تم تأليفها في القرون المتقدمة.. وهناك كتب تقدم هذا التراث مرة أخرى بلغة العصر الحديث لمواجهة مشكلات الحياة العصرية بأسلوب سهل، وبأسعار في الإمكان.. وهي متاحة للجميع بمعظم دور النشر والمكتبات، مما يساعد على إثراء حركة الثقافة الإسلامية لمن يريد أن يتعلم.. كما أن الشيوخ الأفاضل والعلماء بالأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية، لا يترددون أبدا في الإجابة على استفسار أي شخص.

ومن الأمور التي تعتبر في غاية الأهمية، تعليم الفتاة وتحصينها بالتربية الدينية من الصغر.. وكذلك تأهيلها للعمل بأي حرفة أو هواية تميل إليها، حتى تكتسب الخبرات في الحياة، وتشارك بعمق في صنع الحياة.. لأنه مع التعليم، تعرف كيف تختار الزوج، ولا تكون كالآلة في يد الأب أو ولي الأمر بدون تفكير.. ويجب أن تتعلم حقوقها وواجباتها الزوجية.. كما يجب إعطاؤها أيضا جرعة من المعلومات عن صحة الطفل وتربيته حتى تصير أما صالحة مؤهلة لهذه المهمة العظيمة التي لا ينافسها فيها أي رجل في العالم.. فكما قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها .. أعددت شعبا طيب الأعراق

والمرأة اليوم لم تتعلم العلوم الابتدائية فحسب، بل شاركت الرجل في كل العلوم والفنون والأعمال، وأصبحت ثقافتها عالية.. وفوائد ذلك جمة لها وللمجتمع.. علاوة على أن هذه الثقافة والمعرفة تشجع الرجال على التقدم للزواج منها.. ففي هذا العصر لم يعد الرجل في حاجة إلى المرأة الجاهلة التي لا تشاركه في الفكر والثقافة والمعرفة كما كان الحال في العصور السابقة.

وماذا تفعل الفتاة لو تركت غير متزوجة، بلا أب ولا معين؟.. وماذا تفعل إذا توفي عنها زوجها وترك معها أطفالا صغارا، ولا مال معها لتقوم بتربيتهم أو معيشتهم؟.. فالاعتماد على النفس، مع العلم وكسب المال من وسيلة شريفة، خير لها من الاستجداء من الناس، أو الالتجاء إلى وسائل غير شريفة أو الانحراف.

ومن الأمور التي يجب أن يفهمها الشبان والفتيان من خلال مراحل التعليم المختلفة، هو الطموح والتفاؤل.. فمن يرغب في النجاح وإسعاد نفسه عليه أن

يكون متفائلا، ويزود نفسه بالرضا مع الاجتهاد ليحقق طموحاته ويتخطى أية مشكلة.. وإذا فشل في تجربة، فما عليه إلا أن يتعلم منها، ولا يجعل اليأس يتسلل إلى نفسه؛ لأن الفشل هو أول خطوة للنجاح، إذا كان الشخص متفائلا، ويراجع نفسه بأمانة، ولا يجعل غيره سببا لفشله.. فكل شيء في الحياة له حل، وليس هناك شيء اسمه المستحيل.

فقد نجد بعض من فقدوا البصر تملأ نفوسهم السعادة، وحققوا نجاحات عظيمة لم يحققها المبصرون.. وكذلك بعض المعاقين حققوا طموحاتهم وحصلوا على جوائز وميداليات لم يحصل عليها أمثالهم من غير المعاقين.. والسبب أن البعض ينظر إلى الحياة نظرة تفاؤل ورضا وطموح، وآخرون ينظرون للحياة نظرة تشاؤم وإحباط.

وعندما يتدرج الصغير في مراحل السن المتتابعة، ينبغي الحرص على تنمية مواهبه وبناء شخصيته المتميزة، فلا نهمل رأيه، ولا نكتم شعوره، ولا نتجاهل إحساسه بذاته.. بل نوجهه إلى التعليم والمهنة التي ينبغ فيها بناء على ملاحظات المعلمين لمواهبه وميوله.. وتعزيز ذلك بإفهامه وتبصيره بسلوك وآداب هذه المهنة التي يرغب فيها.. علاوة على تزويده بكل الواجبات والتعليمات التي تحض على مكارم الأخلاق، وتملأ نفسه بالإيمان لا بالتطرف، وبالرفق لا بالعنف، وبالمحبة لا بالكراهية، وبالصدق لا بالكذب أو النفاق، وبالعلم لا بالجهل.. فتعاليم الأديان كلها تحض على الفضيلة والمحبة.

وبذلك تتحول التربية والتعليم فعلا من اسم وزارة إلى نظام عمل جاد، يعتمد على التربية الحقيقية، ونبذ التلقين للدروس.. وتصبح الفضيلة سلوكا وحياة في الأسرة والمدرسة والشارع والعمل.

ولا ننسى أهمية التربية بالجامعة في تثقيف الشبان والفتيات عن الحقوق والواجبات والمسئوليات المنوطة بهم عند الزواج.. وكيف يمكنهم تكوين أسرة سعيدة، تنفي من الذهن استسهال فكرة الطلاق، وتحافظ على الأبناء.. ويستجيب الطلبة كثيرا إلى هذه الأحاديث، خاصة إذا كان الأساتذة على المستوى الخلقي الراقي، وكان هناك نشاط عام بالجامعة، ومحاضرات ثقافية ودينية عامة، يجتمع

فيها الطلبة تحت إشراف الأساتذة في مجموعات صغيرة كل منها كأنه أسرة متعاونة.. يقومون بالرحلات التثقيفية والأنشطة العامة، يقدمون الأفكار والبحوث الخارجة عن المقررات، ويتبادلون الأحاديث القيمة والنافعة التي تجذب الطلبة إلى الأستاذ.. وهنا فقط نعتبر أن التربية لها مكان بالجامعة.

(٣) أثر دور العبادة في حل مشاكل المجتمع:

الخطاب الديني في جميع دور العبادة له أثر كبير في نفوس الشباب خاصة إذا مس المشاكل الحقيقية في المجتمع، ويجد كل مستمع إجابة عما في داخله من أسئلة.

وحتى يتحقق ذلك، لا بد من تجديد الخطاب الديني، وإعداد الداعية المسلم الحق، العامل بإسلامه إلى الله قولا وعملا.. صاحب الدعوة بين الناس ببرهان عمله الصالح الناجح، وإن لم يتكلم إلى أحد يدعوه.. إنه يدعوه بقوة ما في سلوكه وعمله ومقاصده من إشعاع النجاح والتوفيق، وطمأنينة النفس، وجاذبية النقاء.. حتى ليقترب إليه متنبها، من يحب أن يأخذ عنه الكلمة من لسانه، بعد أن بدأ يتأثر بما له من الأسوة في عمله.. وتكامل شخصية الداعية المؤمن الذي أخلص - بقلبه وعقله - إيمانه لله وحده، يعتمد على الدعائم التالية:

١- **العزة بالله،** فلا بد أن يزيل هذا الداعية عن قلبه وفكره، أية رهبة لأي سلطان على إرادته لغير الله.. حتى يأمن من الوقوع في الاضطراب بين ما يرضي الله، وما يرضي البشر.. وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:

* ﴿ ... أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء].

٢- **الأمن النفسي،** فالمؤمن يجد في صدق إيمانه أمنًا داخليا في نفسه يحفظها من التوتر العصبي والإكتئاب.. وهو يعلم أن الله خَيْرُ حافظ له وهاد لطريقه.. وأن الله عنده ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.. والله سبحانه وتعالى يقول عن هذا الأمن النفسي في حياة المؤمنين:

* ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام].

٣- **حسن الخلق:** فالكثير من آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة تحض على الأخلاق الكريمة.. ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ، والخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - جميعا.. فالصدق، والحلم، والصبر، والتحكم في الانفعالات، ودفع السيئة بالحسنة، وتقبل الآخرين.. صفات يأنس لها الجميع.. وبالتالي يستمعون إلى الداعية، ويتفهمون ما يشير إليه من النصائح والمواعظ والدعوة إلى الله تعالى.

٤- **حسن الاستماع:** حسن الاستماع فن يجب أن يتعلمه الداعية، ويلتزم به.. فقد خلق الله لنا لسانا واحدا وأذنين لكي نستمع أكثر مما نتحدث.. وخلال فترة الاستماع تتبلور أفكار الداعية.. فيخرج الكلام بالحكمة.. ويأتي الرد الصائب الموجز المفيد، بدون تشتيت للموضوعات.. فإن ضعاف الإيمان قد يستمعون لحجة الداعية إذا أحسن الاستماع إليهم، وأصغى إلى أفكارهم، بدون تسفيهها، وقام بتصحيحها لهم دون تعصب.. فهم أقرب إلى الاقتناع، إذا وجدوا من يستمع إليهم ويرشدهم.. وفي ذلك قال الحق تبارك وتعالى:

* ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل].

بهذه الروح من الحوار الهادئ، وحسن الاستماع والنقاش، تتضح الحقائق ويتكشف الغموض عن الحائرين والجاهلين.. وقد يتراجع المرء عن أفكاره الخاطئه، ويتجه الاتجاه الصحيح في ظل هذا التسامح له بحرية التفكير.. فلا إكراه في الدين ولا قهر ولا إرغام ولا إساءة.. كل هذه الأشياء مرفوضة في الإسلام.

٥- **تغيير أسلوب الدعوة:** من الأهمية أن يتفنن الداعية في أسلوب الدعوة.. لأن الالتزام بأسلوب واحد في إقامة الحجة، يفضي إلى السأم والملل.. وله العظة والإرشاد في ذلك من القرآن الكريم الذي تتعدد أساليبه حتى تناسب العقول على اختلاف مداركها.. وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم:

* ﴿ .... انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام]. (نُصرف: نُكرر بأساليب مختلفة).

٦- **مناسبة الدعوة للعصر والبيئة والمجتمع**: من واجب الداعية أن تكون مواعظه مناسبة للأحداث الجارية في العصر الحديث، ولا يتجمد.. فالقرآن الكريم مناسب لكل العصور إلى يوم القيامة. كما أنه على الداعية ملاحظة نوعية وصفات الأفراد أو المجتمع الذي يتحدث إليهم.. علاوة على البيئة التي أفرزت أفكارهم.. حتى يتمكن من إرشادهم وأخذهم باللين إلى طريق الصلاح.. فقد كان رسول الله ﷺ يجيب أصحابه على نفس السؤال بإجابات متعددة، تبعا لحالة كل منهم.. فقد سأله العديد منهم أن يرشده إلى أحب الأعمال إلى الله، أو إلى عمل يدخله الجنة.. فكانت الإجابة لأحدهم: «**إيمان بالله ورسوله**».. ولآخر: «**اجعل لسانك رطبا بذكر الله**».. ولغيرهم: «**تقوى الله وحسن الخلق**».. «**كثرة السجود**».. «**الجهاد في سبيل الله**».. «**بر الوالدين**».. إلخ.. وهكذا تنوعت الإجابات طبقا للحالة.

وإذا كنا ننادي بثقافة إسلامية معتدلة بعيدة عن التطرف أو التسطيح في الفكر، يجب أن نتعرف على مفهوم الاعتدال في الدين.. والمراد بالوسطية والاعتدال ليس الوقوف بين طرفين، ولكن معناه اختيار الأجود والأشمل، والتعايش مع الأصالة الحقيقية التي جاء بها الإسلام.. وهي ثقافة تهدف إلى هداية الإنسان وتحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة، دون أن يميل جانب على حساب الآخر.

وبالنظر إلى ما حل بالثقافة الإسلامية هذه الأيام، نرى أن هناك عدة اتجاهات، منها ما يعني بتفريغ النصوص من مقاصدها ويركز على القشور، مثل العناية بآداب الملبس والمأكل مع بعض الآراء المذهبية البشرية التي تقدم على أنها الدين الموحى به.. كما أن هناك اتجاها آخر، يبحث بحماس في أحكام تشيع جو الخوف والرهبة في الحياة الدنيا وما يتلوها، وتصور أحوال الناس على أنها ردة إلى الجاهلية، ولا تتورع عن نعت الناس بالكفر.. وهذا الاتجاه يتلاعب بمشاعر العوام تحت شعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

هذه الاتجاهات مع غياب الوعي السليم وغياب القدوة المؤثرة، أوجد فراغا هائلا لدى العوام.. والمخرج من هذا تقوية المؤسسات الدعوية المتخصصة في

العالم الإسلامي، وحسن انتقاء القيادات، للمجتمع بين أصالة الدين والمعاصرة.. بمعنى المحافظة على ثوابت الإيمان والسلوك الديني مع القدرة على التكيف التنموي العصري.. ودمج الخطين معا باستخدام وسائل دعوية معاصرة، مثل الإنترنت والمنتديات الثقافية والأندية وإقامة المؤتمرات والندوات، وعدم الاكتفاء بالدعوة على المنبر فقط.. وهذا يحتاج إلى تجديد وتطوير مستمر حتى لا يتهم بالجمود.

٧- الدعوة إلى الاهتمام بعلوم الدين وعلوم الدنيا: وذلك بتعميق المفهوم بأن العبادة لا تقتصر على الأوراد والأذكار، وإنما تتعدى ذلك إلى تسخير العلم في خدمة المسلمين وخدمة حياتهم.. وبهذا الربط بين الدين والدنيا تبرز أمامنا الرؤية الصحيحة للإسلام وتطبيق أهدافه وقيمه.. فقد يظن بعض الشباب أن التقوى هي بذل وقت أكبر في القراءات الدينية، والأخذ بقدر يسير في شئون الدنيا وعلوم الحياة.. والحقيقة أن الإسلام لا يكسب خيرا من هذا المسلك، ولا تنتصر عقائده إذا كان أهله في جهالة وغيرهم يجوبون الفضاء خارج الكرة الأرضية.. فإذا ملك المسلم ناصية العلم باقتدار، تمكن من نصرة الحق الذي يعتنقه.. أما قبل ذلك فإنه الضياع للدنيا والدين.

هذه التفرقة بين علوم الدنيا وعلوم الآخرة دخيلة على الفكر الإسلامي، وهي من أسباب الخلل والمأساة التي تعيشها الأمة الإسلامية، وفي التخلف الرهيب الذي يهدد حاضرها ومستقبلها.. فنحن نعيش حاليا في عالم لا يحترم إلا القوة.. والعلم هو أهم أسلحة القوة.

فالعلم - كما ذكرنا - لا يقتصر على العلوم الشرعية المختلفة.. بل لا بد أن يقترن معها علوم الدنيا الحديثة التي أصبحت تدل على تقدم المجتمعات في عصر العلم الحالي.. ولا بد أن يقترن معها أيضا دراسة لحل المشاكل التي نشأت عن هذه العلوم الحديثة وشغلت الناس كثيرا، مثل عمليات أطفال الأنابيب، وعمليات الاستنساخ، وغيرها الكثير.. ولذا يجب التعامل مع علوم الدين باعتبارها معينا على ارتقاء علوم الدنيا المصحوبة بالإلتزام الخُلقي.. ولذلك نجد القرآن الكريم يربط بين الايمان والعمل الصالح في معظم الآيات بمفهوم شامل لكل الأعمال النافعة للإنسان في دنياه وأخراه.. فالإنسان المسلم - صانع الحضارة - لا

يمكن أن يصل إلى هدفه إلا ببذل كل الجهود الممكنة لتحويل تصورات مستقبله إلى عمل، وترجمتها إلى واقع ملمـوس يكون له أثره في دفع عجلة الحياة وإثرائها إلى ما فيـه الخير للبشرية. . فـالإيمان ليس بالتمني، ولكن ما وقـر في القلب وصدقه العمل. . قال سبحانه وتعالى:

* ﴿ ... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ .. (١١) ﴾ [المجادلة].

٨- رفض التـدخل الأجنبي في مناهج التـعليم الديني: من الواجب عـلى الأمـة الإسـلاميـة، تكثيف الجـرعة الدينيـة في المدارس، ورفض أي تدخل أجنبي فـيهـا. . وضرورة أن يضع المناهج الدينية للمدارس متخصصون مشهود لهم بالكفاءة وتقوى الله.

وحث أهل الفكر والثقـافة والإعلام والتعليم لإصلاح الميـادين التي يعملون فيها. . وكذلك أهل الـتجارة والاقتصاد لإصلاح مجال تخـصصهم. . ولو طبقت الدول الإسلامـية منهج الإسـلام في مختلف شـئون الحيـاة من سيـاسة واقتـصاد واجتـماع وعلم وتعليم وعـمل، فإنهـا لن تحتاج إلى خـبير واحـد أجنبي في أي مجال. . فـالمسلمون يملكون أعظم منهاج وأفضل مـبادئ لإصلاح أي خلل. . في المجتمع ويبقى التقصير فينا نحن وليس في منهج الإسلام.

ولكي نضع استراتيجة واضحة، فنحن في حاجة إلى قفزات ونهضة شاملة ومتكاملة في كل مـجالات الدولة. . فنحن أمام تحديات كـثيرة. . ولا تأتي إلا إذا تضافرت جهود الدولة، وخاصة التعليم والثـقافة والإعلام على بث وجبات علمية صـحيـحة في كل المجـالات التي تخاطـب العقل والفكر. . هذه هي مـقومـات الشعوب التي تبحث عن تقدمها، وكرامـتها، وقوتها، وتحجز لها مكانا بين الدول المتنافسة على التطور والتقدم.

٩- إحياء نهضة الأمم الإسلامية: من الأهمية فتح الطريق أمـام الإصلاح الحقيقي في البـلاد الإسلامـية. . والإيمان بأن الإصـلاح لم ولن يكون من قـوى الهيـمنة والاستـعمـار الأجنبي. . فالإصلاح الحـقيـقي هو رسالة الرسل والعلمـاء والقادة العظام وذوي الرؤوس المرتفعـة الذين لا يشعرون بالإحـباط أو الهزيمة النفسـية. . ولأنه المشروع الأساسي لإحياء ونـهضة الأمم، لا يمكن أن يكون منحة ننتظرها من دولة أخرى.

وفي مقدمة بنود الإصلاح، توعية الشباب بتعاليم دينهم السمحة، وتجنيبهم الوقوع في متاهات الأفكار الخاطئة، أو الاستخدام السيء لأدوات التكنولوجيا الحديثة من كمبيوتر وغيرها، والتي تؤدي كلها إلى الانحراف أو السلوك العنيف.. الأمر الذي ينشر الفوضى الأخلاقية والتمزق في صفوف الأمة، ويوقف مسيرة التنمية.. فنحن في حاجة ماسة إلى ما نسميه بالثورة الثقافية الإسلامية لتصويب المسار قبل تحسين الصورة.

وأخطر ما يواجه الأمة حاليا هو الاعتقاد الوهمي أن الكلمة تغني عن الفعل الجاد المخلص الذي يزيد من قدرات وإمكانات الأمة.. لأنه لا يجب أن يحسب على الأمة الذين يتكلمون كثيرا ولا يفعلون شيئا مفيدا.. فالأمة الإسلامية في حاجة ماسة لكل الطاقات العاملة، وتجنيدها لتحقيق النهضة الشاملة وتحسين أحوالها ومكانتها بين الأمم.

وطريق الإصلاح الحقيقي لا بد أن ينبع من قيمنا وديننا وأنفسنا، بالتشاور والتفاهم مع بعضنا.. وبتضامن الأمة الإسلامية كلها.. ولا يأتي بالشعارات الرنانة أو من نماذج الغرب في التقدم والنهضة بدون تمحيص.. فالإسلام يتقبل ما لا يصطدم معه من حضارة الآخرين.. وكان الفيلسوف ابن رشد يقول: نحن نقرأ للآخرين، فما اتفق معنا ولم يصطدم مع عقيدتنا وأدبنا وتقاليدنا، أخذناه وشكرناهم.. وما لم يتفق معنا، تركناه وشكرناهم.

١٠- **الفهم الصحيح للدين:** الهدف من الدعوة والخطاب الديني هو غرس الرقابة الداخلية في النفوس وتشكيل الضمير الحي الرادع عن ارتكاب الخطايا والآثام سرا وعلانية.. علاوة على قيادة الأمة إلى الحق والعدل الذي هو أساس تكوين الأمم ومنطلقها إلى الحضارة والتقدم.

فالضمير الحي يمنع صاحبه من الفصل بين منهج الدين، ومنهج الحياة العامة.. فإذا ما تم تطبيق كل ما جاء به الدين من الأوامر والنواهي - افعل كذا ولا تفعل كذا - كان الإنسان مسلما مؤمنا حقا وذا ضمير حي يمنعه من العثرات.. ويستحق الجزاء الأوفى الذي وعدنا به الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة.

فالداعية عليه دائما اجتثاث الشعور بأن ثمة فاصلا بين العبادات - من صلاة وزكاة وغيرها - وبين المعاملات والأخلاق والسلوكيات.. فهناك البعض من الناس، يؤدي الشعائر الدينية بكل دقة والتزام، ومتناسيا ما عليه من واجبات نحو زوجته وأبنائه ووالديه وأسرته ككل، وكذلك مجتمعه الشامل.. إذ ينام ضميره عندما يغفل عن شرائع الدين في الزواج والطلاق وحسن المعاشرة وما عليه من مسئوليات وواجبات نحو أسرته.. وينعدم ضميره عندما يستحل الكسب من المال الحرام، والنفاق، واستغلال النفوذ، والحكم بغير العدل.. وهذا الضمير النائم أو الميت، ليس عنده الإحساس بمدى الجرم في ارتكاب الفواحش والآثام، والإهمال في عمله.. وكذلك عدم الإحساس بحرمة الجيران والزملاء والعاملين والناس أجمعين.. علاوة على عدم الإحساس بالملكية العامة، والتقدم والرقي العام للمجتمع.

فالخطاب الديني عليه باستمرار إيقاظ الضمائر بصورة فاعلة، حتى يصبح الناس حراسا على شعائر ولب العبادات ومحتواها السلوكي والأخلاقي بنفس القدر مع أشكالها الظاهرة.. فينتهي بذلك التناقض الصارخ بين السر والعلانية، وبين الشكل والمضمون، وبين التصرفات الظاهرية والنوايا الباطنية.. وأن يستنفر الخطاب الديني طاقات الفرد والمجتمع، سعيا إلى إعادة المسار - من الحيرة والالتباس والمفاهيم الخاطئة - إلى طريق النجاة الصحيح.

والأمل كل الأمل معقود على الخطاب الديني في حل مشكلة أزمة الزواج، كأحد القضايا المهمة حاليا في المجتمع، بعد تحديد خطوات العلاج من العثرات.

(٤) أثر الإعلام في التربية الدينية:

الإعلام - المرئي والمسموع والمقروء - يمثل نوعا من الغذاء الفكري شديد التأثير - الإيجابي والسلبي - على عقول الشباب وسلوكهم.. والجانب السلبي أكثر خطرا من الغذاء الفاسد؛ لأنه يصيب أجيالا عديدة، حيث يُرسخ في عقولهم أفكارا شاذة، ويزرع في نفوسهم معتقدات ضالة.. فلا ينتمون إلى أخلاق الدين، أو الأهل، أو الوطن.

وقد لوحظ أن الانفتاح الإعلامي مع الثورة التكنولوجية، كان لهما أثر سلبي على تصرفات أفراد الأسرة، وخاصة الصغار الذين تعلموا العنف من الأفلام المستوردة من البلاد الغربية، تحت مسمى الخيال العلمي.. كما تأثر الشباب كذلك، وانجذب إلى التقليد الأعمى لكل ما يسمى بالحضارة الغربية - من ملبس ومأكل ومشرب وبعض السلوكيات - دون تمحيص أو تفكير فيما يتفق مع تقاليدنا وعاداتنا وديننا.

ونؤكد ونبه، أن التليفزيون أو المذياع أو المطبوعات، وكذلك الإنترنت، كلها وسائل للإعلاميين والمثقفين يضعون فيها أفكارهم وآراءهم، وينشرون الثقافة والترفيه وأخبار العالم بالصوت والصورة في نفس اللحظة، مما جعل العالم كله قرية واحدة.. وعلى المشاهد أو المستمع أو القارئ أن ينتقي ما هو مناسب لعقيدته الدينيه ووطنه، مما يرسخ الخير في النفوس، ويحض على الأخلاق، ويزيد المعلومات الثقافية والعلوم.. إلخ.. ويبتعد عن الأفكار الشاذة التي تهاجم الدين، وتعمل على تفتيت الأسرة والوطن، وتثير الغرائز لدى الشباب، فتصرفهم عما يفيدهم وينفعهم وينفع أوطانهم.. فالشباب هم مستقبل البلاد. ومطلب الشيطان في حربه مع الإنسان هو تخريب عقول الشباب بالذات، ليضمن فساده في الكهولة والشيخوخة، فيعم الفساد في الأوطان.

والقراءة في المطبوعات - سواء كتب أو صحف أو مجلات - وسيلة ثقافية مهمة، لا يستغني عنها أي مجتمع معاصر، وذلك لسهولة الانتقال بها في أي مكان والاطلاع عليها.. والصحافة وإن لم تكن من المؤسسات التي أنشأتها حاجة إسلامية مباشرة، إلا أن الإسلام يقدم لنا العديد من الضوابط التي يمكن أن تجعل صحافة الأمة والمجتمعات المسلمة، صحافة متميزة بالتزامها بقواعد أخلاقية تحقق مصالح تلك المجتمعات المسلمة.

وقد تعاونت الإذاعة مع الصحافة في عملية تثقيف المجتمع، وتميزت عنها في بعض الأشياء، وكان لها الأثر الكبير في هذا الشأن خاصة مع الأميين، أو العاملين في المصانع، والمؤسسات المختلفة، وربات البيوت، وغيرهم الكثير من الناس الذين يعملون بأيديهم، وفي نفس الوقت يستمعون لكل ما هو مفيد من

الإذاعة.. وقد أحسنت الإذاعة حين خصصت قنوات دينية وأخرى للشباب وغيرها لكبار السن.. إلخ. علاوة على القنوات العامة التي تشتمل على فقرات ثقافية وترفيهية.. وكذلك القنوات الموجهة إلى البلاد المختلفة.

أما التليفزيون الذي دخل كل بيت، بل أصبح أحيانا داخل حجرات النوم، فهو وسيلة إعلامية ثقافية وترفيهية جميلة؛ لأنها نقلت أخبار العالم وكل شيء من الأحداث بالصوت والصورة.. ولكن من عيوبه الكبرى على الأسرة، أنه يجند جميع حواس المشاهد، من النظر والسمع وغيره.. ولأن الشخص يريد أن ينظر فلا يتحرك، ويريد أن يسمع فلا ينطق.. وقد ينقل الطعام أمام التليفزيون ويأكل كميات كبيرة دون تذوق.. وبالتالي ينعزل المشاهد ويقضي الساعات الطويلة أمام هذه الآلة دون التفاعل مع باقي أفراد الأسرة.. وحتى إذا اجتمعوا مع بعضهم، فإن الصمت يشملهم بهدف التركيز على المشاهدة.. وقد أجريت دراسات عديدة على أثر التليفزيون على المشاهدين.. واتضح أن أمراضا كثيرة هاجمت مشاهدي التليفزيون بسبب عدم الحركة، والجلوس في أوضاع خاطئة، والسمنة وما يليها من آلام العظام والركبة وغيرها، كما ظهرت عيوب النظر عند الصغار.. إلخ.

والتليفزيون جعل العالم كله قرية واحدة.. ولكن من عيوبه الكبرى أيضا أنه ألغى الحدود الإعلامية الخصوصية للدول والمشاهير من الناس، علاوة على آثاره السلبية على السيادة والاقتصاد بالدول.. وفي هذا العصر، فإن الدول الغربية - وأمريكا بالذات - تعمل جاهدة على تغيير الثقافة والقيم والمعتقدات بالدول الإسلامية، بحيث تنشر الثقافة التي تريدها لهذه الدول، كنوع من الهيمنة على تلك الدول، وذلك بالوسائل والطرق المختلفة من الضغوط ومنها: العمل على زيادة التمرد بالدول، بحجة الديمقراطية.. والضغط الزائد على الدول الإسلامية ومحاربتها اقتصاديا وابتزازها.. وانتشار ظاهرة الإعلانات الجديدة باللغة الإنجليزية، بمعنى التقليل من شأن اللغة العربية، وهذا أسلوب تدريجي لإلغاء ثقافتنا ولغتنا وهويتنا العربية.. هذه بعض محاولات الدول الغربية على تغيير الثقافات العربية والإسلامية والانسلاخ منها، حتى تصبح تابعة للقيم والثقافات الغربية.. ومن هنا يجب تكاتف جميع هيئات المجتمع والمؤسسات على محاربة هذا الأسلوب من التغريب.. والعمل على التقارب بين فئات الشعب، وتبادل

الثقافات، وتشجيع العلاقات المتوازنة بين الدول العربية والإسلامية.. واتخاذ الأسلوب المتوازن مع الدول الغربية المبني على التعاون المثمر وليس الطغيان والهيمنة الغربية.

وما يهمنا في الموضوع: ما هو أثر هذه الوسائل الإعلامية في التربية الدينية؟.. فقد لوحظ في الآونة الأخيرة ما يلي:

١ - الأفلام والمسلسلات التي لا تراعي الأصول الشرعية للزواج:

هذه الصور المغلوطة للزواج ربما تثبت في ذهن الشباب.. ومن أمثلة ذلك:

- معظم الأفلام والمسلسلات تركز على إلغاء العقل والتركيز على العواطف في الزواج.
- جعل الشباب يتعاطف مع الشاب والفتاة في علاقة الحب الآثمة بينهما في غير زواج صحيح.
- مفهوم الحب الخاطئ في وسائل الإعلام، والذي يعتمد على العواطف فقط، مع عدم مراعاة أن الحب عطاء ومسئولية وليس مجرد عواطف جياشة.
- الأفلام والمسلسلات التي تقدم صورة مشوهة للخاطب عندما يتقدم للزواج، ويكون إما ضعيف الشخصية وغير قادر على الكلام، أو يكون مخادعا.. هذه الصورة المشوهة قد تنفر الفتيات من الأسلوب الصحيح للزواج، وتبحث هي بنفسها عن الحب الطائش خارج المنزل.
- عن الغضب، سواء من المرأة أو الرجل في وسائل الإعلام.. يثور أي منهما ثورة عارمة، ونرى المرأة تخلع حذاءها وترمي به كل ما يقابلها، مع تكسير المرآة وكل ما في حجرتها، أو الإعراض عن الطعام حتى يغمى عليها وكأنها تتعمد الانتحار بدلا من حل المشكلة.. أما الرجل يطرد زوجته أو ابنته من المنزل، ويهدد ويتوعد، ثم يذهب إلى القهوة، ويُطيح بالأكواب من على الصواني.. ما هذا؟!.. أين هذا من أحاديث الرسول ﷺ ووصاياه بضبط النفس عند الغضب، والوضوء والصلاة، حتى تزول

ثورة الغضب الداخلية، ويبدأ العقل في التفكير باتزان في حل المشكلة التي أثارت الغضب.

- إنهاء الأفلام بالصورة الوردية حيث يقام حفل الزفاف.. وكأن حفل الزفاف هو الغرض النهائي لكل مشاكل الحياة، حتى لو كان هذا الزواج لا يبشر بالخير لما فيه من سوء اختيار الشاب للفتاة والعكس.. وبدون وعي الشاب والفتاة لما ينتظرهما من مشاكل بعد هذا الزواج وكيف يتغلبون عليها.
- الاستهزاء بمنظر المأذون الشرعي، والذي كثيرا ما يجعلوه مزيفا.
- بداية الزواج بإقامة الحفلات الماجنة، وتقليد الغرب بالرقص والعري الفاضح.

٢- انتشار القنوات الفضائية الإباحية في وسائل الإعلام:

الانبهار والتقليد الأعمى لكل ما هو غربي تسبب في انتشار القنوات الفضائية الإباحية والعري في وسائل الإعلام.. ويتضح ذلك في الكليبات بمناظرها المؤذية للمشاعر من رقص وخلاعة وعري.. وعروض الأزياء لملابس هي أقرب إلى قمصان النوم منها إلى فساتين.. وغير ذلك الكثير.. وكلها مناظر منافية للآداب الإسلامية والشرقية.. وقد تعالت أصوات النساء في المنظمات الدولية بضرورة تغيير صورة المرأة في الإعلانات ووسائل الإعلام واحترام آدميتها، وعدم استغلال جسدها للترويج لبعض السلع والمنتجات.. ولكن هذه الأصوات والمحاولات باءت بالفشل الذريع مع انتشار القنوات الفضائية التجارية.

وخطورة هذه القنوات كبيرة إذ تعمل على الإفساد الأخلاقي للصغار والشباب، خاصة مع كثرة انتشارها واستمرار بثها.. علاوة على تدفق الجوائز والتكريم لنجوم الكليبات وملكات الجمال، مما يقلب الموازين عند الشباب، وعند صانعي الملابس للفتيات والشبان.. فقد بدأت تنتشر الملابس التي تظهر البطن والسرة، وكذلك البنطلونات محكمة الضيق وتنزل عن الخصر حتى تظهر المؤخرة من أقل انحناءة.. وحاليا يرتديها بعض الشباب دون حياء.. هذا علاوة على فساتين الزفاف والخطوبة التي تقلد الغرب بالعري الكامل من أعلى الصدر..

ويكفي أن نلقي نظرة بالصحف والمجلات والتليفزيون على صور الزفاف لنعرف مدى تدني الثقافة الدينية والحشمة الواجبة على الفتيات.. فمن الضروري العمل على وقف نشر وبث البرامج الداعية إلى الفساد والتسيب والابتذال والهدم الأخلاقي.. وتجنب الخروج عن أعرافنا وتقاليدنا من خلال الحرص على هويتنا، والوعي لما قد يدخل علينا من روافد لا نعرفها فتصيبنا في مقتل.. وهذا لا يعني أن نتجه تماما إلى الجهل بما يدور حولنا، ولكن واقع ثقافتنا وبيئتنا يفرض علينا المحافظة عليها ولا ننجرف في تيارات مغرضة.

٣- أثر إعلانات الزواج ببعض القنوات الفضائية:

بعض القنوات الفضائية أصبحت تعرض ما يخرج عن الآداب العامة، لتستهوي البعض وتحبط البعض الآخر بما في ذلك من إثارة، ولا تراعي ما يُبث من برامج وإعلانات زواج.. حيث تظهر إعلانات الزواج على شكل شريط أسفل الشاشة.. بأسلوب مبتذل لا يتفق أبدا مع الأصول الشرعية للزواج.. وتدون أرقام التليفونات للاتصال.. وهل من الدين أن تعرض رسائل يقول أصحابها: «أطلب التعرف على أصدقاء جدد - فتيات فقط»!!.. وآخر يقول: «رجل أعمال يطلب التعرف على سيدة للصداقة»!!.. وثالث يقول صاحبها: «أريد التعرف على سيدة أرملة أو مطلقة أو متزوجة للصداقة»!!.. فأين المسئولية الأخلاقية؟!.. أم أنها حلقة في مسلسل يستهدف هدم الدين والأخلاق لدى الشباب؟!.. فلا بد من الرقابة وإيقاف هذه الإعلانات التي تتنافى مع الأخلاقيات وأصول الدين.

٤- الفتاوى من غير المتخصصين:

لقد جاءت موجة في الآونة الأخيرة، كثرت فيها الفتاوى من أفراد غير متخصصين في الإفتاء، وتعمدهم الدخول في موضوعات تثير البلبلة لاختلاف الآراء.. فليس كل متحدث يصلح أن يكون مفتيا.. فالفتاوى الفقهية يجب ألا يتعرض لها إلا المتخصصون من العلماء الثقات، لأن كلمة الحلال والحرام هي التي تحدث بحكم الله الشرعي.. وإن لم يكن المتحدث مؤهلا لاستنباط الرأي الفقهي، فلا يجب أن يُدعى لبرامج فيها إفتاء.. فقد انطلق بعض ممن لا يحسن عرض

الدعوة، وأفتى في قضايا الناس من لا يملك وسائل الاجتهاد، وأحدث البلبلة بين الناس.

والأدهى من ذلك فتاوى الإغراء والإثارة التي أصبحت تطرح قضايا إباحية وجنسية يشاهدها الجميع - الصغار والكبار، الرجال والنساء - بصورة تخدش الحياء، ولا تخدم السلوك الرشيد، ولا تساعد على الفضيلة، ولكنها مدعاة للخوض في أمور تدفع إلى الرذيلة أكثر مما تصون الفضيلة.

فالحياء شعبة من شعب الإيمان.. إذا غاب، ارتكبت المعاصي والموبقات.. ولا يمنع ذلك المرء عن السؤال في الدين وفي العلم بدافع الحياء.. ولكن يجب أن تكون لهذه الثقافة المتعلقة بالغريزة أماكن للدراسة والمناقشة العلمية الضيقة لمن يريد أن يستفيد بها فقط، وحتى تكون الإجابة مناسبة لمن يتم معهم المناقشة وليست على الملأ بدون تحديد سن أو جنس، فلكل مقام مقال.

وليس معنى هذا أننا نرفض الثقافة الجنسية، ولكن يجب الحياء وأدب الكلمة.. فالقرآن الكريم - في آيات عديدة - أشار إلى الثقافة الجنسية، ولكنها مقرونة بأدب الكلمة حتى نتعلم.

أما المجاهرة بالعلاقات الخاصة وتفاصيل ما يجري بين الرجل والمرأة بصورة لا حياء فيها، فإنه الغزو الفكري والثقافة القادمة من الغرب، التي تهدف إلى تدمير عاداتنا وتقاليدنا وأدبنا ومعتقداتنا، التي يعتبرها الغرب معتقدات بالية ورجعية.. فهم لا يتورعون عن المجاهرة بالعلاقات الجنسية مع الأزواج وغير الأزواج بدون حياء ولا تأنيب ضمير.. فأي ثقافة تلك التي يريد الإعلام نقلها إلينا؟!.

كما تناشد الفضائيات أن تخرج عن دائرة الغيبيات وما فيها من أهوال الجحيم ونعيم الجنة ليعيشوا مع الناس في واقع حياتهم اليومي.. ويوضحوا أن الإسلام لا ينبغي أن يختزل معناه في ممارسة الطقوس اليومية بعيدا عن المعاملات، وهي من الأسس التي بني عليها الدين.. فالدين المعاملة.

٥- عدم إعطاء الفقرات الدينية المساحة المناسبة بوسائل الإعلام:

نظرا لتواجد التليفزيون بكل منزل، فمن الأهمية زيادة المساحة للبرامج والفقرات الدينية، خاصة في المواسم الدينية مثل شهر رمضان المبارك، وفترة ما قبل الحج.. ولا يتحول شهر رمضان الكريم إلى اللهو والفوازير والعدد الكبير من المسلسلات والفيديو كليب دون مراعاة لحرمات ومشاعر الصائمين.. كما يجب أن توضع البرامج الدينية في موضع الذروة من المشاهدين، وليس في أوقات العمل أو النوم، وذلك حتى لا يفرغ شهر رمضان من مضمونه الأصلي من حيث التفقه في الدين، ويتحول إلى الاهتمام بمختلف أنواع اللهو.. ولا شك أن الضروريات من مقاصد الشريعة ينبغي أن تكون حاضرة دائما لدى الرأي العام، وأن يكون على وعي تام بأهمية المحافظة عليها وعدم التفريط فيها.. وليتذكر الجميع أنهم محاسبون أمام الله عما يقدمونه من برامج لعموم الناس.

٦- عدم كفاية البرامج التي تعمل على مقاومة العادات المتخلفة:

نؤكد على أهمية التركيز على البرامج والفقرات التي تعمل على رقي المجتمع، والتي تساعد الشباب وتعمل على بث روح الصبر والمثابرة والأخلاق وقوة العزيمة، وإرادة السعي، وتطرد من أنفسهم شر الإحباط واليأس.. وتقاوم العادات الخارجة عن أصول الدين مثل: انتشار الشائعات والفتن، والزواج العرفي، والأخذ بالثأر، والاغتصاب، والعنف.. إلخ.. فالحالة الاقتصادية الطاحنة، وضيق ذات اليد، دفعت البعض إلى نشر ثقافة العنف وتدهور العلاقات الإنسانية والاجتماعية.. وأصبح القوي يمارس سلطته على الضعيف.. وانقلب الحال حتى أصبح من يحرص على السلوك الهادئ المحترم يكاد يُتّهم بالضعف أو التعالي.. وبصفة عامة ينبغي الحرص على احترام إنسانية الجميع.. الصديق والعدو، المخطئ والمصيب، الصغير والكبير، الرئيس والمرءوس.. بحيث نحب ونكره في إطار الالتزام والاحترام.

ففي زحمة الحياة، ينسى معظم الناس معنى التعارف والمعاملة الطيبة والحب، رغم أن جميع الأديان تؤكد عليها.. فقد لوحظ حديثا أن هناك افتقادا عاما للإحساس بالحب.. وكل ما يهم الناس هو المصلحة.. وهذا ليس معناه ألا يفكر

الإنسان في مصلحته، ولكن يفكر في مصلحته بشرط أن تكون جزءا من المصلحة الجماعية لأسرته وللمجتمع الذي نعيش فيه.. فقد ضاع جزء كبير من الحب بين الأهل والأصحاب، بين الطالب وأستاذه، بين الطبيب والمريض، بين العامل ورئيسه.. إلخ.. وبالتالي فقد المجتمع الكثير من الضحك والحنان والشهامة.. وكلها كانت سمات أساسية في هذا المجتمع.

فبالحب تعود البسمة والأمل، وتمتلئ حياتنا بالحماس والإنجاز والتقدم.. وهو الطاقة الجبارة المحركة لكل شيء إيجابي، والقادرة على تحقيق المعجزات.. والحب هو الذي يجعلنا نسعى للإتقان والإخلاص للشيء الذي نحبه.. والأعمال العظيمة صنعتها دائما قلوب مؤمنة بالحب.. وهو الذي يغير النظرة إلى الحياة ويملؤها بالتفاؤل.

وفي هذا المجال أيضا، يجب على المجتمع أن يغير نظرته نحو المطلقة، والأرملة، والعانس، واللقطاء، وخادمات المنازل، وأبناء المساجين، وأولاد الشوارع، وغيرهم من الفئات التي لا نعرف الظروف التي دفعت كل حالة منهم إلى ما هي فيه.. لأنه بظلم هذه الفئات، لا يستطيعون الزواج بسهولة، ولا يشعرون بالاستقرار.

٧- كثرة الإعلانات والخداع في الكثير منها:

تعتبر وسائل الإعلام - من صحافة وإذاعة وتليفزيون - أن الإعلانات مصدر مالي مهم بالنسبة لها.. ولكن هذه الإعلانات تكون على حساب الوقت أو المساحة المخصصة للموضوعات ذات الأهمية - بالنسبة للمشاهد أو القارئ أو المستمع - من ثقافة وعلوم دين وغيره.

وإذا استجاب المشاهد مثلا إلى هذه الإعلانات، فإنها تسبب مشاكل من ناحية التأثير في النمط الاستهلاكي لعامة أفراد الشعب.. والأخطر من ذلك أن كثيرا من هذه الإعلانات تعتمد على الخداع والنصب والتدليس.. فالإسراف في الاستهلاك، والخداع في الإعلان، كلها صفات خرجت عن أصول الدين.

ومن أمور الخداع في الإعلان، تلك الجوائز الوهمية عن المسابقات عبر الهاتف.. التي تجعل المتسابق يتصل بالهاتف - على أمل الفوز بهذه الجائزة المغرية -

حتى يدفع فاتورة تليفون مقدارها أكبر بكثير من قيم الجائزة.. والمستفيد من العائد المادي لهذه الإعلانات هم وسائل الإعلام.

أما الضحية الفعلية لهذه الإعلانات فهم عامة الناس لعدة أسباب:

- ضياع الوقت المتاح أمام مشاهد التليفزيون مثلا في إعلانات قد تكون مضللة.
- إذا استجاب لهذه الإعلانات، فقد يخسر أموالا لم تكن في حساباته.
- تعليم الشباب سوء الأخلاق من حيث: الرغبة في المكسب السريع بجائزة عن طريق الحظ، دون جهد أو عمل نافع.. علاوة على افتقاد القدوة، إذ يصبح الغش أو الخداع في الإعلان مصدرا لكسب المال.
- زيادة النمط الاستهلاكي لعامة أفراد الشعب.. وهذا ليس في صالح المجتمع، والأفضل منه لو اعتادوا على الإنتاج والتصدير بدلا من الاستهلاك.. فنحن في أمس الحاجة إلى بناء الوطن، وسد الفجوة بين الفقراء والأغنياء.

٨- أثر الأفلام الغربية على زيادة أزمة الزواج:

تختلف مفاهيم الشباب بالبلاد الغربية بشأن الزواج، عما في البلاد الإسلامية والشرقية عموما.. ففي الغرب يُفضل الشاب العزوبية، كما تفضل الفتاة العنوسة، على الزواج.. وذلك لاعتبارهم أن الزواج موضة قديمة، تضطرهم إلى التفريط في مبدأ الحرية.. وإذا تزوجوا، فإنهم لا يرغبون في الحمل أو الإنجاب.

والأفضل عندهم من الزواج التقليدي هو نظام الصداقة أو المشاركة، بمعنى أن يعيش الشاب والفتاة معا كالأزواج، ولكن كلا منهما مسئول عن نفسه ماديا، وليس لأحد منهم حقوق معينة نحو الآخر إلا الكلمات الحلوة.. وللأسف يعتبرون أن هذا هو الحب من وجهة نظرهم.. ومتى افتقدوا الحب، فعلى كل منهما أن يذهب لحاله، ويبحث عن صديق آخر.

ربما لا يُظهر الإعلام ذلك بصورة مباشرة.. ولكنها قد تتغلغل في نفوس شبابنا من خلال تلك الأفلام الأجنبية المختارة بعناية، والموجهة إلى الشباب بالدول العربية والإسلامية، للعمل على تفكيك الأسرة.

ولذا لا بد لوسائل الإعلام أن تدقق في اختيار الأفلام الأجنبية الموجهة والتي تهدف في داخلها إلى الإفساد في الأوطان المتمسكة بالدين والعادات والتقاليد التي تقدس معنى الزواج والأسرة.

٩- الهجمة الغربية الشرسة على الإسلام والمسلمين:

حكمة الإسلام في العديد من الموضوعات الدينية، مثل تعدد الزوجات والطلاق، وغيرها من المثل العليا، لا يعرفها معظم الأجانب من الغرب، أو يعرفونها وينكرونها.. فهي لا تصل إليهم إلا بصور مشوهة عن الإسلام.. وهم يركزون على مثل هذه الموضوعات في الفضائيات بأساليب مملوءة بالأكاذيب والخرافات والأفكار البعيدة عن الحق، والاستهزاء بالإسلام ومبادئه.. والله يعلم أن الإسلام بريء من هذه الافتراءات.. وهو الدين الكامل.. دين رب العالمين.

فمعظم المسلمين يتزوجون زوجة واحدة، يعيشون معها عيشة كلها وفاء وإخلاص وهدوء مدى الحياة.. والإسلام ينادي بالعدل بين الزوجات.. وقد حظر الله تعدد الزوجات على من آنس في نفسه ضعفا عن العدل بينهن، لقوله جل شأنه:

* ﴿ ... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ...﴿٣﴾ ﴾ [النساء].

* ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ...﴿١٢٩﴾ ﴾ [النساء].

ومن يدرس أحكام الإسلام في الزواج، يجد أن الإسلام منطقي في تشريعاته، حكيم في آرائه، صالح لكل عصر وكل قطر.. ولا عيب في الإسلام، ولكن العيب في الذين لا يدركون أسرار الإسلام، ولا يفهمون مبادئه.. ومن ينظر إلى الأمم الغربية يجد أنها تشكو قلة النسل، وانتشار الأمراض الخبيثة وكثرة الأولاد غير الشرعيين من أبناء الزنا.. فعتدد الزوجات واقع فيها بالفعل، ولكن

بطريقة غير شرعية، بينما التعدد في الإسلام قد أبيح بقيود شديدة، ونظم تنظيما دقيقا أدي إلى العفاف والاستقامة والطهارة، والمحافظة على الشرف والعرض والأخلاق.

كما يعيب علينا المتعصبون من المبشرين والمحترفين بوسائل الإعلام الغربية المختلفة، يعيبون على الإسلام أنه يبيح الطلاق والتفرقة بين الزوجين.. مع أن الإسلام كان مثلا للإنسانية والعدالة حينما أجاز الطلاق عندما يستحيل إيجاد حياة سعيدة هادئة هانئة موفقة بين الزوج وزوجته.. وبشروط محددة وقيود عادلة، إذا كانت هناك ضرورة ملحة تستدعيه.. كما أن الإسلام يبغض الطلاق ولا يشجع عليه مطلقا.

ولو درسوا تاريخ الأمم والأديان لعلموا أن الإسلام لم يكن أول من أباح الطلاق.. فقد كان متشرا لدى العرب قبل الإسلام، شائعا بين الرومانيين، ومباحا لدى اليهود في ديانة موسى عليه السلام، ومباحا لدى المسيحيين إذا ثبت الزنا.

وبإباحة الطلاق عند الضرورة القصوى، حافظ الإسلام على التمسك بالفضيلة، واجتناب الرذيلة أو ارتكاب الزنا.

وإذا نظرنا إلى البلاد الغربية التي تحرم الطلاق إلا لعلة واحدة هي الزنا، نجد أن الرجل - في البلاد الغربية - الذي يريد أن يطلق زوجته ويتخلص منها، لأن له صلة بصديقة أخرى يحبها ويفضلها عليها، يترك زوجته، ويلجأ إلى أحد الفنادق، ويعيش فيه عدة ليال مع صديقته أو محبوبته، بعد أن يكون دوّن اسمه واسمها في سجل الفندق، ويثبت رقم الحجرة التي نزل فيها الاثنان، وتاريخ إقامتهما، والمدة التي مكثاها، وهما يعيشان معا معيشة الأزواج في حجرة واحدة.. ثم يتقدم إلى المحكمة طالبا أن يطلق زوجته، مثبتا للقاضي أنه كان يعيش مع صديقته فلانة في فندق كذا.. معترفا علنا بالزنا أمام المحكمة، لتصدر حكمها بالطلاق تحقيقا لرغبته.. ويحدث بالمثل إذا أرادت الزوجة التخلص من زوجها لأنها تحب رجلا آخر.. وتُنشر هذه الفضائح كلها في بعض الصحف التي تهتم بأخبار الطلاق، وحوادثه، وقصصه، وما أكثرها.

ولهذا لا نبالغ إذا قلنا أن الأخلاق، قد فسدت، وتفكك معنى الأسرة - إلا قليلا- وانتشر الزنا والشذوذ الجنسي، وفشت الرذيلة، وقضي على الفضيلة في البلاد غير الإسلامية.

فالمطلوب من وسائل الإعلام، برامج دينية تتحدث عن شروط الطلاق، حتى لا تصبح كلمة الطلاق على اللسان إلا بعد التفكير والتروي والالتزام بالشروط الشرعية.

ومن الواجب أيضا، أن ينشر الإعلام - باللغات الأجنبية - آراء الإسلام في الزواج والطلاق، وغيره من الموضوعات التي تهم المسلمين بأساليب مقنعة لعلهم يهتدون.

الباب الرابع

أسباب عدم نجاح الزواج

قال تعالى:

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾

[النساء].

أولا: غياب الثقافة المتعلقة بالزواج الصحيح

من أخطر التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، هو جهل بعض المسلمين بشرائع الدين.. وغياب الثقافة العامة المتعلقة بالزواج الصحيح والطلاق.. فغياب الوعي لدى الشباب هذه الأيام، والمفاهيم الخاطئة عن الزواج وتكوين الأسرة المستقرة، جعل الطلاق ظاهرة عامة لدى كافة المستويات الاجتماعية.. وأصبحت المطلقات في العشرينيات من العمر، ظاهرة جديدة تهدد سفينة الحياة الزوجية.

وفي الآونة الأخيرة، هناك حالة من الانفلات غير العادية تنشب أظفارها في العلاقات الزوجية.. وصار الزواج سهلا، والطلاق أسهل، أما الاستمرار في الحياة الزوجية فهو الشيء الصعب.. حيث أصبحت الحياة العصرية تعتمد على السطحية والمظهرية أكثر من الجوهر.. هذا علاوة على الطمع والجشع بالحياة المادية التي أصبحت سمة أساسية لمعظم الخلافات الزوجية.. وبالتالي فإن كلمة الطلاق - في السنوات الأولى من الزواج - أصبحت كلمة سهلة النطق والفعل، دون إدراك لخطورتها وعواقبها.. بعد أن كانت إلى وقت قريب غير واردة في قاموس ومفردات الحياة الزوجية.

ومن هنا يجب إعادة النظر في مفاهيم الزواج مرة أخرى بعد القصور الذي أصاب التربية والثقافة المتعلقة بأمور الزواج في الجيل الجديد الذي لم يعد يستوعب الحقوق والواجبات المفروضة عليه قبل أن يُقدم على الارتباط.. فالحياة الزوجية تتطلب قدرا كبيرا من النضج لتحمل المسئولية، والقدرة على احتواء كل طرف إلى الآخر، مع التسامح بين الزوجين، والاهتمام ورعاية حقوق الأبناء الذين هم ثمرة هذا الزواج.

ولذا فإن الأمر في حاجة إلى توعية منظمة، تنشر ثقافة الزواج بشكل عام.. وتوضح كيفية التعامل مع المشكلات الزوجية، وخطورة الطلاق وعواقبه الوخيمة.. وبذلك تصبح الحياة الزوجية هادئة ومستقرة، وتُختزل حالات الطلاق إلى أدنى حد ممكن.

ويجب أن تتضافر جميع الجهات في نشر هذه التوعية والثقافة الأسرية.. ابتداء من الأسرة نفسها، وجميع مراحل التعليم، والمؤسسات الأهلية بالمجتمع،

ووسائل الإعلام المختلفة. . ويا حبذا لو تم تدريس مادة تعليمية بالمدارس والمعاهد والجامعات تعتني بثقافة الأسرة والتي تشمل العلاقة المتوازنة بين الزوجين وأطفالهما وآبائهما. . فالتوعية المنظمة المستمرة لها أثر كبير في نفوس الأجيال الصغيرة.

وفيما يلي نستعرض بعض الجوانب السلبية المتعلقة بالزواج والتي تؤدي إلى الطلاق وما ينتج عنه من الآثار النفسية على الشبان والفتيات، علاوة على الزيادة في أزمة الزواج.

(١) الزواج الفاسد:

لقد شرحنا سابقا، الأركان والشروط والأسس والآداب الواجب توافرها حتى يكون الزواج صحيحا. . أما إذا لم يستوف الشروط - مثل عدم وجود شاهدين على عقد الزواج مثلا - وغيرها من الأركان، فإن القاضي يحكم بالتفريق بين الزوجين. . وإذا بني الزواج على أسس غير سليمة، فإنه حتما سيؤدي إلى الطلاق وإنهاء العلاقة الزوجية.

ولهذا، نذكر فيما يلي بعض أنواع الزواج الفاسد وكذلك بعض الأنواع التي ظهرت حديثا تحت مسميات عديدة، والتي يتم فيها التحايل بطرق عديدة، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى الفشل وفك عرى الحياة الزوجية التي تعتبر من أقدس العقود والعلاقات التي يجب المحافظة عليها.

أ- الزواج بالمحرمات من النساء:

ليست كل امرأة صالحة للعقد عليها، بل يشترط في المرأة التي يراد العقد عليها أن تكون غير محرمة على من يريد التزوج بها، سواء كان هذا التحريم مؤبدا أو مؤقتا. والتحريم المؤبد يمنع المرأة أن تكون زوجة للرجل في جميع الأوقات. . أما التحريم المؤقت يمنع المرأة من التزوج به ما دامت في حالة خاصة قائمة بها، فإن تغير الحال وزال التحريم الوقتي صارت حلالا.

❖ **أسباب التحريم المؤبد هي: النسب، أو الرضاع، أو المصاهرة.**

المحرمات من النسب هن: الأم (والجدات من جهة الأب أو الأم). . وكذلك البنت (أو بنات الأبناء). . والأخت (سواء شقيقة أو غير شقيقة). .

والعمة والخالة.. وبنات الأخ أو الأخت.

ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

أما المحرمات بالمصاهرة فهن: أم الزوجة (وجداتها).. والربيبة (وهي بنت الزوجة التي دخل بها، وسميت بذلك لأن زوج الأم يربيها).. وزوجة الابن (أو أبناء الابن).. وزوجة الأب.

قال الله سبحانه وتعالى:

* ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ... (٢٣)﴾ [النساء].

* ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً (٢٢)﴾ [النساء].

◆ **أسباب التحريم المؤقت هي:** الجمع بين المحرمين (أي يحرم الجمع بين الأختين، أو بين المرأة وعمتها أو المرأة وخالتها.. وهكذا).. وكذلك تحرم زوجة الغير ومعتدته (فإذا تغير الحال بسبب وفاة الزوج أو الطلاق بدون رجعة، وانقضت عدتها، فلا مانع من الزواج بها).. ويحرم على الرجل أن يجمع في عصمته أكثر من أربع زوجات في وقت واحد (فإن ماتت إحداهن أو طلقها طلقة بائنة وانقضت عدتها، يجوز له أن يتزوج غيرها).. ويحرم كذلك زواج المشركة بالله أو المرتدة عن الإسلام أو الملحدة حتى تؤمن، لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ... (٢٢١)﴾ [البقرة].

ب- زواج التحليل:

إذا طلق رجل زوجته طلاقا بائنا بينونة كبرى، فإنها لا تحل له إلا في حالة واحدة.. وهذه الحالة هي: إذا تزوجت بإرادتها زوجا آخر، زواجا صحيحا،

يُبتغى فيه إنشاء حياة زوجية مستمرة بالمودة والمحبة ودوام العشرة الطيبة ولا يفصل بينهما إلا الموت أو الطلاق إذا استحالت العشرة الطيبة.. فإذا حدث ذلك الانفصال إما بموت زوجها الثاني أو الطلاق منه، فإنه من الجائز للزوج الأول - بعد انتهاء فترة عدتها - أن يتزوجها بعقد ومهر جديدين.

وقد شرع الله - سبحانه وتعالى - ذلك حتى لا يتسرع الأزواج في الطلاق - الذي هو أبغض الحلال - ثم يندمون بعد ذلك.. فهذا الزوج الأول قد نال فرصتين وذلك بالزواج والطلاق ثم إرجاع زوجته، وطلاقها للمرة الثانية.. أما بعد ذلك فلا تحل له إلا بهذا الأسلوب المذكور.. لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ... (٢٢٩) ﴾ [البقرة].

* ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ... (٢٣٠) ﴾ [البقرة].

أما ما يفعله بعض الناس من الحيل الذميمة، بأن يأتي الرجل الثاني، ويتزوج المرأة ليس بهدف البقاء معها وإقامة العشرة الطيبة، وإنما تزوجها وطلقها بغرض التحليل وعودتها لزوجها الأول، فهو مخالف للشريعة.. وهذا المحلِّل (الزوج الثاني) عادة ما يكون على اتفاق مع الزوج الأول فيما سيفعل بزوجته، ونظير ذلك فإن الزوج الأول يرضيه إمَّا بالمال أو غيره.. وكأن المرأة سلعة بينهما.

وزواج الرجل الذي قصد أن يبقى مع المرأة فترة من الوقت، ثم يطلقها لتتزوج بزوجها السابق، يسمى بزواج التحليل.. وهذا الزواج فاسد سواء اشترط المحلِّل ذلك في العقد أو لم يشترط؛ لأن العبرة بالمقاصد والنوايا وليس بالألفاظ.. وقد لعنه رسول الله ﷺ.. واللعن لا يكون إلا على ذنب عظيم، يجب البعد عنه، وعدم فعله.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ المُحلَّ والمحلَّل له. (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)(١).

(١) ت ١١١٩ ص ١٤٧.

جـ- زواج الشغار:

لفظ الشغار - بكسر الشين - مأخـوذ من شغر المكان إذا خلا من سكانه.. وسمي هذا الزواج بهذا الاسم، لخلوه من تحديد المهر للزوجة.. وقد شُرع للزوجة بحقها في المهر لقوله سبحانه وتعالى:

* ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ..﴿٤﴾﴾ [النساء].. (الصداق: المهر) (نحلة: عن طيب خاطر).

وقد نهى النبي ﷺ عن هذا النوع من الزواج.

* عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ نهى عن الشغار. (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)(١).

ومثال لزواج الشغار: أن يقول رجل لآخر: زوجني ابنتك وأنا أزوجك ابنتي، وأنا لا آخذ منك مهرا لها، وأنت لا تأخذ مني مهرا.. فهذا الزواج فيه ظلم لكل واحدة من المرأتين، وإخلاء لزوجهما من المهر الذي هو حق لهما.. ومن أسباب فساد هذا الزواج، ونهى الإسلام عنه، أنه إهدار لكرامة المرأة، لأن الزواج الشرعي لا بد فيه من مهر يدفعه الزوج لزوجته.. ولها أن تتصرف فيه كيفما تشاء.

د- الزواج المؤقت:

هو الزواج المرهون بفترة معينة، مهما كانت مسمياته أو أسبابه.. وهذا الزواج يعتبر فاسدا؛ لأن المقصود من الزواج الشرعي الصحيح هو دوام العشرة، وتربية الأبناء، وإنشاء حياة مستمرة، حتى يفصل الموت بين الزوجين، أو ينفصلا بطريقة مشروعة، وهي الطلاق.

وإذا اشترط في عقد الزواج مدة معينة، فإن القاضي يحكم بالتفريق بين الزوجين.. وإذا لم يشترط في العقد مدة، ولكن النية كانت على ذلك، فهو زواج صوري، فيه الكذب والخداع والحيل الذميمة؛ لأن العبرة بالمقاصد والنوايا لا بالفاظ.

(١) ت ١١٢٤ ص ١٤٨.

ومن أمثلة مسميات هذا النوع من الزواج المؤقت ما يلي:

◆ **زواج المتعة:**

سمي بذلك لأن الرجل يتمتع بالمرأة إلى وقت حدده في نفسه أو حدده معها.. وقد يكون هذا الوقت يوما أو شهرا أو سنة أو غير ذلك.. وقد اتفق الأئمة على فساد هذا النوع من الزواج؛ لأنه يجعل المرأة سلعة، تنتقل من رجل إلى آخر، وكأنها مكان لقضاء الشهوة العارضة.. وقد نهى رسول الله ﷺ عن الزواج الذي يقصد به تمتع أحد الزوجين بالآخر لفترة من الزمان.

* عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نهى عن متعة النساء (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)(١).

وقد ظهرت له أسماء عديدة منها: زواج الويك إند (أي: نهاية الأسبوع)، أو زواج الصيف، أو زواج السياحة إلى غير ذلك من المسميات.. وهذا النوع من الزواج أكثر انتشارا في إجازات الصيف، أو بالأماكن والفنادق السياحية.. أو في الرحلات الطويلة من بلد لآخر.. وشائع جدا في البلاد الغربية.. إذ نقرأ عنه في إعلانات الزواج بالجرائد الأجنبية المتخصصة، أو بالفضائيات.. فمثلا يطلب الرجل صديقة خلال فترة قيامه برحلة إلى إحدى البلاد.. وبالمثل قد تطلب المرأة صديقا.. والصديق في مفهوم هؤلاء الأجانب هو الذي يعيش معها كزوج سواء بعقد زواج أو بدون عقد.

◆ **الزواج بعد الاغتصاب:**

هناك حالات أخرى تكون فيها الفتاة ضحية.. وذلك في حالات الخطف والاعتداء بالاغتصاب.. فمن النادر أن تقبل الأسرة الإبلاغ عن تلك الحوادث خوفا من الفضائح.. أما عند ضبط إحدى الحالات من قبل مسئولي الأمن، فقد يتم الزواج بقسم الشرطة.. وبهذا الزواج يفلت المعتدي من السجن بورقة الزواج، وفي نيته أن يطلق الفتاة بعد فترة قصيرة، وقد تزداد نذالته بابتزاز أهلها ماليا حتى يطلقها.

---

(١) ت ١١٢١ ص ١٤٧.

(٢) الزواج المعَرّض للفشل:

أ- الزواج العرفي:

الزواج العرفي هو ما تعارف عليه الناس قديما.. وإذا اكتملت أركانه وشروطه فهو زواج صحيح.. أما الزواج العرفي في هذا العصر، فقد اختلف معناه تماما إذ أصبح معناه الحقيقي: الزواج السري.. ذلك لأنه يتم سرا.. وفيه خلل كبير، وأغراض دنيئة، أكثرها نابعة من الرجل.. لأنه يريد قضاء شهوته، أو الاستمتاع بامرأة معينة دون علم والدها أو أهلها، أو دون علم زوجته الأولى.. وعادة ما يخدع فريسته بشتى الوسائل والطرق حتى يحقق مأربه، ودون أن يعطيها أبسط حقوقها وهي وثيقة الزواج.

أما الفريسة، فهي إما ساذجة وليس لديها أي ثقافة عن أسس الزواج.. أو أن الفقر ألجأها لذلك.. أو أنها هارية من العذاب في بيتها فيلتهمها من هو أشد وأقوى دون رحمة.. وقد يخدعها بكلامه المعسول ويملي عليها أقوالا تفهم منها أن هذا هو ميثاق الزواج كأن يقول لها: «قولي زوجتك نفسي»، ويكرر هو نفس الجملة.. بدون شهود أو أي شيء.. وقد يأخذها إلى صديق له، ويدعي أنه المحامي الذي سيكتب وثيقة الزواج.. وقد يجرح يده ويدها ويضع الجرحين على بعضهما ويقول أن هذا هو زواج الدم، حيث اختلطت الدماء وبالتالي أصبحا زوجين.. وفي جميع الأحوال لن تجد هذه الفريسة وثيقة زواج ولن تحصل على أي حقوق، ومشكلتها أكبر عندما تثمر هذه العلاقة عن أبناء، ولا يعترف هذا المخادع بالأبناء.

وقد يرجع هذا الزواج العرفي إلى الفتاة نفسها، التي تعتبر من النوع اللعوب، حيث تنصب شباكها وتوقع برجل من الأثرياء، ذوي المراكز العالية.. وتجعله فريسة سهلة.. وبعد ذلك تجبره على الزواج منها وإلا تفضحه.. وغيرها من الفتيات التي تقع في غرام السائق الخاص مثلا، أو زميل الجامعة، أو ابن الجيران... وتهرب معه من بيتها الآمن لتكمل حياتها مع شاب - عادة غير كفء لها - دون علم الأب الذي يعتقد أنه تم اختطافها.. وإذا بالأب يفاجأ في قسم الشرطة مثلا أنها تزوجت بإرادتها.. وغالبا ما يكون سبب الهروب هو الرغبة في

وضع الأهل أمام الأمر الواقع.. وهناك حالات من هذا الزواج الأخير - الذي يفاجأ به الأهل بقسم الشرطة - يتم فيها أخذ تعهد من أولياء الأمور للفتاة بعدم التعرض للزوجين.. وفي جميع الحالات، فإن الفتاة هي التي يقع عليها أكبر الضرر، وهي الخاسرة؛ لأن من تخسر أهلها، لن تجد كرامتها وعزتها وأمنها عند غيرهم.. وحتما ستطلب الطلاق بعد فترة طالت أم قصرت.

وهناك حالات تكون الفتاة فيها ضحية والدها - الفقير أو معدوم الضمير - الذي يزوجها لرجل ثري، في صفقة تجارية لمصلحته الشخصية، دون التحقق من إجراءات زواجها إن كانت صحيحة، أم عرفية مزيفة.. فالمهم عنده أنه قبض الثمن، وسلمه ابنته، وتنتقل هذه المسكينة مع الثري إلى المنزل الفاخر أو الفندق.. وتعيش بعض الأيام أو الأسابيع في حلم سعيد.. ثم تفيق على هروب أو اختفاء هذا الرجل المزيف الذي لم تعرف عنه شيئا.. ولم تحصل على وثيقة زواج.. ولا يرحمها أحد إن أثمرت هذه الفترة القصيرة عن جنين.

ب- زواج المسيار:

في هذه الحالة تكون المرأة ميسورة الحال.. ولكنها كبيرة في السن، إما أن فاتها قطار الزواج، أو أرملة، أو مطلقة.. وقد تطمح هي أن تتزوج بشاب يعيد إليها شبابها ويؤنس وحدتها.. وقد يطمح الشاب فيها لثرائها، فهو ينظر إلى مالها وليس لذاتها.

والمجتمع الشرقي بصفة عامة لا يقبل أن يتزوج الرجل امرأة أكبر منه في العمر لكي يناله نصيب من ثروتها الوفيرة أو يفوز بميراثها، أو طمعا في حياة أو منصب سوف تحققه له.. ومن يُفكر بهذا الأسلوب، يُنظر إليه بنظرة دونية.. لأنه بعد أن يحصل على غايته من المال أو المنصب، فهو يريد أن يطوي هذه الصفحة من حياته، إما بطلاقها، أو بالزواج بأخرى وإهمالها، أو بابتزاز مالها أكثر وأكثر حتى تتعب نفسيا وتطلب هي الطلاق.

وهذا لا يعني أن الزواج بامرأة أكبر عمرا عيبا، ولكن العيب هو في أسلوب التفكير والهدف من هذا الزواج.. فهناك آلاف من الرجال تزوجوا من أرامل، حبا لذاتهن، وسترا لهن، كما رعوا أبناءهن وكانوا لهم بمثابة الأب.. وهؤلاء الرجال

ينالون ثقة وتقدير المجتمع للشهامة والإخلاص في تربية هؤلاء الأبناء كإخوة لأبنائه.

جـ- كراهة الزواج من الكتابية:

الزواج من نساء أهل الكتاب - النصارى واليهود - جائز؛ لأن المسلم يعترف بجميع الأديان.. وقد ساعد هذا الزواج على انتشار الإسلام في أوائل عصر النبوة وما بعدها.

أما في العصر الحالي، فقد انتشر الإسلام - بعون الله - في جميع بلاد العالم، خاصة مع التطور الهائل في وسائل الاتصال - من الصحافة والإذاعة والتليفزيون والفضائيات والإنترنت وغيرها - فلم يعد الزواج من الكتابية هو الوسيلة المثلى لانتشار الإسلام.

ونظرا لأن الحالة المالية والمصالح الشخصية سيطرت على عقول الناس - بالعالم كله - في هذا العصر، فقد يلجأ بعض الشباب من العاملين - خاصة بالمدن السياحية - إلى الزواج من الأجنبيات، واضعا في اعتباره: إما حلم السفر والهجرة هربا من البطالة، أو الثراء السريع، أو التنفيس عن الرغبات المكبوتة، أو الانبهار بجمال الأجنبية.. وتتوزع دوافع الأجنبيات للزواج من شاب مصري أو عربي إلى: تفضيل الارتباط برجل شرقي للحصول على الاستقرار في الحياة الزوجية، أو البحث عن المتعة على الرغم من كبر سن بعضهن، أو دوافع العمل، أو الحلم بالارتباط بشاب من أحفاد الفراعنة نتيجة الانبهار بحضارته الغابرة، أو سبب آخر دفين في النفس وهو الاستيلاء على أموال العرب.

والفترة الأولى من هذا الزواج ستكون ناعمة ورقيقة.. ولكن نظرا لأن معظمها زواج مصالح، فإن المستقبل لهذه الزيجات مُعَرَّض للفشل والطلاق.. علاوة على آثاره السلبية على المجتمع.. ولذا فإنه مكروه للأسباب التالية:

- هذه الزيجات تسيء إلى المجتمع الإسلامي، إذ إن الوازع الديني معدوم، ومعظمها يعتبر زواج المتعة إلى حين انتهاء المصلحة الشخصية من هذا الزواج.

◆ قد يميل الزوج إليها، ويعجب ويهيم بجمالها، فيكون ذلك عونا لها على التوغل في الضلال، فتنغص عليه التمتع بالجمال، حتى تفتنه في دينه أو يتولى أهل دينها.

◆ قد تربي الأبناء على غير دين الإسلام، خاصة إذا كان الزوج لا يراقب أبناءه جيدا لانشغاله بالعمل.

◆ إنها خطر على الثقافة والدين والمجتمع، وتؤثر سلبا على التماسك الاجتماعي.. إذ إن الجيل الناتج عن هذه الزيجات يعاني من الفوضى الثقافية، فهو مثلا «أوروبي - مصري».. وهو أيضا «مسلم - مسيحي».

◆ ترفض الزوجة الأجنبية ترك الأبناء للزوج، وتتطلع إلى الاستحواذ عليهم لتنشئتهم على طريقتها وبحسب ثقافتها.

◆ قد تلجأ الزوجة إلى سفارة الدولة التي تتبعها، لكي تساعدها على الهرب بالأبناء.. وتحرم الأب من أبنائه، وتفسد عقيدتهم.. وكم من مآسٍ ومشاكل حدثت، حيث لا يعرف الأب طريق أبنائه.. والقضاء الغربي لن يُنصفه أو يعطيه حقه.. ويصبح الندم حليفه ما بقي له من العمر.

◆ يبدو أن هناك هيئات بالغرب هدفها الاستيلاء على أموال العرب بالخداع.. وخطتها في هذا الشأن، تسليط الفتيات الجميلات على أثرياء العرب، وإغرائهم بشتى الوسائل حتى يتم الزواج.. ويسعد هو بهذه الزيجة لفترة محدودة، تكون خلالها عرفت كل أسراره خاصة المالية.. وقد تكون أنجبت أطفالا.. ثم تبدأ فى التخطيط للمرحلة النهائية من الخدعة.. فتختلق المشاكل وتطلب الطلاق.. أو تأخذ الأبناء وتسافر ومن هناك تطلب الطلاق.. وتساعدها القوانين والمحاكم الغربية في الحصول على نصف ثروته.. كما تساعدها على حضانة الأبناء.. ولا يعرف الزوج لها طريقا، ولا يتمكن من رؤية أبنائه.. وعند ذلك يفيق الزوج، ويعرف الخدعة.. فقد ضاع المال والأبناء.. وبقي الندم رفيقه.

ولذا فإن المجتمع لا بد أن يسن القوانين التي تمنع الزواج من الأجنبيات إلا بشروط محددة، بحيث تحافظ على الأبناء ليتبعوا آباءهم.

د - تعدد الزوجات بدون ضرورة:

من العجيب في هذا المجتمع الذي يعاني من تأخر سن الزواج، ومن ارتفاع نسب الطلاق، أن يعاني أيضا من رغبة بعض الرجال في تعدد الزوجات.

والدين قد أباح الزواج مثنى وثلاث ورباع.. ولكن ليس معنى الإباحة أن أي زوج يتزوج بدون ضوابط بغرض تعدد الزوجات والتباهي.. فهذا غير جائز، لقول الله تعالى:

* ﴿ ... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ... ﴿٣﴾ ﴾ [النساء].

ومعنى ذلك أن على الرجل ألا يظلم زوجته الأولى بزواجه بأخرى دون ضرورة، وإذا حدث لضرورة، وجب عليه أن يعدل في كل شيء بينهن، وأن يعمل على عدم التجاوز، والإخلاص لله تعالى.

فمنذ أن بدأ عصر الانفتاح - في السبعينيات من القرن الماضي - زاد الفرق بين طبقات المجتمع.. وظهرت فئة جديدة تملك الوفرة من المال.. وزاد معها الطمع والجشع بالحياة المادية.. وزاد كذلك السعي وراء المتعة بجميع أنواعها.. وزاد أيضا السعي للتجديد والتغيير لكل شيء، بما في تلك الزوجة الأولى.. فقد يطلقها، لأنها أصبحت لا تصلح للمستوى العالي الذي وصل إليه، أو لأنها تُذَكِّره بأيام الذل والكفاح الماضية، وكأنه ابن اليوم، ونسي الماضي أو يريد أن يتناساه.. وقد يحتفظ بالزوجة الأولى، التي كانت معه منذ البداية، لأنها أم الأولاد ومسئولة عن تربيتهم، ولكنها أصبحت في نظره امرأة مهملة في نفسها، فقدت جمالها وبريقها، وهو الآن في حاجة إلى زوجة أخرى في سن الشباب تكون واجهته أمام الآخرين.. بمعنى أنه في حاجة إلى الوجاهة الاجتماعية، فيتزوج بامرأة مناسبة للوضع المادي والاجتماعي الجديد.. وهذا الزواج الجديد، إما يكون خافيا عن الزوجة الأولى، أو معلنا لديها من قبل.

أما تعدد الزوجات الذي يحدث في الخفاء، والخداع للزوجة الأولى، فإن عواقبه وخيمة؛ لأنه يعصف بأمن وسعادة الأسرة كاملة، ولن يهدأ بال الرجل أو الزوجة الأولى أو الثانية.. فالزوجة الأولى تحس أنها أهينت في كرامتها.. والثانية تعرف أنه لن يستغني عنها، لأنها وفرت له ما لم توفره له الأولى.. والرجل في

صراع نفسي بين هذه وتلك.. والجميع خاسرون.. فالعقل سيأخذ إجازة، ولن يفكر أحد بعمق وتأن.. بل سيبدأ كل منهم بإلقاء اللوم وكشف عيوب الآخر بقوة وتحد.. والشيطان حينئذ ينفخ ويصور لكل طرف أنه صاحب الحق.. والكبرياء يضع حجرا أمام التفاهم.

وفي هذا الجو المشحون بالبغضاء، فإن العقل الباطن في نفوس الأبناء، قد يختزن تلك الحادثة الأليمة، ويترجمها إلى أن جميع الرجال مخادعون.. وبالتالي فإن بنات هذا الأب المخادع، ترفض الزواج عندما يتقدم إليهن أي خاطب، حتى لو كان مناسبا من جميع الظروف.. وتلك حالة نفسية تحتاج إلى العلاج عند الأطباء المتخصصين.. وأين هم الأبناء الأسوياء، مع الأم المنكسرة النفس الحزينة الباكية لهجر زوجها وزواجه بأخرى؟!.

وباختصار فقد ضاعت مقومات الأسرة، وعصفت بها الرياح، وامتلأت القلوب بالشحناء والبغضاء، وضاقت الصدور، وارتفعت الأصوات، ولم يعد للبيت أسرار.. وكل ذلك بسبب نزوة الزوج الذي يتطلع إلى زوجة أولى تراعي الأبناء، وزوجة أخرى للوجاهة الاجتماعية.

وهذا لا يعني تحريم الزواج الثاني، ولكن الشرع أباح التعدد في النور والعلانية.. ووراء التعدد هناك مسئولية واجبة على الزوج، وأولها إعلام الزوجة الأولى برغبته في الزواج بأخرى.. ويترك لها الحرية إما الطلاق أو الرضا بهذا الوضع.. وعند رضاها عليه بالعدل بين الزوجات.

وهناك عوامل أخرى تجعل الرجل يتمادى في تعدد الزوجات.. ومنها ذلك العجوز المتصابي الذي يريد أن يثبت لنفسه أنه ما زال شابا.. ولا يريد أن يعترف بمرور السنين.. فيختار الزواج من فتاة في عمر أبنائه.

وكذلك الرجل الذي يريد أن يملأ بيته بالحريم، وأن يكون الجميع طوع خدمته وأوامره، ناسيا أن هذا العصر قد انتهى منذ زمن بعيد.. هذا علاوة على من يقترب من بنات الهوى، فمجرد الاقتراب لا بد أنه سيقع في المحظور، وقد يضطر مرغما أن يتزوج ممن أنجبت له ابنا.. ولذا فقد حرم الله سبحانه وتعالى

على الإنسان الاقتراب من الفواحش؛ لأن إرادته قد تُسلب منه، ويقع في الخطأ دون أن يدري.

* ﴿ ... ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ... ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام].

وتختلف رغبة الرجل في تعدد الزوجات عن رغبة المرأة في ذلك.. فقد تعرض الزوجة العقيم أو المريضة، على زوجها الذي تحبه أن يتزوج بأخرى تنجب له ابنا كما يتمنى كل الأزواج.. على ألا يطلقها.

وقد ترغب المرأة - سواء التي فاتها قطار الزواج أو المطلقة أو الأرملة - أن تتزوج حتى لو كانت الزوجة الثانية.. ورغبتها نابعة من الشعور بالوحدة.. فهي ترضى بأن تكون زوجة ثانية، وليس في نيتها أن تسلب الزوجة الأولى حقوقها.

وهناك نوع آخر من النساء اللعوب التي تريد خطف الزوج من زوجته الأولى، إما طمعا في ثرائه، أو غيرة من زوجته، أو انتقاما منها، أو تأكيدا لنفسها المريضة أنها ذات أنوثة عالية وقادرة بالإغراء أن تجعل الرجال يقعون في حبائلها.. أو غير ذلك من الأغراض الدنيئة.

وهناك أيضا الفتاة المغرضة التي تبحث عن الثراء، فتسعى للزواج برجل متزوج، وفي عمر أبيها، حتى تشارك الزوجة الأولى في ثروته العظيمة.. وتكتمل سعادتها لو أنها أنجبت ولدا.

وأحيانا ترضى الزوجة بالتعدد على مضض لأنها لا تريد أن تحمل لقب مطلقة؛ لأن نظرة المجتمع للمطلقة تختلف كثيرا عن الزوجة.. وأحيانا أخرى لعدم قدرتها على تحمل الأعباء المالية لنفسها إذا كانت لا تعمل.. وسبب آخر هو عدم قدرتها على مصاريف المحاماة وخلافه لطلب الطلاق، خاصة إذا كان الزوج من النوع المراوغ.. وأحيانا تضغط الزوجة على نفسها مراعاة لمصلحة الأبناء.. وفي هذه الحالة يحافظ الزوجان على الشكل الظاهري لهذه العلاقة الزوجية خارج المنزل، أما في داخل المنزل فهما منفصلان وكل منهما له تصرفاته وأفكاره بعيدا عن شريك حياته.

ثانيا: أثر العائلة على عدم نجاح الزواج

ما من شك أن الآباء والأمهات لهم كل الفضل في تربية الأبناء ورعايتهم حتى نضجوا وتزوجوا وأصبح لكل فرد من الأبناء أسرة مستقلة.. وحتى بعد الزواج سيظل بيت العائلة هو الذكريات الجميلة.. والملجأ للمساعدة في تربية الأحفاد خاصة مع الظروف الحالية من عمل المرأة خارج المنزل.. والأهل هم الحضن الدافئ، الذي يحن الأبناء إليه، للتخفيف من مشاكلهم والاستفادة من آرائهم وخبراتهم الواسعة بأمور الحياة.. ولن يستغنى أحد أبدا عن أهله مهما عركته الحياة بحلوها ومرها.

وهناك مواقف أسرية ومعاني تربوية يحتاجها الزوجان لتكوين علاقة قائمة على الحب والتفاهم وتحقيق الانسجام.. وكل ذلك يمكن اكتسابه من الملاحظة لما يفعله الآباء والأمهات.. وربما يكون أمرا طبيعيا ما يفعله الآباء الآن كما كان من قبل، ولكن نظرة الأبناء اختلفت وملاحظاتهم هي التي تغيرت بعد الزواج، فبدأوا في اكتشاف المعاني الجميلة في العلاقة بين آبائهم وأمهاتهم.

ولعل المناسبات تكون فرصة عظيمة للزوجين - يغتنمونها في مشوار الحياة - للتركيز على صلة الرحم وتقوية العلاقات الاجتماعية.. ويفضل أن يكون ذلك جماعيا حتى تشترك الأسرة كلها في تحقيق هذا المعنى الاجتماعي النبيل والاستفادة من اجتماع العائلة كلها، مما يجعل للزوجين فرصة استثمار هذا الحدث لتقوية العلاقة فيما بينهما وبين أبنائهما من خلال الحوار وتبادل الحديث ومناقشة المشاكل - بصورة عامة - والوصول إلى نتيجة وتغيير أفضل.. واستثمار الفرصة كذلك للتغيير في السلوكيات والتصرفات السلبية إلى الإيجابية.. لأن الإنسان يقبل التوجيه عندما تكون نفسيته مطمئنة في مثل هذه المناسبات والاجتماعات العائلية الجميلة، ويرفض أي توجيه عندما يكون مشغولا أو متوترا.

ولا شك أن هناك أفكارا عديدة يمكن تطبيقها واستثمارها للتغيير نحو الأفضل، تختلف تبعا لظروف كل أسرة.. وفي كل الأحوال، يجب على الزوجين تجنب الأمور التي تؤدي إلى مضايقة الوالدين.. فمن أكرم والديه، سرّ بأولاده.

وإذا كـان للعائلة إيـجابيـات كثيـرة لا تحصى نحـو الأبناء، فـهناك بعض السلبيات التي قد تؤثر على الزوجين من أبناء العائلة، وتكون سببا في زرع المشاكل الزوجية بينهما. . وإذا زادت المشاكل بصورة لا يتحملها أحد الزوجين، فقد تنتهي بالطلاق، مع كراهية الزوج - أو الزوجة - لهذه العـائلة التي كانت سببا في فشل زواجه.

وفيـما يلي نلقي الضـوء على بعض النقاط السلبيـة التي قد لا تفطن إليـها العائلة، ولكنها تكون سببا في تعاسة الأبناء، بعكس ما اعتقد الآباء أنها تحقق لهم السعادة.

(١) فرض زيجة معينة على الأبناء:

بدافع الأبوة أو الأمـومـة، يحـاول بعض الآباء فـرض زيجـة مـعـينة على أبنائهم. . هذا السلوك يوصف بأنه مخالف للشريعة الإسلامـية. . فالرغبة والقبول بين الطرفين أحـد شروط الزواج. . وليس هناك إكراه أو إجـبار حـتى لو كان من الوالدين. . كما أن حق الولاية للأب أو غـيره لا يجيز لصاحبه إجـبار الفتاة على الزواج ممن لا ترغب فـيه، بل إن إتمام الزواج مـوقوف على مـوافقـتهـا، وإن لم ترغب كان الزواج غير صحيح.

فكثيرا ما يحدث أن يتقدم شـاب إلى والد الفتاة ليتزوجها. . ويوافق الأب، بل ويتفق معه أيضا على موعد الزفاف. . ويفاجئ الأب ابنته ويبلغها أنها ستتزوج فلان والزفاف يوم كذا. . وقـد يقع النبأ على الابنة كالصاعقـة خاصة إذ كانت لا ترغب في هذا الشاب. . ولا يقـبل الأب منها أي مناقـشة بحجـة أنه أعطى كلمة وقرأ الفـاتحة ولا يمكن أن تقع كلمتـه على الأرض. . وهكذا تدفع الابنة ثمن هذه العادات البالية من أعصابها. . إذ يختـار لها الأب ما يريد ويجبرها على القبول. . وبعد الزواج، قـد تزداد المشاكل بين الزوجـين، إلى الحد الذي لا يمكن أن تطيـقه البنت المسكينه. . فتطلب الطلاق أو تهرب من البيت.

ونفس الشيء يحـدث، عندما يضـغط الأب أو الأم على ابنهم بالزواج من فتـاة معينة من أقاربهم. . وهذا يعـتبر خطأ كـبيرا؛ لأن المجامـلات قد تصلح في أشياء كثيرة إلا في الزواج. . فبعد أن تحدث المشاكل وعدم الانسجام أو التوافق بين

الزوجين، يصبح الطلاق هو الطريق الوحيد لتصحيح هذا الوضع.. ولكن يبدأ الضغط مرة أخرى - من الأب أو الأم - على الابن بعدم الطلاق، بحجة أن العلاقات بين الأقارب ستنقطع، أو كيف نواجه الأقارب إذا تم الطلاق لابنتهم؟! وهكذا يعملون على تدمير حياة الابن في الزواج والطلاق، على الرغم من أن الهدف - من وجهة نظر الأب أو الأم - إسعاده.

وفي حالات أخرى، قد يوصي الأب ابنه بالزواج من فتاة لا يرغب الابن فيها.. ويتوعده الأب بالغضب عليه إلى يوم القيامة ما لم يطبق وصيته.. فتطبيق الوصايا الجائرة ليس من البر بالوالدين.. وليس من حق الآباء إجبار أبنائهم على طاعتهم فيما يُغضب الله ويخالف شرعه.

وتنتشر في الريف بالذات أن يقرر الآباء أن «فلانة ستكون من نصيب فلان».. وهذا القرار يؤخذ منذ الميلاد أو خلال فترة الطفولة، بهدف أن يحافظوا على الأرض أو الميراث لكي يظل داخل الأسرة ولا يأتي غريب بينهم.. وهذا القرار الجائر في حق الطفلة والطفل لم يترك لهما حرية الاختيار عند الكبر.. وربما يكون سببا في أن يُعرض هذا الطفل - عندما يكبر عن الزواج نهائيا، إذا كان لا بد أن يتزوج تلك التي اختاروها له بالإجبار.. فيتسبب بذلك الآباء في زيادة العنوسة والعزوبة للأبناء بسبب ربط الزواج بالأرض أو الميراث.

هذه الضغوط في أمور الزواج من الآباء على الأبناء، تسبب مشاكل كثيرة وعناء نفسيا كبيرا.. ولا بد أن يخرج موضوع الزواج عن المجاملات بين الأقارب أو الأصدقاء أو الأرض والميراث أو الوصايا التي تخالف شرع الله.

وهنا نؤكد على ضرورة ألا يستسلم أي طرف من الزوجين لضغوط من حوله للارتباط بشخص ما، دون التأكد من مشاعره نحوه.. ولا بد أيضا من فترة الخطبة، وإعطاء الوقت الكافي للتعرف على شريك الحياة.. فكل إنسان له مزاياه وعيوبه.. والمهم أن يتعرف كل طرف على قدرته في احتواء وتحمل عيوب الآخر.. وعدم التسرع في الارتباط بشخص ما مع عدم التأكد من الشعور بالراحة معه.

ونلفت نظر الأبناء على أنه لا مانع من النظر في اختيارات الآباء والتعرف على وجهة نظرهم قبل الرفض والاعتراض على ترشيحاتهم، فقد تكون هي

الأنسب بحكم خبراتهم وتجاربهم في الحياة.. لاسيما إذا كان حكم الترشيح مبنيا على أساس ديني و اجتماعي سليم.

(٢) ظلم الآباء للأبناء:

إذا كان الإسلام ينهى الآباء عن إجبار الأبناء على زواج معين، ويعده نوعا من الظلم، فكذلك عندما يحض الآباء على التفرقة بين الابن وزوجته لغير سبب شرعي أكيد، يعد ظلما أكبر.. ولا ينبغي أن ينساق إليه الأبناء بدعوى طاعة الآباء، لأنه حض على معصية.. ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. ولكن عدم طاعة الابن للآباء في هذا الشأن، لا تمنعه من أن يصاحبهما بإحسان وتقديم المعروف لهما.

ونوع آخر من الظلم يقع على الابنة من الأسرة والمجتمع.. وذلك حينما تشعر باستحالة العشرة الطيبة مع زوجها، وتظل متألمة باكية باستمرار، وفي نفس الوقت خائفة من كلام الناس لو طلبت الطلاق.. ذلك لأن المجتمع ينظر للمرأة المطلقة على أن التقصير والعيب فيها، ولا يدين الرجل مهما كانت سوء تصرفاته.. ولأن الزوج واثق تماما من عدم إقدام زوجته على طلب الطلاق، فهو يتمادى في الظلم والطغيان دون رادع له.. والأدهى من ذلك، إذا عرضت أمرها على والديها، فإن الأم أول من تدين البنت إذا طلبت الطلاق.. وللأسف، فإن هذا الفكر تُرضعه الأم لبناتها منذ الصغر.. فتتحمل البنت فوق طاقتها نتيجة هذه الاعتقادات الخاطئة من الأسرة والمجتمع، والتي تسلبها الحق في المعيشة الكريمة بدون ذل من الزوج القاسي.

ويقع الظلم على البنت أيضا، إذا لم يهتم الآباء بتربيتها على تحمل المسئولية والتعايش مع أسرتها الجديدة بإمكانيات زوجها، فإذا كانت مسرفة ومبذرة ولا تراعي إمكانيات زوجها، فلن تستقيم الحياة الزوجية، وقد تنتهي بالطلاق السريع.. وبعد الطلاق سوف تبحث عن الأسباب التي أدت بها إلى هذا الوضع.. وسوف تلوم والديها، إن لم يكن علنا، فسوف يكون في داخلها.

والأسرة هي المسئولة عن تفشي ظاهرة الطلاق السريع بعد الزواج.. ذلك أن البنت أحيانا لا تجد الإشباع العاطفي الكافي من الأب أو الأم.. وبالتالي

تبحث عن هذه العواطف خارج البيت. وتسارع إلى الزواج لعل وعسى أن يعوضها عن هذا النقص!!.

وأحيانا يكون تكوين الأسرة غير سليم.. ويريد الأب والأم فيها سرعة زواج البنت.. إما لتخفيف المسئولية عن الأسرة، أو اعتقاد بأن زواج البنت سترة!!.. وبالتالي يتم الزواج في سن مبكرة، دون أن تفهم البنت التعاليم والأهداف الصحيحة السليمة للزواج.

كما أن ظلم البنت عظيم عندما يزوجها والدها بشخص غير مناسب لها، تحت بند واحد فقط، هو أنه قبض الثمن الغالي نظير زواجها.. فكأنه باع ابنته لمن يتمتع بها لفترة ثم يتركها بعد ذلك حائرة ومقهورة في هذه الحياة.

(٣) نظرة الأسرة والمجتمع الذكورية:

ما زالت فئة كثيرة من الأسر تفضل الابن الذكر عن الأنثى.. ولذا نجد أن الزوج لا يهدأ له بال مهما كان عدد بناته حتى يُنجب الابن الذكر، للاعتقاد أنه الوريث الذي يحمل اسمه واسم العائلة، والمتوقع منه أن يحمي أخواته الإناث ويتولى أمرهم من بعد أبيهم.. وكلنا نلاحظ الفرق الكبير في أسلوب الاحتفال بميلاد هذا الابن عن أخواته.. وقد عبرت الأغاني الشعبية عن هذه الظاهرة إذ تقول إحداها: «شيخ البلد، خلف ولد، يا فرحته، عامل فرح..»، ولم نسمع مثل هذه الأغنية للتعبير عن الفرحة بميلاد أي أنثى.

وهذه النظرة الذكورية ليست مقصورة على مجتمع معين، وإنما في مجتمعات كثيرة من العالم.. وها هي دولة الصين بعد أن ازداد بها تعداد السكان إلى درجة كبيرة، اتبعت سياسة «المولود الواحد» منذ فترة طويلة.. ونظرا لتفضيل الأسر الصينية المولود الذكر، مارست الإجهاض عندما يكون الجنين أنثى.. وهذا أحدث خللا كبيرا بين نسبة الذكور إلى الإناث، وأصبحت الأزمة في عزوبة الرجال كبيرة نظرا للانخفاض في عدد الإناث بالصين.

أما عندنا فقد نجد الابن الذكر له ثلاث أو حتى خمس أخوات بنات.. والمشكلة ليست فقط في عنوسة البنات، ولكن في أسلوب تربية هذا الولد، حيث يصبح الابن «الدلوعة» بين أبويه وجميع أخواته.. وعندما يعتاد على التدليل منذ

الطفولة، فهذا هو مكمن الخطر في سلوكياته.. إذ يتوقع من الجميع الاستجابة لكل طلباته.. ويصبح عصبيا متقلب المزاج، وبخيلا لأنه اعتاد على الأخذ دون العطاء.. وعندما يكبر لا يتعامل مع الناس باللين، وإنما طلباته أوامر.. أو يتحول إلى إنسان ضعيف الشخصية؛ لأنه لم يتحمل مسئولية أي شيء مع أسرته، والجميع كانوا في خدمته.

وإذا أراد الزواج.. فإن الأب يسارع في الاستجابة لكل طلباته.. سواء في حفلات الزواج أو احتياجات المنزل.. وهذا الأمر لا يسعد الزوجة، لأن أي امرأة تحب الزوج الذي يتحمل مسئوليات البيت حتى لا يُصدم بغدر الزمان.. وتحب أيضا الشخص القادر على حمايتها هي والأبناء في الوقت الحاضر والمستقبل.

هذا علاوة على أن هذا النوع من الأزواج المدلل، يتوقع من زوجته - حتى لو كانت عاملة - أن تقوم بنفس الدور الذي قامت به الأسرة من تدليله في البيت.. وبالتالي يصبح على الزوجة العبء الأكبر في تغيير بعض العادات التي نشأ عليها، وتحاول بأسلوب هادئ ومتزن أن تدفعه نحو إقامة علاقة إنسانية جديدة أساسها الود والرحمة وليس الدلال والأوامر، وأن يتحمل مسئولية بيت الزوجية.. وهذا يتطلب منها جهدا ووقتا حتى يحدث التغيير.. وإذا لم تتحمل هي هذا العبء، أو فشلت في تغيير سلوكيات هذا الدلوع.. فإن الحياة الزوجية معرضة للفشل.. والسبب من البداية هي العائلة التي أفرزت هذه الشخصية.

(٤) الحماة:

حماة الزوجة هي والدة زوجها.. وحماة الزوج هي والدة زوجته.. وكلتاهما أمهات لهن قلب ينبض بالعطف والمحبة.. ولكن الأفلام السينمائية ووسائل الإعلام المختلفة جسدت صورة الحماة - في الزمن الماضي - بأنها قنبلة موقوته.. فلا يغمض لها جفن إلا بعد أن تدس المكائد وتشعل نيران الخلاف بين الزوج وزوجته.. ولكن حاليا تراجعت كثيرا صورة الحماة الشريرة.. ولم يعد هناك الوقت أو الفراغ الذي يساعد على القيل والقال بين الحموات والزوجات أو الأزواج.. كما أن بيت العائلة الكبير اختفى هذه الأيام.. علاوة على أن الحماة أصبحت أحيانا تساعد الزوجين ماليا أو تساعد في تربية الأحفاد.

ولكن هناك نسبة ضئيلة من هذه الحموات، تحاول بكافة الأساليب التدخل السافر في حياة الابن أو الابنة، والإيقاع بين الزوجين عن قصد أو بدون قصد.

فهناك الحماة التي ما زالت تعتقد في الحسد.. فإذا حدث أي شيء - من مرض أو وفاة أو انكسر شيء في البيت - اعتبرت أن الزوجة شؤم ونحس على البيت.. وكلما رأتها تقرأ آيات قرآنية لطرد عين الحسود.. هذه التصرفات من الحماة مستفزة للزوجة.

وإذا سافر الزوج، واضطرت الزوجة إلى الإقامة مع أسرة زوجها.. فقد تنشأ بعض الخلافات والمكائد خاصة إذا كانت الحماة من النوع المستفز.. وقد تصل الأمور إلى منع الزوجة من زيارة أهلها حتى لا تشكو ولا تتكلم عن سوء معاملة أسرة الزوج لها.

وما أن يرجع الزوج من السفر حتى تطلب الزوجة الطلاق.. ولو أن الزوج لم ينجرف إلى رأي والدته دون أن يتيقن من حقيقة الأمر، لكان الزوجان ينعمان بحياة سعيدة مع الأبناء الذين لا ذنب لهم فيما حدث.

وهناك أيضا الحماة التي تعتبر أن الزوجة خطفت أو سرقت ابنها منها. فهي تعتبر أن ابنها - خاصة إذا كان الابن الوحيد - ملكا لها، قامت على تربيته ليكون لها، تسعد به ويسعد بها.. وقد ترشح له زوجة باختيارها، وتسعد كثيرا عند زواجه.. ولكن بعد فترة قصيرة من الزواج، يصيبها التمزق النفسي، وتكره زوجة ابنها.. وبالتالي تنغص عليها الحياة، وتتدخل في شئونها، ولا تعترف في داخلها أن من سنة الحياة زواج الأبناء، وأن عليها أن تحتضنهم وتسعد بهم ويسعدوا معها.. وهذا الموقف منها يجعل الزوجين يبتعدان عنها قلبا وقالبا.. فتزداد هي حسرة وندما.

فالواجب على الحماة، أن تعمل على استقرار الحياة الزوجية للأبناء.. وتطرد الغيرة من زوجة ابنها حتى يسعد الابن بزوجته. فلا تتدخل في شئونهم الخاصة.. وتترك جيل الأزواج الجدد يعيشون حياتهم بطريقتهم التي لا بد أن تكون مختلفة عن الجيل السابق.. وتتعامل معهم من القلب.. وتساعدهم ماليا إذا توفرت المقدرة على ذلك.. وتساعدهم أيضا برعاية الأحفاد كلما أتاحت لها

صحتها وظروفها بذلك.. وتزرع بذرة المودة والحنان.. وتغدق عليهم من الحب.. فينعم الجميع بكل الخير والسلامة والسعادة والهناء وراحة البال.. وعلى قدر العطاء والإحسان، فإن الإنسان يجني الثمار من المحبة والسعادة.

(٥) أخوات الزوج:

بعض الزوجات يضعن أخوات الزوج في نفس الخندق الذي يضعن فيه الحماة.. وقد يكون الزوج له ثلاثة أخوات مثلا، علاوة على أمه.. فهي تعتبر أن لها أربع حموات.. وهذا خطأ في أسلوب التفكير وفي علاقة الزوجة مع أسرة زوجها.

فأخت الزوج إما أن تكون أكبر سنا منه، وفي هذه الحالة قد تكون متسلطة ومسيطرة.. أو تكون أصغر منه، فتكون مدللة بشكل يستفز الزوجة.

ويجب على الفتاة عندما تتزوج أن تعلم أنها أصبحت فردا من عائلة زوجها.. وعليها أن تمد بينها وبينهم جسور الحب والتفاهم، وأن تعرف أصول العلاقات العائلية بشيء من الدقة واللباقة.. فتعتبر أمه أمها، وكذلك أخواته أخواتها.

وفي حالة أخت الزوج من النوع المتسلط، يلزم ذكاء الزوجة أن تتقرب منها وتبدي لها مشاعر الود والحب، فتكسبها في صفها، لأن كليهما - الزوجة أو الأخت- تريد سعادة الرجل.. وفي نفس الوقت ينبغي أن تعلم أخت الزوج أن تراكم الخلافات مع زوجة أخيها سيعود بالضيق وسلب السعادة من أخيها.

ومن ناحية أخرى، قد ترى الأخت الصغرى في أخيها صورة الأب الحنون.. فتتدلل عليه وتبالغ في مشاعرها نحوه.. وهذه الأمور ينبغي على الزوجة أن تفهمها؛ لأن أهل زوجها هم في النهاية أهل أبنائها.. ومجتمعاتنا الشرقية تقدس العلاقات العائلية الحميمة، وهي التي تربط المجتمع ببعضه.

ومن الضروري أيضا أن يراعي الزوج مشاعر زوجته حتى لا يثير غيرتها من أمه أو أخواته.. لأن الزوجة تكره أن يظل زوجها يمدح أي امرأة - حتى لو كانت أمه أو إحدى أخواته - وينسى أن يمدح زوجته أمامهم أو يقول لها كلمة حلوة ترفع معنوياتها وتطيب خاطرها وتؤجج مشاعر الحب بينهما.

ثالثا: أثر الزوج على عدم نجاح الزواج

منذ عدة عقود قليلة، كانت معظم الأسر تعمل على أن تعيش حياة ناجحة، حيث نجد فيها نساء يقفن خلف أزواجهن ويشددن من أزرهم ويدفعنهم للنجاح.. ومعظم هؤلاء الأزواج يحفظون الجميل لزوجاتهم.. ولذا كان كيان الأسرة متماسكا.

أما في الآونة الأخيرة.. فهناك عدد من الأزواج يكون جاحدا وناكرا للجميل، ويتسبب في العديد من المشاكل الزوجية.. وقد تتحمل الزوجة هذه المشاكل حرصا على حياتها الأسرية، وأن تعيش الأبناء داخل أسرة متكاملة الأطراف.. ولذا فإنها تتحمل الكثير حتى تجعل الحياة الزوجية ناجحة - ولو ظاهريا - في سبيل الأبناء، علاوة على الأمل عندها أن ينصلح حال الزوج، وتنعم الأسرة بالسعادة الحقيقية.

وفيما يلي نلقي الضوء على بعض العوامل - من قبل الزوج - التي تكون سببا في المشاكل الزوجية، والتي قد تنتهي بتفكيك الأسرة والانفصال:

(١) التهديد بالطلاق:

هناك الرجل الذي يهدد زوجته بالطلاق باستمرار.. ويجعل كلمة الطلاق على طرف لسانه، مشروطة بأوامر منه مثل: أنت طالق إذا فعلت كذا وكذا.. وتتحمل الزوجة مرات ومرات، ولكن في النهاية لا بد أنها ستضيق بهذه الحياة المهددة بالطلاق باستمرار.. فيجب ألا يحوم شبح الطلاق حول الزوجة.. وأن تشعر بالأمان.. وأنها الشريكة مدى الحياة، وألا تزول هذه الرابطة المقدسة لأسباب تافهة.

(٢) عدم احترام حقوق الزوجة:

يجب أن تحترم حقوق الزوجة كما شرعها الإسلام.. وأن ينظر إليها نظرة عادلة.. فلا ينظر الزوج إليها على أنها آلة أو تحفة في بيته يكلفها بخدمات أو طلبات فوق طاقتها، وإذا اعتذرت أو اشتكت يغضب ويثور.. وقد يقسو عليها أو يهجرها.. وشعور المرأة تحت هذه الظروف من القهر يجعلها حتما تطلب

الطلاق.. فقوامة الرجال المقصود منها أن يقوم الأزواج على شئون النساء بالحفظ والرعاية وحمايتهن من كل ظلم أو عدوان يقع عليهن.. والقوامة مقرونة بالإنفاق وتأمين المستقبل لأفراد الأسرة.. وأن يكون أمينا على أموال زوجته، إن كان لها مال.

* ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ... ﴿٣٤﴾﴾ [النساء].

(٣) بخل الزوج:

لقد طغت الحياة المادية على أفكار الكثيرين حاليا.. وجعلت الزوج يستولي على حقوق زوجته المادية دون وجه حق.. وقد يكون بخيلا، فيجد سعادته في التقطير على زوجته وأبنائه.. وتعيش الزوجة تعيسة.. وهناك نوع آخر من البخل ظهر حديثا بعد أن خرجت المرأة للعمل وأصبح لها دخل ثابت، فقد يمتنع الرجل عن الإنفاق على الأسرة، ويتهرب من تحمل المسئولية حتى تضطر زوجته للصرف بدلا منه.. ومع تنازل الزوجة وتقبلها لهذا الوضع حرصا على حياتها الأسرية، تزداد المشاكل، وقد تنتهي بالطلاق.

والبخل كغيره من الأمراض والأخلاق الذميمة له علاج بشرط: أن يعترف صاحب المرض بمرضه، وألا يكابر ويحاول تفسير الأمور على هواه.. وأن يعرف أن جمع المال ليس هدفا في حد ذاته، وأن البخل شر محض يجني البخيل عاقبته.. وأن يعلم الزوج أن بخله على أهله هو الإثم بعينه.. قال تعالى:

* ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران].

* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك»** (رواه مسلم)[1].. (في سبيل الله، أي: في الجهاد أو في طاعة الله) (دينار أنفقته في رقبة، أي: عتق رقبة).

(١) ر ص ٢٨٩ ص ١٢٨.

* وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة**» (متفق عليه)[1].. (يحتسبها: يقصد بها وجه الله تعالى والتقرب إليه).

والزوجة لا تواجه البخل المادي فقط، بل أحيانا كثيرة البخل العاطفي والإنساني، وهي حلقات تتصل كلها ببعضها.. فالزوج لا يعاملها في العلاقة الحميمة بينهما على أنها شريكة الحياة لها حقوق عليه، وأن لها مشاعر وأحاسيس.. فاحترام آدمية المرأة، والملاطفة والمداعبة قبل العلاقة الزوجية، عنصر أساسي لعلاقة ناجحة.

كما يبخل الزوج بكلمة الإطراء ونظرة التعاطف التي تسعد أي امرأة.. وعلى الرغم من متاعبها الكثيرة في البيت - وخارجه - فإن هذه اللفتات إذا صدرت من الزوج تجدد ينبوع العطاء داخلها، فتعطي أكثر وتحاول إسعاده بكل الطرق.

(٤) حرمان الزوج لزوجته من زيارة أهلها:

لا نجد بيتا يخلو من الخلافات الزوجية، لأننا بشر وطباعنا مختلفة.. وقد يكون أحد أسباب الخلاف هو زيارة الأهل.. ولكن الأمر غير الطبيعي أن يضع الزوج العراقيل أمام زوجته ليمنعها من أداء صلة الرحم تجاه أهلها.. بل نسمعه يحلف عليها بالطلاق إذا ذهبت إلى منزل أبيها أو أمها.. فهنا تقف المرأة حائرة بين طاعة زوجها وبين صلة الرحم وحقوق أهلها.. وواجب المرأة هنا أن تطيع زوجها، وتصبر وتحتسب وتعلم أن الله تعالى سيجعل لها مخرجا.. لكن ليس معنى ذلك أن الرجل محق فيما فعل، بل مخطئ لأنه تسبب في قطيعة المرأة لرحمها وهو أمر محرم شرعا.. فمن حسن المعاشرة بين الزوجين، أن يعين كل منهما الآخر على تأدية الواجبات الملقاة على عاتقه سواء بالنسبة لأسرته أو المجتمع.

---

(١) ر ص ٢٩٣ ص ١٢٨.

(٥) هروب الزوج أو التدخل الزائد في شئون البيت:

مهما كانت مشكلات الأبناء، أو حتى نكد الزوجات، فلا يجب أن يهرب رب الأسرة من المسئولية، فيقضي كل أوقاته خارج المنزل سواء للعمل أو اللهو أو الجلوس على المقاهي لإضاعة الوقت بدون هدف.. فهو رب الأسرة المسئول أولا وأخيرا عن الزوجة والأبناء والمنزل كله.. ومن أهم مسئولياته الحوار وإسداء الرأي والنصيحة لكل أفراد الأسرة بحب ورغبة في إصلاح الأمور وليس الهروب منها.. ولا بد أن يتابع سلوك الأبناء، ولا يقتصر دوره على عطاء المال والاستجابة للطلبات.. وأحيانا يكون الزوج داخل المنزل، ولكن وجوده مثل عدمه، حيث يغلق على نفسه الحجرة، ويعيش حياته مع الأفلام والجرائد والفضائيات، ولا يشغل باله بما يحدث بالمنزل.

والعكس من ذلك، الزوج الذي يتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شئون المنزل، ويصمم على أن يكون كل شيء في مكانه الخاص، حتى لو كان شيئا متحركا مثل الكرسي أو الزهرية.. فهذا الزوج لا بد أن يثير أعصاب الزوجة، ويكون سببا في كثرة المشاكل.

(٦) نزوات الأزواج:

بعد فترة من الزواج - قد تصل إلى ربع قرن - يبدأ الزوج الطائش في ترك زوجته التي بدت عليها مظاهر الشيخوخة، ليجدد شبابه مع فتاة صغيرة مثل التي يراها في الكليبات.. وقد ساعده على ذلك الانفتاح الإعلامي الذي أثَّر بشكل سلبي على الأسرة.. وساعده على ذلك أيضا الثورة الطبية التي جعلت الرجال يتناولون بعض العقاقير والمنشطات ليجدوا فيها الحل لتجديد شبابهم مع الحسناوات.. فيعيش الرجل فترة المراهقة الثانية، موجها الإهانة إلى زوجته وأبنائه.. وناسيا أن كل عمر له جماله وحلاوته ووقاره.

وكذلك الزوج الدلوع الذي يقارن زوجته بأمه، ويريدها صورة مكررة منها.. ولا يعترف أن لكل إنسان شخصيته المختلفة عن الآخر.

والأعجب من هذا، ذلك الزوج الذي ينعم بزوجة مكافحة وصبورة وتقوم بواجباتها لترفع من شأن زوجها، ثم يفاجئها بزواجه ثانية وثالثة، لأسباب مختلفة

من وجهة نظره - سواء نزوات، أو رغبة في التغيير، أو مجرد أن يملأ بيته بالحريم - مستهترا بمشاعر زوجته الأولى.. هؤلاء الأزواج غير مؤتمنين.. ويعرضون الحياة الزوجية لعدم الاستقرار والأمان.

وصورة أخرى من الأزواج غير المؤتمنين على الحياة الزوجية، ذلك الرجل الذي يتزوج من ذوات المراكز الغنية أو المرموقة، خاصة المطلقات منهن.. وهدفه في هذه الزيجات أن تنفق عليه الزوجة وتغدق عليه المال، نظير أنها مطلقة ويصعب زواجها.. ويظل يبتز منها المال، إلى أن تضيق به وتطلب الطلاق.. وحينئذ يطالب بالدفع لكي يطلق.. مثل هذا الرجل لا يوصف إلا بالخسة وسوء الخلق.

(٧) التناقض في سلوك الزوج في الخارج وفي البيت:

هناك نوع غريب من الأزواج.. يتعامل مع الآخرين خارج المنزل أحسن معاملة.. ويعامل السكرتيرة معاملة طيبة كأنه زوج لها.. أما في البيت فهو يعامل زوجته «كرئيس لها» أو «أسد» أو «سي السيد».. حيث يبدأ بالأوامر، وربما يستخدم الضرب أو الألفاظ السوقية أو الطرد لمن يقابله في البيت إذا طلب منه شيء بعد عودته من العمل.. وكل ذلك بحجة أنه مجهد من العمل!!.

وهذا أمر مقلوب في السلوك، إذ إن البيت هو المملكة التي يجب أن يشملها الهدوء والأمان واللطف.. ولا يصبح أفراد الأسرة - وخاصة الأطفال - في حالة خوف وانزعاج؛ لأنهم لا يعرفون متى وعلى أي شيء ستقوم ثورة الأب.. وربما يكون هذا الرجل ناجحا في عمله، ولكنه لن يكون سعيدا أبدا لأنه فاقد للعلاقات الإنسانية، وغير قادر على إسعاد زوجته وأبنائه.. أما معاملاته الحسنة في العمل، فهي للمصالح فقط وليست للمشاعر الإنسانية.

(٨) عدم احترام منزل الزوجية:

من حق الزوجة أن تطلب من زوجها احترام منزل الزوجية لتوفير الخصوصية لها.. فإذا أصر الزوج على دعوة الضيوف دون رغبتها، وحوَّل المنزل إلى فندق، مما يسبب لها الضرر - فإن ذلك سوف يسبب مشاكل زوجية كثيرة.. وقد يضطر ذلك الزوجة إلى أن تطلب الطلاق؛ لأن منزل الزوجية الشرعي له شروط.

هذه هي بعض أسباب عدم نجاح الزواج نتيجة سلوكيات الزوج غير المقبولة والتي لا تجعل الحياة الزوجية سعيدة وآمنة.. بل تزداد بها المشاكل.. وقد تنتهي بالطلاق.. وكلها سلوكيات متناقضة مع ما يجب أن يكون عليه الزوج من الصفات والممارسات خاصة مع الزوجة وأفراد الأسرة.. وأن يتحمل المسئولية في رعاية أسرته.

* عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته»** (رواه البخاري)[١].

(١) خ ١٠٥ ص ١٢٢.

بالحب وحده يستطيع الإنسان أن يحيا.. ومن يزرع الحب لا بد أن يحصد جوائز السماء في الدنيا والآخرة.. والزوجة ذات القلب العامر بالحب هي التي تمتلك مفاتيح السعادة، وتستطيع أن تنتصر على ما تواجهها من محن وآلام الحياة.. فبعض الزوجات دواء، وبعضهن - للأسف - داء.

وفيما يلي نلقي الضوء على بعض العوامل - من قبل الزوجة - التي تكون سببا في المشاكل الزوجية، والتي قد تنتهي بتفكيك الأسرة والانفصال.

(١) ذكريات الماضي:

معظم الفتيات تتعرض إلى مرحلة الحب المراهق من طرف واحد، والذي يُخلق في أجواء من خيالها.. وهذا الحبيب المزعوم، عندما لا يتقدم للزواج بها، أو يسافر، أو يختفي عن نظرها، تعتبره الحبيب الغادر.. وتظل صفاته المثالية - التي نسجتها هي من خيالها - هي المطلوبة في زوج المستقبل.. وتمضي بها السنون دون زواج، وترفض كل خاطب، لأنها في انتظار الحبيب الأول أن يعود إليها.. وقد تقبل الزواج بشخص آخر، هو يحبها، ولكن قلبها هي يظل معلقا بالحبيب الغائب والحب الضائع.

هذا وضع شاذ من أي فتاة تعيش في أحلام المراهقة، ولا بد أن تنزل إلى الواقع ما دامت قبلت الزواج بشخص آخر.. وعليها أن تنسى نهائيا أحلام الماضي الطفولية، وأن تفكر بالعقل، وتذكر نعمة الله عليها بالزواج من شخص يحبها.. لأن استمرار التفكير في الماضي لن تجني منه سوى هدم بيتها الذي أنعم الله عليها به.

وقد يحدث أن يسأل الزوجان بعضهما عن ذكريات الماضي.. فإذا بالزوجة تسرد الحكايات عن أحلامها السابقة وصفات الزوج الذي كانت تتمناه.. وتسترسل ببراءة في الحديث عن شباب كانوا يرغبون في الزواج بها، وكيف تقابلا، والأحاديث التي دارت بينهما.

وقد تحكي ذلك بافتخار أنها إنسانة مطلوبة.. وشخصية الزوجة، والأسلوب الذي تحكي به عن الماضي، قد يلعبان دورا مهما في تأجيج غيرة الزوج.. والتي قد تصل إلى الشك في زوجته.

والتجارب تؤكد أن الرجل الشرقي لا يقبل أن تكون لشريكة حياته أي علاقات قبله.. مهما ادعى أنه لا يهتم بماضي الزوجة.. فالنصيحة لكل زوجة أن تبدأ حياتها بدون حكايات عن الماضي مراعاة لمشاعر زوجها، ودرءا لفتح باب الشك الذي لا داعي له، لو تقابلا بالصدفة مع أحد الشباب الذي تقدم لخطبتها من قبل.

(٢) الزوجة النكدية:

النكد يعتبر من أهم أسباب الخلافات الزوجية التي لا يطيقها الزوجان.. فإذا كانت الزوجة نكدية.. مزعجة.. لا تُطاق العشرة معها.. بسبب العجرفة.. ووجهها العبوس.. فإنها تقلب مفهوم الكلام إلى شيء آخر.. ولا تستنبط منه إلا معنى الغم والحزن.. تشفع طلباتها لدى الزوج بكلمات التهديد إن لم يستجب لما تريد.. سليطة اللسان.. وليس عندها وقت مناسب للحديث، بل تقابل الزوج عند عودته إلى المنزل بقائمة من الشكاوى والبكاء والنياح.. إلى غير ذلك من أساليب النكد.. وكثيرا ما تسبب مشاكل وتتشاجر مع أهل الزوج والجيران والأصدقاء، بسبب أو بدون سبب.

ومثل هذه الزوجة لا تجعل في البيت راحة، بل توترا مستمرا، ويهرب الضحك والبهجة، ويغيب التفاؤل بالحياة.. مما يساعد على سرعة الانفصال، طلبا لراحة البال.. أو استخدام حق الزوج الشرعي في الزواج بأخرى.

(٣) مظهر الزوجة وزينتها:

من حق الزوج على زوجته، أن تدخل السرور على قلبه.. من المنظر الجميل، والملبس الحسن، والرائحة العطرة، والزينة بأنواعها.. وأن تتجدد دائما أمامه.. وتشغل فكره وعقله ووجدانه.. إلى غير ذلك من الأمور التي لا تغيب عن الزوجة الذكية، التي تجعل النفوس تهفو وتميل إليها.. أما إهمال الزوجة لنفسها، وعدم رغبتها في التزين لزوجها، فهذا سلوك غير طبيعي.. وهذا السلوك منها قد يجعل الزوج يميل إلى غيرها ممن يراهن في العمل أو خارج المنزل، وحينئذ قد تصرخ الزوجة، معتقدة أنها قامت بخدمة زوجها على أكمل وجه.. ولكنها نسيت أن حقوق الزوج لا تنحصر فقط في الطعام ورعاية الأبناء.

هذا عن الزينة للزوج داخل المنزل.. أما خارج المنزل، فإنه ليس من صالح المرأة ولا من صالح المجتمع أن تتخلى عن الاحتشام والحياء والعفاف والمحافظة على إنسانيتها في أسمى صورها، سواء في المظهر أو أسلوب الكلام أو الحركات واللفتات.. لأن التبذل مثير للغرائز، ومطلق لها من عقالها.

فالمرأة ذات الشخصية الهستيرية، التي تبالغ في إظهار محاسنها، وتستمتع إلى حد ما بنظرات الإعجاب التي تتلقاها من هنا وهناك - سواء أكانت سعت لذلك بوعي أم بدون وعي - تؤجج نار الغيرة والشك عند الزوج، خاصة إذا كان عنده استعداد نفسي لذلك.. ومن هنا تزداد المشاكل التي قد تهدد الزوجين بالانفصال.

(٤) اكتفاء الزوجة بالقيام بدور أم الأبناء:

الزوجة التي تصرف كل اهتمامها إلى البيت والأبناء.. وتبالغ في الانشغال عن الزوج.. وتعيش مع الأبناء في غرفتهم، سواء لأمر ضروري - مثل مرض أحد الأبناء - أو بدون ذلك، وتعتزل الحياة العائلية، وتكتفي بدور الأم.. هذه الزوجة لا شك أنها خاسرة إذا تركها زوجها لتربي الأبناء وانصرف إلى غيرها.. لأن الزواج مشاركة ورعاية لكل أفراد الأسرة، ولا يكون للأبناء على حساب الزوج.. فإن للزوج حقوقا لا بد من الوفاء بها.. والأبناء لا بد من تعويدهم - إلى حد ما - الاعتماد على أنفسهم وإشراكهم في بعض أعمال المنزل حسب أعمارهم وقدراتهم حتى يتعودوا على تحمل المسئولية، وترتيب الأشياء الخاصة بهم على الأقل.. وهكذا تتوزع الأعمال ولا تصبح الزوجة مجهدة بكثرة الأعمال، وتعتقد أن الزوج سيقدر لها ذلك ويصبر.

(٥) عمل المرأة خارج المنزل:

ما من شك أن المرأة قامت بأعمال جليلة في خدمة المجتمع.. وحتى تكون ناجحة في عملها، فلا بد أن تبتسم وتتعامل مع الناس بما يجب من الأدب والاحترام.. ومع ظروف العمل المجهدة، والمواصلات المرهقة، تعود إلى البيت لتفرغ شحنة الضغط النفسي عليها.. فتتحول إلى كائن آخر، ذات صوت عال،

وأخلاق ضيقة.. وهذا قلب للموازين، لأن البيت مملكتها التي يجب أن يشملها الهدوء والأمان واللطف.

وهذه الزوجة قد تفرض فرضا على زوجها أن يقاسمها أعمال البيت، ما دامت هي مطحونة في العمل داخل البيت وخارجه.. وهناك فرق كبير بين فرض مقاسمة العمل، وطلب المعاونة في أعمال البيت.. والفرق بينهما هو حجم المودة التي يجب أن تسود بين الزوجين.

وإذا رفض الزوج طلبها، قد تغضب وتذهب إلى بيت أهلها.. ولا ترجع إلا إذا وافق الزوج على تجاوزاتها!!.. ولن يحدث!!.

(٦) إهمال البيت والأبناء:

هناك زوجات تهتم بنفسها فقط، أو تهتم بنفسها وزوجها لتتمتع بالحياة.. وتقضي معظم الوقت عند الكوافير والنادي والصديقات.. وما عدا ذلك فهي أمور ثانوية بالنسبة لها ولا تهمها.. وقد تعلن بجرأة أنها لا تفهم شيئا في تدبير المنزل، أو رعاية الأطفال، ولا تخجل من ذلك!!.. هذه الأفكار تعتبر شاذة عن الصفات التي يجب أن تضعها المرأة ضمن أولوياتها، باعتبار أن رعاية البيت وتنشئة الأطفال، والاهتمام بصحتهم وتربيتهم من الأساسيات التي يجب أن يكون لها جانب من اهتمامها.

وقد يكون الحب سببا في أن يعمي الزوج - لفترة محدودة - عن صفات هذه الزوجة، خاصة أنه في الفترة الأولى من الزواج يحاول أن يرضيها ويوفر لها الراحة التامة.. فيحضر لها الشغالة، وربما الطباخة، أو يتناولا الطعام بالمطاعم.. ولكن بعد أن يرغب في الأطفال، ويجدها تتمنع سيكون له موقف آخر.. وإذا أنجبت وأهملت رعايتهم وتركتهم للشغالة، سيكون الموقف قاسيا.

(٧) عدم الجرأة في الحديث بصراحة مع الزوج:

قد تكون المرأة جميلة، وتهتم بجمالها وزينتها.. ولكن الجمال ليس كل شيء في حياة الزوج، خاصة بعد التعود عليه.

وقد تكون طباخة ماهرة.. ولكن ليس الأكل كل شيء، خاصة إذا كانت نكدية، فيُعرض الزوج عن الطعام.

وقد تهتم الزوجة بالأبناء من صحة ورعاية وتربية، ولكنها نسيت نفسها ونسيت زوجها.

وقد تهتم الزوجة بكل الواجبات تجاه أسرة زوجها طمعا في حب زوجها، ولكنها تقابل بفتور من الزوج.

وأخيرا لا بد لها أن تعتقد أنها مظلومة، لأنها فعلت كل شيء لزوجها، وبالرغم من ذلك فهو غير راض.

هذه الزوجة التي تعتقد أنها مظلومة؛ وزوجها هو الظالم، لا بد أن هناك شيئا مفقودا بينها وبينه.. وعليها أن تراجع نفسها، ويكون عندها الجرأة لأن تصارح زوجها حتى تعرف ما يؤرقه ويجعله يُعرض عن تصرفاتها.. ربما تكون العلاقة الحميمة بينهما.. ربما يكون الفارق الثقافي.. وربما وربما.. وكل مشكلة لها حل.. فيمكن الذهاب إلى الطبيب.. ويمكن مواصلة التعليم.. وإلى غير ذلك من الحلول تبعا لنوع المشكلة.. أما أن تترك الأمور بدون مصارحة فهو الأمر الخطير.. لأن تكاثف مشاعر الكُره تؤدي إلى النفور التام حتى لو لم ينطق الزوج بكلمة.

(٨) طلب الزوجة للطلاق عند أقل خلاف:

ازدادت في الآونة الأخيرة طلبات الطلاق المقدمة من الزوجات.. الأمر الذي لم يخطر ببال أحد من قبل.. وذلك لعدم فهم الفتيات حديثا أن الحياة الزوجية ليست كلها راحة ونعيم، ولن توجد حياة بين البشر، دون تعارض أو خلافات.

فلا توجد لدينا تنشئة أسرية تؤهل الشباب للزواج السليم الناجح.. ونظرا لافتقاد الزوجين الخبرة لتحمل المسئولية، فإنه تحدث لهما في السنة الأولى من الزواج ما يعرف بالصدمة الزواجية التي تجعلهما كثيري الاختلاف مع عدم التوافق، والرغبة السريعة في الطلاق قبل الإنجاب.

ولعل ارتفاع معدل الطلاق يعود إلى انخفاض الإحساس بقيمة الأسرة.. فالتحول الذي حدث في المجتمع، ظهر عند المرأة - أكثر من الرجل - وتغيرت ملامحها كثيرا عن المرأة في الأيام السابقة.. فلم يعد لديها الاهتمام بقيمة الأسرة كقيمة مهمة تحافظ على التوازن الأسري.. فبعد أن كانت المرأة تستوعب انفعالات زوجها وتتحمله، أصبحت نداً له، مما يشجعها على الرد عليه والإساءة إليه.. فيسيء هو الآخر إليها إلى حد الإهانة.. فكل طرف يريد فرض سيطرته وإرادته على الآخر.. وهذا يعود إلى افتقارهما إلى الخبرة بالزواج وقدسيته ومسئولياته.. فيسهل حينئذ التفكير المتسرع في الطلاق والمطالبة به.. ويشجعها على ذلك، تقبل المجتمع - نسبيا - للمطلقة، فأصبحت المطلقة تعيش الحياة بشكل أكثر حرية من الماضي.. على الرغم من أن معظم المطلقات خضن تجارب حياتية مؤلمة مع أبنائهن بعد الطلاق، ويتمنين لو عادت بهن الأيام ليعدلن عن قرار الطلاق مهما كانت الأسباب والمبررات.

والغريب أن الزوجة حديثا تتحدث عن الطلاق بكل بساطة، وتتعلل بذلك عن حقوق المرأة.. وكأنها بذلك تبحث لنفسها عن الدعم المعنوي لأبغض الحلال.. وزوجة أخرى تعلل طلبها للطلاق، لكي تلحق ما بقي لها من الشباب، وتأخذ حقها ونصيبها من الحياة.. ذلك لأنها تجاهلت الجانب الإيجابي في زوجها، ولم تر في مأساتها سوى الجانب السيئ فقط.

وبرغم رفض الأهالي والأزواج ومحاولة إقناعهن بأن الطلاق أبغض الحلال.. إلا أن كلا منهن تتشبث برأيها وفهمها واعتقادها الخاطئ عن حقوق المرأة.. علاوة على عدم النضج في التفكير من ناحية أهداف الزواج، وكيفية المحافظة على سعادة أسرتها.

وإذا دخلت إحدى هذه المطلقات في تجربة زواج آخر، فربما تندم وتقارن بين الزوج الأول والثاني.. وكل ذلك لأنها تفتقد الثقافة العامة للسعادة الزوجية، كما تفتقد التنشئة الأسرية السليمة، والوعي الديني الكافي، مع عدم الفهم الصحيح لحقوق المرأة الذي تتشدق به.

خامسا: أثر الزوجين على عدم نجاح الزواج

منذ سنوات قليلة، كان كل طرف من طرفي الأسرة - الزوج أو الزوجة - يبذل أقصى الجهد للمحافظة على كيان الأسرة وإصلاحها بكل وسيلة.. أما الصيغة الحالية للعلاقة الزوجية، ففيها الكثير من الخلل الذي يؤدي بدوره إلى علاقات ظاهرية بالشكل الأسري، بينما تحت السطح يحدث العديد من الأخطاء من كلا الطرفين مما يُعرض الزواج للفشل.. وفيما يلي نذكر بعض العوامل المشتركة بين الزوجين، والتي تسبب التفكك الأسري وعدم نجاحه.

(١) عدم تحمل المسئولية:

الزواج مسئولية.. يتحملها الزوجان مجرد الموافقة على عقد الزواج.. لأن عقد الزواج معناه إنشاء أسرة جديدة في هذه الحياة الدنيا.. والأسرة لها مقومات وشروط، وأفعال وكفاح، وعطاء بلا حدود، حتى تظلها السعادة، ولا يتسلل إلى التصدع أو التفكك.. ولذا نذكر فيما يلي بعض المسئوليات الملقاة على عاتق الزوجين لتجنب الخلل الذي قد يطرأ على العلاقة الزوجية، ويؤدي إلى الخلافات وتدمير بيت الزوجية.

أ- إفشاء أسرار البيت:

من أوجب الواجبات المحافظة على الأسرار بين الزوجين.. فكتمان السر أمانة والذي يستودعك سرا واثق بك، مطمئن إليك، فأنت على سره أمين.

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشر سرها**» (رواه مسلم)[1].. (يفضي إلى المرأة: من الإفضاء، وهو مباشرة البشرة، وهو كناية عن الجماع) (ينشر سرها، أي: يذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع، وما قبله من مقدمات الجماع).

وغير ذلك من الأسرار، ما يحدث من بعض الزوجات - حديثي العهد بالزواج - إذ تسرد لصديقة العمر كل أسرار البيت، مما يسبب مشاكل عديدة فيما

---

(١) م ٥٩٧ ص ٣٣٩.

بعد.. فهذه الصديقة قد تنتابها حالة من الغيرة العمياء والحقد على هذه الزوجة السعيدة، وهي لم تتزوج حتى هذه اللحظة.. فتبدأ الصديقة في اختلاق قصص وهمية عن الزوج، لكي تقنع زوجته (التي هي صديقتها) بأن زوجها خائن، وغير جدير بثقتها الشديدة فيه.. وكأنها تعطيها النصيحة من صديقة مخلصة لها.. ومع تكرار الحديث عن خيانة الأزواج، تبدأ الزوجة في الشك والحيرة والمشاكل مع زوجها.. إلى أن تنتهي بالطلاق وتدمير بيت الزوجية.

وشبيه بهذا المعنى نجده يحدث عندما يقوم الزوج بإفشاء أسرار بيته لصديق العمر.. وهذا الأخير ما إن يعلم خبايا الزوجة وأسرار البيت، إلا ويبدأ بخيانة صديقه.

* عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: **«لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، فإنما قُدِّر لها»** (رواه البخاري)[1].. (لتستفرغ صحفتها: تشبيه بمن تقلب ما في إناء غيرها إلى إنائها بدون حق).

فهذا الحديث الشريف ينهى فيه النبي ﷺ المرأة من محاولة أن تقول قولا، أو تفعل فعلا، من شأنه أن يجعل الزوجة - التي هي أختها في الإسلام وفي الإنسانية - تنفصل عن زوجها لتتزوجه هي.

* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: **«ليس منَّا مَنْ خَبَّبَ امرأة على زوجها»** (رواه أبو داود)[2].. أي: ليس من سنتنا وشريعتنا السمحاء من أفسد العلاقة الطيبة التي تكون بين الزوجة وزوجها، سواء أكان ذلك من فعل أقارب الزوجين، أو الأصدقاء أو غيرهم.

وهكذا نرى أن الأحاديث النبوية الشريفة تحذر من إفشاء الأسرار، لأن الخراب يبدأ عندما تخرج الأسرار من البيوت.. فالستر أكرم وأفضل للأزواج.

ب- الاهتمام بالفضائح والتدخل في شئون الغير:

يعاني المجتمع من عيوب خطيرة، ومن بينها اقتحام خصوصية وحياة الآخرين.. ونشر الشائعات نتيجة الانبهار بمظهرهم والادعاءات الكاذبة حولهم..

(١) خ ١٨٥٢ ص ٤٣١.   (٢) د ٢١٧٧ ص ٣٦٨.

مخالفين أمر الله - سبحانه وتعالى - وجميع الديانات السماوية بعدم اغتياب الآخرين، أو قذفهم بما ليس فيهم بالظن والسوء وهتك الأعراض.. فكثيرا ما تجلس مجموعة من النساء، وتقول إحداهن: هيا بنا نتم!!.. ويبدأ الحديث عن أخبار الجيران والزوجات والزميلات وغيره.. ونفس الشيء يحدث بمجالس الرجال على المقهى أو بالكافيتريا، ويبدأ كل منهم بأحاديث الغيبة والنميمة عن غيره.

وقد حرم الإسلام الغيبة، إذ هي متنفس حقد مكظوم، وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء.. فما يجوز لأحد أن يتشفى بالتشنيع على غيره.. فمن يتلهى بسرد الفضائح، وكشف المستور، وإبداء العورات، فقد ارتكب إثما عظيما.

والحقد: هو إضمار العداوة.. أما الغيبة: فهي ذكر الغير في غيابه بما يكرهه، ولو كان فيه.. والنميمة: هي نقل الحديث السيء والسعي إلى الإفساد بين الناس.. وجريمة النميمة تعتبر من أبشع الجرائم الأخلاقية حتى لو كان صادقا فيما نقله، كأن سمع شخصا يذم آخر في غيبته فنقل ما سمعه بدون زيادة.

ولذلك اهتم الإسلام بكشف النميمة وتحليلها والتحذير منها، لما يترتب عليها من آثار مدمرة في بناء الأسرة والمجتمع، وفي إفساد العلاقات الإنسانية وتقويض روابط التآخي بين بني البشر، وفي مخالفة الأدب المطلوب في معاملات الناس، وصون كرامتهم في حضورهم وغيبتهم على السواء.. كما أن تحريم النميمة داخل أفراد الأسرة والأقارب ضروري، لحفظ المودة، واتقاء الفرقة، وعدم تغيير صفاء القلوب.

* عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**» (متفق عليه)[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول. قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فقد بهته**»

(١) ر ص ١٥٣٦ ص ٤٥٣.

(رواه مسلم والترمذي)[1].. (أفرأيت، أي: أخبرني) (بهته، أي رميته بالبهتان وافتريت عليه بالكذب).

ومن لوازم الحقد، سوء الظن وتتبع العورات، واللمز.. وقد كره الإسلام ذلك كله كراهية شديدة.. فسلامة الصدر فضيلة تجعل الإنسان لا يربط بين حظه من الحياة ومشاعره مع الناس.. ذلك أنه ربما فشل حيث نجح غيره، وربما تخلف حيث سبقه آخرون.. فمن الغباء أن يتمنى الخسارة لكل إنسان لأنه هو لم يربح.. فلا بد أن ينظر إلى الأمور بعقلانية من خلال الصالح العام لا من خلال شهواته الخاصة.

كما أن الحاقدين تغلي مراجل الحقد في نفوسهم لأنهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد فاتهم، وامتلأت به أكفّ أخرى.. وهذه هي المصيبة التي لا تدع لهم قرارا.. ومثل هذا الشخص يدل على أنه واهن العزم، جاهل بربه وبسنته في كونه.. فكل إنسان له نصيبه من الحياة.. فلا ينظر أو يحقد على غيره.

جـ- درء الشبهات:

كثيرا ما نشاهد في الشوارع والمتنزهات والطرق العامة، نوعا من التمايل وتبادل الضحك والنكات، والاختلاط الفج بين شبان وفتيات، في صور تثير الخجل والاشمئزاز.. ويحاول بعضهم تبرير ذلك بأنهم «أزواج».. فهل الزواج يسمح لطرفيه بممارسة مثل هذا السلوك في عرض الطريق والأماكن العامة؟!.

فرغم أن الله - سبحانه وتعالى - أباح لكلا الزوجين حرية المخالطة والمعاشرة والاستمتاع معا، إلا أنه وضع ذلك في إطار أدبي إسلامي رفيع يحافظ على الخصوصية ويحمي المجتمع من الفتن والشبهات وسوء الظن.

فالأصل في المسلم أن يكون حييا غيورا على نفسه وزوجه وذويه، وينأي بنفسه عن الشبهات وإثارة الشك وإساءة الظن، خارج منزل الزوجية.

فقد أمرنا رسول الله ﷺ بدفع سوء الظن، والابتعاد عن مواطن الشبهات في أحاديث عديدة منها:

---

(١) م ١٠٧ ص ٦٢١.

* عن صفية بنت حُيَيٍّ - زوج النبي ﷺ - رضي الله عنها، قالت: كان النبي ﷺ معتكفا، فأتيته وحدثته، فمر رجلان من الأنصار. فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا. فقال النبي ﷺ: «**على رِسْلِكُما، إنها صفية بنت حُيَيٍّ**». فقالا: سبحان الله يا رسول الله!.. قال: «**إنّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم. وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا**» (رواه مسلم)(١).

- وقول الرسول ﷺ إن الشيطان يجري من الإنسان مجري الدم، فيه إشارة إلى أنه من كثرة إغوائه ووسوسته للإنسان فكأنه لا يفارق دمه.. والحديث فيه استحباب من التحرز من التعرض لسوء الظن، وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان.

فيجب أن يحرص المرء على الابتعاد عن مواطن الشبهات، كما يصون قلوب الناس من سوء الظن به، ويصون ألسنتهم من الخوض في سيرته، فليس كل الناس يعلم إذا كانا زوجين أم لا.. لذلك فإذا ذكر أحد بسوء وكان هو المتسبب في ذلك بوقوفه محل الشبهة، كان شريكا لمن يغتابه في الإثم.

هذا علاوة على أن التساهل في الاختلاط بين الجنسين عموما في الأماكن العامة يشجع على انتشار الفاحشة.. كما أنه يجب مراعاة حقوق الطريق، وحقوق الناس.. فللطريق حرمات، وللناس أيضا حرمات.

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس في الطرقات**» قالوا: يا رسول الله! ما لنا بُدٌّ من مجالسنا، نتحدث فيها. قال ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حقه؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر**» (رواه مسلم)(٢).. (إذا أبيتم إلا المجلس، أي: إن لم تتركوها).

والمقصود من هذا الحديث، أنه يكره الجلوس في الطرقات، وعلة ذلك، النهى من التعرض لسوء الظن، وللفتن والإثم بمرور النساء وغيرهن، علاوة على الأذى بتضييق الطريق على المارين، وغير ذلك من الأسباب التي لو خلا في بيته سلم منها.

(١) م ٩٢٢ ص ٥٣٠.

(٢) م ٩٢٠ ص ٥٢٩.

د- الخرس الزوجي:

الخرس الزوجي أصبح ظاهرة على مستوى العالم، بعد أن أصبح اللهث وراء لقمة العيش هو الشيء الذي يشغل بال معظم الناس.. فكثير من الأزواج يعملون ساعات أكثر من المعتاد لتوفير الاحتياجات الضرورية للأسرة.. ويعودون إلى المنزل في المساء مجهدين ومنهارين من التعب.. وتحولت البيوت بالنسبة للكثيرين مجرد مكان للنوم.. في حين أن البيت يجب أن يكون واحة الراحة والطمأنينة والاسترخاء الذهني والنفسي، والألفة بين أفراد الأسرة.. ولكن أن يصبح كل طرف في الأسرة مشغولا بأعماله وهواياته بعيدا عن باقي الأفراد.. فهذا هو الخرس التام في الأسرة.

وحتى في الإجازات.. فإن الزوج نادرا ما يجلس مع الأبناء أو يتبادل هو وزوجته الكلمات الحلوة.. بل ينشغل في التحدث هاتفيا، وقراءة الجرائد، ومشاهدة التليفزيون أو الكمبيوتر، أو الخروج مع الأصدقاء.. إلخ.. وبالتالي تمر الأسابيع دون أن يقتطع الزوجان بعض الوقت للحديث والألفة.. وهذا الخرس الزوجي بينهما يقتل المودة والمحبة رويدا رويدا.

هـ- الاستخدام السيئ لأوقات الفراغ:

بعض الأزواج يحرمون الزوجة من العمل خارج المنزل منذ بداية الزواج حتى تتفرغ لتربية الأبناء، ويتعهد بأنه هو المسئول عن توفير احتياجات الأسرة.. هذا الكلام صحيح.. ولكن إذا نظرنا إلى الواقع نلاحظ ما يلي:

- الزوج الشاب يعتبر في بداية حياته العملية.. وهذا المبتدئ لن يكون راتبه بالقدر الكافي الذي يغطي احتياجاته واحتياجات الأسرة، التي تزداد باستمرار عاما بعد الآخر.. وبالتالي سوف يعمل لفترتين، أو يعمل صباحا بمكان وعصرا بمكان آخر حتى يوفر المبالغ الضرورية.. وقد يعمل بالقطاع الخاص، وهذا القطاع لا يرحم العاملين فيه، إذ إن مبدأهم استخدام أقل عدد من العمالة بالرغم من كثرة الأعمال المطلوبة. وفي جميع الأحوال فإن الزوج غائب عن البيت لفترة طويلة.

◆ الزوجة الحديثة ليس عندها أبناء حتى تتفرغ لهم.. وقد تطول السنوات دون أن تنجب أطفالا.. وبالتالي سوف تشعر بوقت فراغ كبير لا بد أن تقضيه في أي شيء.

◆ يرجع الزوج من العمل مجهدا ويريد أن ينام، بينما الزوجة أخذت قسطا من الراحة وتريد أن تخرج معه في أي مكان لترى الدنيا خارج المنزل.. وهذا يسبب خلافا بينهما.

◆ قد تقضي الزوجة بعض الوقت في أعمال المنزل، والقراءة، وتؤدي كل الهوايات التي تحبها.. ولكن الوقت لا يمضي لأن الفراغ مميت، وتشعر بالملل.. فتتحدث إلى الصديقات، وتقضي بعض الوقت مع الكمبيوتر.. وقد يجرفها التيار لتفتح الشات (غرف الدردشة) على الإنترنت، وهنا تدخل في مرحلة الخطر دون أن تدري.. وكل ذلك لأن الشعور بالوحدة ملل، والفراغ قاتل.

◆ وليس كل الأزواج مشغولين في العمل.. فبعضهم يسيئون استخدام وقت الفراغ ولا يستمتعون بحياتهم في شيء مفيد.. بل إن كثيرا منهم يقضون أوقاتهم على المقاهي يتسامرون مع الأصدقاء، ويلعبون الطاولة، وقد يدخنون السجائر التي تضر بصحتهم.. وينسون أن لهم زوجات، لهن حق عليهم في بعض الوقت.

والنصيحة هنا لكل الأزواج، أن يستغلوا وقت الفراغ الممل لدى الزوجة في عمل مفيد للأسرة وللمجتمع.. فلماذا لا تشارك في التعليم أو حتى في محو الأمية.. لماذا لا تتطوع للأعمال الخيرية وما أكثرها.. ولماذا لا تعمل في أي مجال هي ترغب فيه، فتشعر بذاتها كفرد منتج للمجتمع، وتتوسع مداركها بالاحتكاك في العمل بدلا من حبسها في المنزل؟!.

وعلى الزوجين أن يضعا أهدافا لعلاقتهما معا.. وتشجيع كل طرف على تنمية المواهب والمهارات الفكرية التي جمعت بينهما.. علاوة على تحديد أوقات للنزهة والترفيه سويا لتجديد النشاط وترويح النفوس.

ومن الأمور التي تستحق الجهد من الطرفين، العمل على إنجاب الأطفال وتكوين الأسرة، والاستقرار.. فالأطفال نعمة كبيرة من عند الله، خاصة إذا أحسن الأبوان تربيتهم.. وعند الإنجاب يمكن للزوجة أن تترك العمل خارج المنزل وتتفرغ للأطفال.. لأن رعاية الأبناء وتربيتهم تستغرق وقتا لا يستهان به، خاصة في الفترات الأولى من عمر الأطفال.

و- العادات البالية:

بعض الأفراد يعتقدون في التنجيم والأحلام والزار والسحر والشؤم والحسد، وغير ذلك من العادات التي لا توصف إلا بالجهل والنقص في المعتقدات الدينية.

ونتحدث عن واحدة من هذه العادات، وهي الحسد، لانتشارها حاليا أكثر من غيرها.

فالحسد: هو تمني زوال النعمة من الغير.. والحسد محرم تحريما قطعيا لأنه مناقض للإيمان.. وفيه عدم الرضا بقضاء الله وأقداره، وحكمته في كونه وفي خلقه، وبما قسمه الله.. لذلك كان الحاسد شريرا حقودا، ظالما لنفسه قبل أن يكون ظالما لغيره.. ولا يوجد شيء كالحقد والحسد يدمر ويؤذي.. وهذا إثم وعدوان على الغير.

فقد وزع الله - سبحانه وتعالى - النعم على الناس بالعدل.. ولكن الحسد أكثر ما يكون في نعمة المال.. على الرغم من أن هناك نعمًا كثيرة تساوي أضعاف نعمة المال.. مثل البركة في الأولاد، ونعمة الصحة، والنظر والسمع، ونعمة العقل، ونعمة الخُلق الحسن.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجْدَرُ أن لا تَزْدَرُوا نعمة الله عليكم»** (متفق عليه)[1].. (وهذا لفظ مسلم).. وفي رواية البخاري: **«إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّلَ عليه في المال والخَلْق فلينظر إلى ما هو أسفل منه»** (أجدر: أحق) (أن لا تزدروا، أي: لا تحتقروا نعمة الله عليكم) (الخَلْق، أي: الصورة).

فالحقد والحسد يدمران صاحبهما ويحرقانه.. فإن تمسسك حسنة تسؤهم، وإن أصابتك سيئة يفرحوا بها.. يحزنون لنجاح الناجحين، ويسعون جاهدين لهدم

(١) ر ص ٤٦٧ ص ١٨٦.

هذا النجاح.. مزق الغل صدورهم، وأصاب نفوسهم بنيران الحقد والحسد لترمي بسهامها في كبد الحياة، فتحولها إلى قبح وألم.. ويأتي الشرر على من لا ذنب لهم.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمحسود، إن كان إيمانه قويا، واتجه إلى الله سبحانه وتعالى، يستعيذ به، فإنه جل جلاله يقيه من الشر.. ولكن - من المؤسف - هناك من ينسي الله ويلجأ إلى الناس أو يلجأ إلى التمائم أو الأحجبة أو الاستعانة بخرزة زرقاء.. وكل هذا نوع من الشرك.. قال عز وجل:

* ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ... (١٧) ﴾ [الأنعام].

والله جل جلاله، طلب منا أن نستعيذ به من الشيطان الرجيم، ومن الحسد ومن السحر، ومن شرور أنفسنا.. ومن كل الغيبيات التي نخاف منها.. أي من شر تلك القوى الخفية التي تصيب الإنسان وتملأ قلبه بالخوف أو الحزن والغم.

ز- الانشغال ببهرجة الحياة:

يسير الناس في الجنازات يملؤهم الخشوع، وينهمر الدمع من العيون.. وما أن يوارى الجثمان الثرى، ويعطوا ظهورهم للمقابر، حتى تبهرهم الدنيا مرة أخرى، وينشغل كثير من الناس ببهارجها.

فالشاب يعيش حياته - بالطول والعرض - كما يعتقد أن هذا هو الأفضل.. ولكن بعد فترة من الزمن - طالت أم قصرت - يبدأ في استرجاع مشوار حياته ومقارنته بغيره.. إنه استمتع كثيرا مع الفتيات، ولكنه لم يتزوج الزواج الصحيح، ولم يكوِّن أسرة وأطفالا يشعر معهم بالحب الحقيقي والحنان.. وغيره عمل كثيرا واكتسب من المال الكثير، ولكنه لا يشعر بالسعادة لأنه لم يهتم بأسرته ولم يحدث أن جلس مع أبنائه في جلسات الود والرعاية، والآن كبر الصغار وانشغل كل منهم بحاله، وصار هو كما بدأ بدون أسرة يشملها الحنان والعطف الذي طالما تمناه، ولكن أخذته الدنيا ونسي أسرته.

وهناك الفتاة التي ترفض الزواج من هذا وذاك، لأنها وضعت في ذهنها شروطا معينة، وعلى رأسها المقدرة المالية العالية، حتى تبدأ في الاستمتاع بحياتها دون أن تبذل جهدا!!.. ولكن هيهات لها أن تحصل على الشباب والمادة في آن واحد.. فإما تظل عانسا أو تتزوج الكهل الذي يختلف عنها في الطباع والعادات.. فلا تشعر بالسعادة أبدا مهما عاشت في القصور.

وأخرى تزوجت ولم تنجح في حياتها لأسباب كثيرة وانفصلت عن زوجها.. هذه المطلقة تبدأ في استعادة نفسها حتى تعيش الحياة بكل ما فيها من بهرجة ظاهرية.. ولكنها داخليا نادمة على الطلاق، وتتمنى العودة إلى حضن الأسرة في ظل الحياة الزوجية.

فلا توجد سعادة بدون أسرة متحابة.. ولا توجد حياة بدون كفاح.. ولا يوجد كفاح بدون مشاكل.. والسعادة تنبع عند التغلب على كل المشاكل والصعاب.

(٢) عدم الرضا والطمع في المال:

بالأمس القريب، كانت سفينة الحياة الزوجية تسير مهما عصفت بها الرياح.. ويتحمل الزوجان من أجل حياتهما وأبنائهما الكثير.. أما اليوم، فقد أصبح الزواج غاية في الاقتصاد الزمني، فقد يتم لعدة شهور ويتبعه الانفصال.. فالجيل الحالي - بكل أسف - يفتقد الصبر وطول النفس، ويغلب عليه عدم القناعة والرضا، فينتهي الأمر سريعا.

وقصر عمر الزواج يرجع إلى أسباب عديدة.. ذكرنا بعضها سابقا، ونركز هنا على ظاهرة الطمع المادي وعدم الرضا والقناعة.. فالزواج يحتاج إلى مهارات حياتية تؤهل الشباب لرؤية مستقبلية لما يحبون أن تكون عليه حياتهم بعد الزواج.. والمسئولية الملقاة عليهم.. والرسالة المرجوة من الزواج.. وترشدهم إلى الطموح والمساندة والمشاركة والتعاون.. وتعلمهم كيف يجتازون الأزمات.. ومعنى الصبر والرضا والقناعة التي تجعل النفس مطمئنة.

أ- عدم الرضا والقناعة:

تختلف السعادة الزوجية بين زوجين، وآخرين.. لأن السعادة نسبية.. فقد نرى زوجين في سعادة كبيرة رغم فقرهما وكد كل منهما لتوفير لقمة العيش لأبنائهما.. وزوجين آخرين لا يعرفان طعم السعادة رغم أنهما يملكان المال وكل ما تحتاجه الحياة العصرية.. ذلك لأن السعادة تحددها نظرة الشخص نفسه إلى مفهوم الحياة.. فالبعض ينظر إلى المال على أنه غاية في حد ذاته، وليس وسيلة للحياة السعيدة.. والبعض الآخر ينظر للحياة نظرة تفاؤل، وآخرون ينظرون بتشاؤم.. وهناك من ينظر للحياة بالرضا والقناعة وشكر الله على نعمه، طالما يجتهد ليحقق طموحاته، بينما غيره ناقم باستمرار على عمله الذي لا يجني منه الكثير.. وغير هؤلاء، من يجعل من الفشل أول خطوة عنده للنجاح في الحياة، فليس عنده شيء اسمه المستحيل.. بينما غيره يكتئب بمجرد المرور على تجربة فاشلة، وييأس من الحياة، وينعزل داخل نفسه بعيدا عن الأسرة والناس.

والرضا لا يقتصر على الناحية المادية فقط، ولكنه يشمل الرضا عن الذات، وذلك براحة الضمير، وتحمل المسئولية، والعطاء، ونشر السعادة بين أفراد الأسرة.. فمن حق الزوجين وأبنائهما أن يكونوا جميعا سعداء، وأن ترسم الابتسامة على وجوههم جميعا . فالسعادة هي ذلك الشعور المريح الذي يغمرك عندما تدخل البهجة إلى قلوب الآخرين.. فلا يكفي أن يكون أحد الأفراد راضيا، بينما الأطراف الأخرى مطحونة أو مظلومة.. ومن أمثلة ذلك: قد تكون الزوجة مطحونة في مسئوليات العمل ورعاية الأبناء وراحة الزوج وأعباء المنزل، ولا يحس بها أحد، فهذا ظلم لها.. وكذلك قد يكون الزوج مشغولا بتحصيل المال، ولا يقصر في حق زوجته وأبنائه، والزوجة في واد آخر، ما بين الكوافير والمشتروات والنادي، وبعد عودته من العمل عليه أن يصطحب الجميع إلى الزيارات والحفلات والسهرات، وهذا ظلم له.. ومن ناحية أخرى فبعض الآباء والأمهات يقومون بكل الأعباء، ويتركون الأبناء لا يتحملون أي مسئولية، بحجة أنهم صغار، وحتى عند كبر الأبناء، يظلون صغارا في نظر الأبوين، وهذا عبء كبير على الآباء والأمهات، علاوة على أنه ظلم لأنفسهم، وظلم للأبناء الذين لا يتعملون بهذا السلوك معنى تحمل المسئولية والمشاركة لإسعاد الجميع.

فالسعادة تولد عندما يحس الإنسان بالرضا عن حياته الكاملة هو ومن حوله - بكل تفاصيلها - وليس بإرضاء الآخرين فقط، ولا بإرضاء الذات مع ظلم الآخرين.

كما أن الحياة الزوجية لها أبعاد أسمى وأرقى من مجرد اختزالها في العلاقة الجنسية.. فأساسها السكن والمودة والرحمة من كلا الطرفين.. فالسكن بمعنى السكون والهدوء والأمن.. والمودة في الحديث.. والرحمة في التعامل بينهما لمواجهة أعباء الحياة.. والاجتهاد والكفاح سويا لتحقيق الآمال.. وتذكر كل ما هو جميل.. والشكر لله على ما أنعم عليهم من راحة البال، والذرية الطيبة، والرزق الحلال.. وهذا كله ينبع من داخل الإنسان إذا كانت نفسه راضية.. أما الإنسان الساخط، فلن يشعر بالسعادة أبدا حتى لو كانت جميع الظروف مهيئة له وبين يديه.

ب- الطمع في المال:

الثراء والتطلعات المادية أصبحت - للأسف - سمة هذا العصر.. ولا شك أن المال خادم جيد، ولكنه سيد مفسد جبار.. فالقناعة كنز لا يفنى.. وفيما يلي بعض الصور التي توضح كيف يصبح المال خطرا على العلاقة الزوجية:

◆ **المقارنة بالأقارب والأصدقاء:**

هذه المقارنة المادية بين الأقارب والأصدقاء مفسدة للعلاقات الزوجية بلا شك.. فقد أصبحت التطلعات مبالغا فيها الآن.. وكل زوجة تنظر وتتطلع لكل ما هو جديد تملكه الجارة أو الصديقة.. وبعد فترة قصيرة من الزواج، يصبح المنزل مكدسا بأثاث وتحف ليس لها مكان.. وهذا غير الملابس والإكسسوارات التي يضيق بها الدولاب.. وإذا قُدرت قيمة هذه الأشياء، فسوف تصل إلى مبالغ رهيبة، دفعها الزوج في السنوات الأولى من الزواج إرضاء لزوجته.. ولكن بعد فترة سيضيق الزوج بهذه الطلبات المرهقة ماديا والتي لا تنتهي.. ويبدأ في مناقشة زوجته في مدى أهميتها.. فتضيق هي أيضا لشعورها من هذه المناقشة أنه أصبح لا يحبها كما كان من قبل يلبي طلباتها.. وهنا مكمن الخطر لبداية الخلافات الزوجية.. حيث كل منهما ينظر للأمر من وجهة نظر مختلفة عن الآخر.

◆ الطمع في الشقة:

نظرا لأزمة الشقق الحالية، مع أسعارها الفلكية سواء للإيجار أو التمليك، فقد أصبحت الشقة مشكلة، يطمع فيها كل من الزوجين بعد الانفصال.

فإذا كانت الزوجة غير حاضنة، أي لا يوجد لديها أبناء صغار للزوج منها، فإن الزوج - صاحب الشقة - يطردها من الشقة مجرد الطلاق، ولا ينتظر حتى تقضي فترة العدة ببيت الزوجية، خوفا من تلاعبها أو محاولتها الاستيلاء على الشقة.

وإن كان ليس من حقها أن تقيم بالشقة بعد فترة العدة، إلا أن هذا التصرف من الزوج يدل على أن الثقة مفقودة أصلا بين الزوجين من قبل الطلاق.

وإذا كانت الزوجة حاضنة.. فإنه على الزوج توفير شقة لها وللأبناء خلال فترة الحضانة.. وهكذا فإن الزوجة سوف تقضي فترة طويلة من عمرها في تربية الأبناء بهذه الشقة.. ولكن مجرد انتهاء فترة الحضانة، قد يطمع الزوج في استعادة شقته حتى يتزوج بها أحد الأبناء.. وبالتالي يطرد الزوجة منها، وهذا من حقه.. ولكن المشكلة أنها تكون في مرحلة كبيرة من العمر، وهي أم أولاده، وعادة لا تملك من المال ما يمكنها من الحصول على شقة أخرى.. فقد تذهب إلى أي منزل لأحد أقاربها، ويلازمها الشعور أنها عالة عليهم.. إنها مشكلة حقيقية، لا نوجه الاتهام فيها للزوج أو الزوجة، سوى أنهما لو راجعا أنفسهما قبل الطلاق، وتحمل كل منهما جزءا من المشاكل الزوجية التي نشأت منذ البداية، لما وصلت الأسرة إلى التفكك، ولما وصلت هذه الزوجة الأم إلى هذا الموقف الذي جعلت نفسها فيه مشتتة بين الأبناء والأقارب.

ومن ناحية أخرى، هناك نساء خبيثات، ومع قلتهن، إلا أنها غريبة.. إذ تسعى هذه المرأة الخبيثة للزواج من أجل الشقة وليس من أجل استقرار الحياة!!.. فبعد الزواج، وبعد أن تصبح حاملا للجنين.. تختلق المشاكل وتطلب الطلاق، بهدف الحصول على المكاسب المادية للزوجة نتيجة الطلاق، علاوة على أنها ستقضي فترة العدة حتى الوضع، وتقضي فترة الحضانة أيضا لسنين طويلة بالشقة.. وهنا الرثاء لما يصير عليه حال الزوج، الذي أنفق كل ما عنده حتى

يتزوج.. وخرج من هذه الزيجة بمسئوليات مالية أكبر.. ومن أين يدبر مبالغ أخرى حتى يتزوج امرأة أخرى تشبع حاجته؟!.

إنها النظرة المادية لمتع الحياة الدنيا، والتي تعطي أسوأ صورة للزواج من مثل هذه المرأة التي يتهافت عليها الرجال واحدا تلو الآخر دون إدراك لأهداف مثل هذه المرأة الخبيثة.

* عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة»** (رواه الترمذي)[1].. والمقصود من هذا الحديث الشريف تحذير المرأة تحذيرا شديدا، من أن تطالب زوجها الذي لم يسئ إليها بالانفصال عنه، لأنها عندما تفعل ذلك تكون بعيدة عن رحمته عز وجل.

❖ مرتب الزوجة:

لم تعد المرأة زوجة وأما وربة بيت متفرغة لشئون الأسرة فقط، بل عضوا عاملا في المجتمع وتحصل على راتب شهري قد يفوق في بعض الأحيان مرتب الزوج نفسه.. هذا المرتب الكبير أين مكانه من مصروف البيت والأسرة؟.. وهل هو من حق الزوجة فقط؟.. أم أنه جزء مهم من ميزانية الأسرة؟.. وهل للزوج الحق في التدخل في هذا البند وفرض سيطرته على مرتب الزوجة؟.

هذه الأسئلة قديمة، وتتجدد باستمرار، طالما تعمل المرأة خارج المنزل.. والمرأة في الإسلام صاحبة ذمة مالية مستقلة.. وإذا ساهمت في مصروف البيت، فهذا يرجع إلى شخصيتها بدون ضغط، ويعتبر ذلك تطوعا منها وليس واجبا عليها.

ونظرا للظروف الاقتصادية الحالية، لم يعد خروج المرأة للعمل مجرد شكل اجتماعي أو مكانة علمية أو إثبات أن المرأة قادرة على تحقيق ذاتها ومشاركتها للرجل في بناء المجتمع.. وإنما أصبح ضرورة اقتصادية للأسرة من أجل حياة أفضل، خاصة بعد الارتفاع الشديد في مستوى المعيشة وزيادة متطلبات الأسرة.

(١) ت ١١٨٧ ص١٥٧.

ولا توجد زوجة ترفض المساهمة ولو بجزء من مرتبها لصالح الأبناء، والبيت.. ولكن المشكلة تبدأ من الأزواج.. فهناك من الأزواج من يعاني من حالة اللامبالاة، والذي في إمكانه أن يعمل بصورة أفضل لتحسين دخله البسيط، ولكنه يعتمد على اجتهاد زوجته وحصولها على مرتب أعلى منه، فيعطيها مرتبه، ويعتمد عليها في إدارة جميع شئون الأسرة.. فحالة اللامبالاة هي التي تثير أعصاب الزوجة، وتسبب بالقطع مشاكل زوجية كثيرة.

وكذلك هناك الزوج الذي يستولي على مرتب زوجته، ويعطيها مصروف البيت، ويطالبها بالتدبير، ولا يسأل إن كان يكفي أم لا.. مما يضطرها أحيانا أن تأخذ من والديها لتعويض النقص الحاد في المصروف الذي يعطيه الزوج إياها.

ومعظم الأزواج لا يشعرون بالمجهود الذي تعاني منه الزوجة في العمل داخل وخارج البيت.. ويعتقد الزوج أنه الحاكم بأمره مجرد عودته إلى البيت.. ولا يُقدر أن زوجته تتحمل أعباء عملها في الداخل والخارج.. وإذا تفهم الزوج ذلك، فلن تشكو الزوجة أبدا من مشاركتها في مصاريف الأسرة.

❖ **الطمع في مال الآباء:**

هناك فرق بين الميراث والوصية ومال الآباء في حياتهم.. فالآباء في حياتهم أحرار في أموالهم، يتصرفون فيها كيفما شاءوا.. يشترون بها أشياء، يذهبون للحج، يعطونها للمساكين.. إلخ، فلهم الحرية في أموالهم.. وربما يعطون لأحد الأبناء أكثر من الآخر تبعا لرؤيتهم لما فيه المصلحة.. فقد يكون هذا الابن – أو البنت – معاقا، أو مريضا، وقد يكون أقل الإخوة حظا في التعليم، وقد يكون صغيرا جدا بالنسبة لإخوته وأمامه الكثير من مراحل التعليم.. وقد يكون أكثرهم حنانا وعطفا على الآباء.. وقد يكون غير متزوج.. إلخ.. وفي جميع الحالات، لا يجب أن يعتبر الأبناء أموال آبائهم ميراثا لهم، أو يتطلعوا إلى هذه الأموال، ما دام الآباء أحياء.

أما الوصية، فهي التي يكتبها الأب، أو تكتبها الأم، أو يكتبها الإنسان عموما كوصية واجب تنفيذها بعد الوفاة.. أما الميراث، فهو المال الذي يتركه المتوفى لورثته.. ولا توزع التركة على الوارثين إلا بعد أداء حقوق الميت، والتي

تشمل تكفينه ودفنه في قبره، وما يستلزمه حال المتوفى من واجب العزاء، دون إسراف أو تقتير.. وكذلك قضاء ديونه، وتنفيذ وصاياه.. ثم يقسم الباقي على الورثة طبقا لشرع الله.

وقد تتطلع الزوجة إلى مال والد زوجها.. وتظل تحرض زوجها وتحثه بطرق دنيئة أن يأخذ من مال أبيه بطرق مشروعة أو غير مشروعة.. وفي النهاية لا بد أن تحدث مضايقات ومشاكل بين الأب وابنه.. وينعكس ذلك على الابن وزوجته، وقد يصل الأمر إلى الطلاق.

ونفس الشيء يمكن أن يحدث عندما يتطلع الزوج إلى مال والد زوجته.. وتصبح الزوجة في حيرة من أمرها بين أبيها وزوجها، مما يسبب كرهها لزوجها، لأنها يستحيل أن تتخلى عن أهلها.

والأدهي من ذلك، ما نسمع عنه من بعض الأبناء العاقين، الذين يحجرون على آبائهم ويصفونهم بالسفه، لا لشيء إلا أن الآباء يتصرفون في أموالهم، والأبناء يطمعون في هذا المال بدون وجه حق.

وهناك صورة عكسية لذلك، ولكنها نادرة.. فبعد وفاة الزوج، قد يطمع والد الزوج في مال حفيده.. فيعكر على الزوجة حياتها، ويشكك في أسلوب تربيتها لابنها، سعيا وراء نقل الابن إلى أسرته للاستيلاء على ماله.

(٣) افتقاد الحب والسعادة:

السعادة تنبع من القلب، ويغذيها الحب بتعبيراته المختلفة.. وإذا افتقد الإنسان السعادة، يشعر بالضيق في صدره، والكآبة في وجهه، والثقل في جسمه، والهزال في أعضائه.. وتنتابه الرغبة في الهروب من الحالة التي هو عليها، إن تمكن من ذلك.. وفيما يلي نستعرض بعض النقاط التي تسبب فقدان الحب والسعادة:

أ- العلاقة الرومانسية قبل الزواج:

الإعجاب والانجذاب بإنسان لا يعني الحب.. فنحن نعجب بنجوم ونجمات السينما.. وبعض المراهقين والمراهقات يقعون أحيانا في حب إحدى هؤلاء

النجمات أو النجوم.. ويكون بالطبع حبا من طرف واحد، ولكنه في الحقيقة ليس حبا على الإطلاق، لكنه نوع من الانبهار أو الانجذاب للشخصية أو لجمال النجم أو النجمة.. وكل إنسان معرض في حياته لأن يقابل أشخاصا يُعجب بهم، وينجذب إليهم.. ولكن المهم ألا يجنح الإنسان بخياله فينسج خيوط حب وهمية.

وقد تنجذب الفتاة إلى رجل في عمر أبيها وذلك لافتقادها الأب - إما لوفاته أو انفصاله عن أمها - ولم يتح لها المعايشة معه.. ونفس الشيء قد يحدث للشاب حيث ينجذب إلى امرأة في عمر والدته لأنه يريد أن يشعر بحنان الأم، وإذا تزوج فتاة في عمر الشباب، فقد يتوقع منها أن تدلله وتعطيه حنان الأم الذي يفتقده.

والعلاقة الرومانسية قبل الزواج - بكل ما فيها من شوق وتغاض عن العيوب والأخطاء - وما يسميها بعض الشباب بالحب، لا تستمر إلى ما بعد الزواج.. لأن جذوة الشوق تنطفئ بسرعة مع واقع الحياة الزوجية ومتاعبها التي لم يستعد ولم يفهمها كل من الشاب أو الفتاة في هذه الفترة.. فبعد الزواج، والرؤية الواضحة لكل طرف عن الآخر، تقل مساحة المجاملات والقدرة على التغاضي عن الأخطاء.. فالزواج سهل، والطلاق أسهل، أما الاستمرار في الحياة الزوجية فهو الشيء الصعب الذي يعتمد على النضج وتحمل المسئولية والقدرة على احتواء الطرف الآخر والتسامح بين الزوجين.

ولذا قد يلجأ الزوج إلى زوجة ثانية، يختلس معها لحظات كلها قلق واضطراب خوفا من أن يراه أحد.. ولكن العواطف وحدها لا تبني البيوت.. ومن الأفضل أن يعيش الإنسان في حياة واضحة في النور بإعلان الزواج على رءوس الأشهاد.. فالزوج الذي يختلس بعض الأوقات ليزور زوجته الثانية، لا بد في يوم من الأيام ينكشف أمره وتبدأ المشاكل.. وحتى يبتعد عن المشاكل - أو يؤجلها - فهو يتزوج سرا، لمجرد نزوة أو متعة افتقدها عند زوجته الأولى، أو أنانية منه وعدم تقدير لمشاغل زوجته الأولى.. وتتضح أنانيته تماما عندما يشترط على زوجته الثانية ألا تنجب أطفالا، ويحرمها من الأمومة أمام تمتعه هو بكل شيء، الزوجة الأولى أم الأبناء، والثانية المتفرغة له فقط.. وهذا لا يعتبر بالحب الذي يؤدي إلى السعادة.. لأن الحب الحقيقي عطاء وتقدير وإيثار ومراعاة لمشاعر

الطرف الآخر.. وسعادة الزوجة الثانية لن تكتمل إلا بالزواج الواضح في النور، مع كامل حقوقها من أمومة وغيرها.

وهناك العديد من الفتيات في سن المراهقة، ينتابها الشعور بالحب الجارف والمشاعر الفياضة - منذ السنة الأولى بالجامعة - مع من تعتقد أنه حبيب العمر الذي تتمناه.. ولكن بعد الزواج تكتشف أنه إنسان لا يتحمل مسئولية الزواج.. فيتحول الحب إلى كراهية متبادلة بين الطرفين، وتنتهي بسرعة إلى الطلاق.

كما تقع الفتاة في حب البطل الرياضي، ربما لأنها تحب أن تكون مشهورة مثله.. ولكنها تكتشف أن صفاته في الملعب الرياضي مختلفة تماما عنه في المنزل.. وبالتالي قد تفشل حياتهما الزوجية في الاستمرار وتنتهي أيضا بسرعة إلى الطلاق.

فصورة فارس الأحلام التي تبنيها الفتاة في خيالها، ما هي إلا مجموعة من الأفكار التي تختلف تماما عن الواقع.. فكل إنسان له مزايا وعيوب ومواصفات تختلف عن الآخر.. والبيت الذي تربت فيه الفتاة يختلف عن ذلك الذي تربى فيه الشاب.. ونظرا لاختلاف النشأة والثقافة ونمط التفكير ودرجات العلم والحياة الاجتماعية، فإن الأزواج في بداية حياتهم مختلفين اختلافا كبيرا في العادات والطباع وطريقة التفكير والنظرة للأمور.

ولأن الزواج مسئولية أسرة وأطفال - تختلف تماما عن الخيال - فعلى الزوجة الذكية التي ترغب في حياة زوجية ناجحة أن تبدأ بالعطف والتفاهم والدفء الأسري.. ولا تظن أن الحياة ملابس ومجوهرات ونزهة وسهرات فقط.. ويجب أن تعلم أن الطريق إلى قلب الرجل ليس معدته - كما تقول الأمثال الشعبية - وإنما هو الألفة والمودة والمشاركة في الأفكار والثقافة.. فالمطاعم قادرة على ملء المعدة، لكنها عاجزة عن ملء الفراغ النفسي الذي يطلبه الزوج.

ومن الملاحظ أن أعظم قصص الحب الرومانسي في التاريخ لم تنته بالزواج.. فقيس لم يتزوج ليلى.. وروميو لم يتزوج جوليت.. وحتى قصص الحب التي انتهت النهاية الطبيعية بالزواج، فإن أغلبها لم تستمر.. فقد فشل الحب الرومانسي في منح الزوجين المحبين بالقوة اللازمة للتغلب على صعاب الحياة

وأزماتها.. فوجود عنصر التفاهم والقبول كبديل للحب في البداية، يساعد على استمرار العلاقة الزوجية بنجاح.. كما يساعد على نمو الحب بين الطرفين.

ب- عدم التكافؤ:

هناك مثل شعبي يقول: «أن عين الحب عمياء».. وتطبيقا لهذا المثل، فإنه يحدث كثيرا عندما يصطدم الحب مع عدم التكافؤ بين الطرفين ثقافيا واجتماعيا.. فمن أوجه الخلل ثقافيا، رغبة بعض الفتيات في تحصيل العلم إلى أعلى الدرجات - وهذا ليس بعيب - ولكن من الضروري ألا تجعله الهدف الأول في حياتها دون سواه.. فهناك أولويات للحياة الطبيعية وهي الزواج.. لأنها قد تتنبه فجأة إلى أن قطار الزواج أشرف على الانتهاء.. وبالتالي تسعى إلى اللحاق به بأي وسيلة حتى لو كان مع شخص لا يتفق معها علميا وثقافيا.. واستمرار الزواج في مثل هذه الحالات عادة ما يكون على حساب أعصابها ونفسيتها، بل وعلى تربية الأبناء.. ولكل قاعدة شواذ؛ لأن استمرار الحياة الزوجية يعتمد أساسا على الرغبة الأكيدة من الزوجين على نجاحها مهما كلفهم من مشاق وضغوط نفسية واجتماعية.. ولكن أحيانا تكون الضغوط الاجتماعية أعلى من قدرتها النفسية على تحملها.. ويكفي انشغالها وحيرتها - وهي المتعلمة تعليما عاليا - في تقديم مثل هذا الشاب - ذو التعليم المتوسط - إلى صديقاتها عند الخطوبة مثلا.. وحيرتها الأكبر في كيفية تعاملها معه ومع أسرته.

ونفس الشيء قد يحدث مع الفتاة من بيئة ثرية، وتحب شابا من بيئة رقيقة الحال.. فإن هذه الفتاة ستركز كل تفكيرها في نقل هذا الشاب من بيئته إلى بيئتها، وتعمل بكل جهدها على تغيير سلوكياته، وليس التفاهم والتقابل معه في منتصف الطريق.

والزوجة صاحبة المنزلة الرفيعة - علميا وثقافيا واجتماعيا - يُعيِّرها الناس هي وأولياؤها، إذا ما تزوجت بمن هو غير كفء لها.. أما الزوج، فنادرا ما يُعيَّر إذا كانت زوجته دونه في المنزلة.. هذا من ناحية نظرة المجتمع إلى الزوجين.

أما الزوج المتعلم والمثقف، فهو بنفسه الذي يضيق بالزوجة الجاهلة بعد فترة من الزواج.. ولذا فإنه إما يطلقها أو يبدأ في البحث عن زوجة ثانية متعلمة ومثقفة تتفق معه في أفكاره وطموحاته.

ولهذا تفشل الحياة الزوجية بعد فترة قصيرة مهما كانت قصة الحب أسطورية بين زوجين غير متكافئين، وتتحول إلى مجرد ذكريات.. فالتكافؤ من سنن الحياة، وهو الذي يبني أسرا سعيدة متماسكة قوية البنيان.. والتكافؤ ليس في المال فقط، ولكن أيضا في الدين والثقافة والمستوى العلمي والعائلي.

جـ- الحب المبالغ فيه من طرف واحد:

الحب الزائد من طرف الزوجة - مثلا - ورغبتها في أن يمطرها زوجها بكلمات الغزل بقدر حبها له، هذا الحب المبالغ فيه، يجعل الزوج ينفر ويبتعد.

وهناك أيضا الزوج الدلوعة.. الذي تربى مع مجموعة من الأخوات البنات، وينتظر من زوجته أن تحبه وتدلله كما كانت تفعل أمه وأخواته.. وبالطبع ستضيق هذه الزوجة من تصرفاته؛ لأن الزواج تبادل تلقائي للعواطف ولا يمكن أن يكون من طرف واحد.. فالحب الذي يبدأ كالأسد ينصرف بسرعة كالحمل.

ونفس الشيء عن الغيرة الزائدة من قبل الزوج على زوجته الحبيبة إلى قلبه، يجعلها تضيق بهذا الحب الخانق.. فإن غيرة الرجل على أهله أمر محمود في الطبع والشرع على السواء.. ولكن يشترط أن توزن تلك الغيرة بميزان الاعتدال.. فالإفراط فيها وسوسة وريبة، وقلق وحيرة، فإذا الحياة جحيم لا يطاق.. والتفريط فيها خلل في الشعور وتبلد في الإحساس.

د- عدم فهم طبيعة الطرف الآخر:

يختلف الرجل عن المرأة من النواحي البيولوجية والنفسية والاجتماعية.. والجهل بهذه الاختلافات يؤدي إلى الصراعات والاضطرابات في الزواج نتيجة لعدم فهم طبيعة الآخر.. ولذا فإنه من الضروري معرفة المقبلين على الزواج بنفسية واختلاف كل طرف عن الآخر، لكي تستمر سفينة الزواج في الإبحار.. ومن أمثلة هذه الاختلافات نذكر ما يلي:

❖ الرجل يشعر بذاته من خلال نجاحه في العمل ونجاحه في تكوين أسرة متحابة.. وما عدا ذلك يعتبر شيئا ثانويا بالنسبة له.. لذلك فإنه يجب على الزوجة ألا تنسى أن مسئوليته جسيمة، وهي الإنفاق الذي يشغل كل

تفكيره.. أما المرأة فإنها ترى نفسها أكثر من خلال الأمومة ورعاية الأطفال، وكذلك من خلال علاقاتها بالناس - سواء في الأسرة أو خارجها - فهي تغمر الآخرين بالمشاعر والأحاسيس والعواطف.

◆ المرأة أكثر قدرة على التعبير عن مشاعرها بالمقارنة بالرجل.. ولذا فعليها عدم وصفه ببرود المشاعر.

◆ الرجل الشرقي يحب السيادة على المرأة.. والمرأة تحب السيادة في الرجل.. وإذا اختلت هذه الصفات في أحدهما، فإن الحياة الزوجية لا تستقيم.

◆ الرجال يفضلون حل المشكلات بالصبر على أن الزمن كفيل بحلها، أو ربما بالبعد عنها، ويصرفون تفكيرهم عنها بشيء آخر حتى تهدأ العاصفة.. أما المرأة فإنها أكثر قلقا من الرجل، ويأخذ القلق كل انتباهها، وربما دون السعي لحل الأزمة، مما يزيد من المشكلة.. ولو فهمت الزوجة أن رجلها يحتاج إلى البعد لفترة لترتيب أوراقه ومشاعره والتفكير بهدوء، لما أقامت الدنيا ووصفته بالبرود.

◆ المرأة تخاف الوحدة والعزلة، وتحتاج إلى قرب الرجل.. وهذا يجعلها أكثر صبرا على بعض تصرفات الزوج الطائشة.. أما الرجل فإنه لا يحتمل أي تصرف طائش من زوجته.

◆ المرأة تريد الزواج للاستقرار وإقامة أسرة ناجحة.. بينما بعض الرجال ينظرون إلى المسألة على أنها شيء من الفروسية، ويعتقد أنه امتلك الزوجة.

◆ كلما تأخر سن الزواج، فقد كل طرف مرونة التكيف والتوافق مع الآخر، ويكون غير قابل للتغير، حيث تكون الشخصية جامدة السلوك والطباع؛ لأنها اكتملت بالفعل.. فالمرونة تسهل في السن المبكرة وتقل كلما تقدمت السن.

هـ- السلوك غير المحترم بين الزوجين:

ينتشر حاليا أنماط من السلوك الخشن سواء على مستوى الألفاظ السوقية الخادشة للحياء، أو حتى على مستوى السلوك الفعلى الذي يصل إلى استخدام الأيدي وغيرها.. هذه السلوكيات كانت موجودة لدينا ولدى غيرنا، ولكن الجديد أننا لم نعد ندينها بشدة كسلوك استثنائى غير محترم، بعد انتشارها والتأكيد عليها عبر الأفلام ووسائل الإعلام.. وانقلب الحال أيضا، فأصبح من يحرص على السلوك المحترم يُتهم بالضعف أو التعالى على الآخرين.

فالاحترام واجب بين الزوجين.. وبين الصغير والكبير.. والصديق والعدو.. المخطئ والمصيب.. واحترام إنسانية الجميع.. وينبغي الحرص على احترام المخطىء أثناء التعبير عن رفض سلوكه الخاطئ، ولا يتم ذلك إلا بإتقان مهارات الحوار والإصغاء للآخر ومحاولة كسبه.. وبذلك تزداد إنسانيتنا بحيث نحب ونكره، ونتقابل وننفصل، ونتزوج ونطلق إذا لم نصل إلى اتفاق.. ولكن كل ذلك في إطار الالتزام والاحترام.. ولا ينقلب الطلاق إلى محاولات الكيد والانتقام من الطرف الآخر.

فمن طبائع الحياة أن يغضب الزوج أحيانا، وأن تغضب الزوجة أحيانا أخرى.. والعاقل دائما هو الذي يمسك نفسه عند الغضب.. وضبط النفس، وكظم الغيظ عند الغضب، هو الحُلم الذي يكسر قوة الغضب ويُخضعه للعقل.. أما العفو، فهو أعلى درجة من الحلم، فهو الصفح والتسامح والمغفرة والتجاوز عن الإساءة.. وأكثر من ذلك الصفح الجميل، فهو العفو في غير كراهية للمسيء أو الحقد عليه أو الإصرار على الانتقام منه فيما بعد، مع القدرة على العقوبة والثأر.. فالحلم والعفو والصفح الجميل، من صفات الإنسان العاقل الهادئ، صاحب الخلق اللين، الذي لا تستفزه توافه الأمور مما يواجهه في الحياة من مثيرات الغضب، خاصة بين الأزواج.

فالصبر مفتاح الفرج، والحلم سيد الأخلاق، والعفو شيمة الكرام.. فلا يعلو الصوت في البيت.. ولا يرفض أحدهما للآخر طلبا معقولا.. وأن يكون رقيقا ولطيفا في الإجابة.. وأن يكون كل منهما موضع احترام الآخر.. وأن

يضحِّي كل منهما في سبيل راحة الآخر.. ويعمل على إرضاء شريكه حتى تكتمل السعادة الزوجية.. والاعتراف بأن الاختلاف وارد، والنقاش في أمره ضروري، ولكن الصوت العالي والألفاظ الجارحة ممنوعة.. فاللسان أشد من السنان.. وإذا استخدام اللسان في الشر والأذى، يعتبر من أشد الأعضاء أثرا وضررا وخطرا.. واليد بعد اللسان هي آلة البطش والأذى.

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -، عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (متفق عليه)[1].

و- افتقاد التعبير عن الحب:

التعبير عن الحب شيء ضروري بين الزوجين.. ووسائل التعبير مختلفة.. فقد تكون بالكلمة العذبة الحلوة الصريحة التي تدخل السرور في النفس.. وقد تكون بنظرات العين وتعبيراتها.. أو الابتسامة الرقيقة.. أو اللفتة العاطفية الجميلة.. أو الإشارة الظريفة.. أو السلوك الرائع المحترم.. أو تذكير الطرف الآخر بموقف معين غمرتهما فيه المحبة والأشواق.. وغير ذلك الكثير من المجاملات التي تؤجج العواطف وتزيد من الإحساس بالمشاعر الدافئة.. فالزوجان في حاجة إلى الحب كاحتياجهما للماء والهواء.

ولكن - بكل أسف - فإن كثيرا من الرجال يرون أن الكلمات الحلوة للزوجات تعتبر من صفات المراهقين، وأن الحب أفعال وليس كلاما.. والفعل عند هؤلاء الرجال، أن يترجم الحب في صورة زيادة الدخل.. أو يتذكر مناسبة خاصة لزوجته فيقدم لها هدية.. أو في أحيان كثيرة يركن الزوج إلى أن زوجته تعلم جيدا بشعوره نحوها، وأنه يحبها من قبل أن تصبح زوجته.. وبالتالي فهو يذهب إلى عمله، ويعود منه مساء، يريد أن يأكل طعامه، ويشاهد التليفزيون أو الكمبيوتر، ويقرأ المجلات حتى يغلبه النوم.. وهو راض تماما عن نفسه وعن حياته الهادئة الرتيبة، ولا يشعر أنه مقصر في شيء.

أما الزوجة العاطفية، فإنها تفتقد أشياء كثيرة مهمة.. تفتقد الإحساس بالكلمة الحلوة المشجعة من الزوج.. وتفتقد الإحساس بالمشاعر الدافئة.. وتفتقد

(١) رص ٢١١ ص ١٠٤.

أيضا الإحساس بأنها تعني لزوجها كل شيء في هذه الحياة.. فالحب مثل الإنسان، له عمر، ويحتاج إلى أشياء عديدة لكي يحيا.. وقد يموت فجأة.. ولكي يظل حيا، فهناك شرط أن يضع الزوجان في اعتبارهما المعايير الروحية والنفسية.. ومع اختلال هذا الشرط، قد تنهار الزيجة وتتبدد السعادة المصطنعة على حساب الضغط النفسي على أي من الزوجين.

فنحن بشر، ونحتاج دائما إلى التعبير العاطفي.. وما أسهل إرضاء الزوجة بكلمة حلوة.. تلك الكلمة الحلوة التي تعتبر لؤلؤة نادرة وسط ملايين الأهداف التي تعمل على سعادة الأسرة، وتساعد في القضاء على الملل والرتابة عند تسربها إلى الحياة الزوجية كلما طالت العشرة بين الزوجين.

وكثير من الزوجات تتذكر أيام شهر العسل حيث كان الزوج يمسك بيدها في حنان، فتسري الرعشة إلى قلبها.. ولكنه بعد مرور الأيام حيث أصبحت أما للأطفال، يخجل الزوج أن يمسك بيدها.. إنه يعتقد في عدم حاجتها لهذه اللمسات واللفتات العاطفية بعد الزواج والإنجاب.

وفي العصر الحالي.. وفي ظل العمل والزمالة بين الرجل والمرأة، والتي تتضمن الكثير من كلمات المجاملة.. فإن هذه المجاملات تفتح أحيانا أمام الزوجة بابا للمقارنة اللاشعورية لتصرفات زوجها بين الحرمان من الكلمة الحلوة داخل نطاق الأسرة، وسهولة قولها للعاملين والعاملات معه في الخارج.. وهنا يكمن الخطر.

ز- افتقاد السعادة:

لا يفرط في السعادة من ذاق حلاوتها.. وإذا افتقدها أحد الزوجين - في فترة ما - فعليه أن يبحث عن السبب الحقيقي ويناقشه مع شريكه.. وعليه أن يهزم الألم، ويملأ قلبه بالحب والعاطفة واللين والرحمة.. فلا بد أن تنتقل هذه المشاعر إلى الطرف الآخر، وتعود الأمور إلى مجاريها.. وكل طرف بحاجة إلى إنارة قلبه وذاته حتى يشع بالخير على جميع أفراد الأسرة.. فإن هنئوا وقرت عيونهم، نام الجميع سعداء.

فالسعادة تنبع من القلب.. ويغذيها الزوجان بحسن المعاملة والتفاهم والحب الحقيقي والمصلحة المشتركة والأحلام الكبيرة لهما ولأبنائهما.. فالمرأة هي البلسم والواحة التي يلجأ إليها الزوج والأبناء.. والزوج هو المحفز والدافع لتلك المرأة، بالتعبير عن الحب والابتسامة التي تفتح شهيتها على الدنيا كلها، ونظرة التعاطف والتقدير منه لعطائها في البيت وللأبناء، كفيلة بأن تفجر داخلها طاقة الحب والعطاء من جديد، وتزيل كل آلام المشقة والمتاعب.

ونفس الشيء يجب أن يكون من ناحية الزوجة تجاه زوجها الذي يعمل ويكد يوميا لتوفير الحياة الكريمة للأسرة.. فلا يجب أن تبدأ استقباله بعد يوم مرهق بالشكوى من الأبناء، أو بقائمة طلبات لأفراد الأسرة أو البيت، أو حتى النزهة.. ولكن عليها أن تختار الوقت المناسب لذلك بعد أن يأخذ قسطا من الراحة.. علاوة على أسلوب الحديث الذي يدل على التفهم والتوازن بين قدرات الزوج المادية، ومدى الاحتياج لهذه الطلبات.

ولكن - بكل أسف - تغيرت حاليا مفاهيم كثيرة.. وأصبحت الأسرة تلقي بالعبء الكبير على أحد الطرفين.. فقد توضع كل الأعباء على المرأة، وتصبح مطالبة بالنجاح في العمل خارج المنزل، والمشاركة في تكاليف المعيشة، ورعاية البيت والأبناء، ومراجعة دروسهم ومراقبة سلوكهم، وفي نفس الوقت أن تكون زوجة بدرجة امتياز.

وهناك أسر أخرى تلقي بالعبء كاملا على الرجل من حيث الأعباء المالية المرهقة فوق الطاقة.. فقد تطلب الزوجة منه توفير الشغالة، والطباخ، والسائق، والفيلا، وتجديد الأثاث كل فترة، وشراء أفخم الملابس في كل موسم ومناسبة، وقضاء الإجازات في المصايف والفنادق العالمية، إلى غير ذلك الكثير من أسلوب المباهاة، وعدم تقدير الجهد الذي يبذله الزوج في سبيل ذلك، حتى تنقضي عدة سنوات يقع بعدها الزوج بين العديد من الأمراض نتيجة هذا الضغط المستمر عليه.. ويكتسب الأبناء أسلوب الحياة المرفهة، والأنماط الاستهلاكية، التي لا تعين على الاعتماد على النفس أو تحمل مسئوليات الحياة في المستقبل.

فأين السعادة في مثل هذه الأسر المتناقضة في أسلوب حياتها.. والتي توصف بالأنانية من طرف وإلقاء العبء والمسئولية على الطرف الآخر؟!.

وحتى تتحقق السعادة الزوجية.. لا بد أن يعمل كل منهما على إرضاء شريكه، ولا يحب ذاته.. وأن يكون هناك تقدير وتعاون وتفاهم ومشاركة في النجاح والمشاعر.. فإن الشعور المتبادل هو الأساس في السعادة.. علاوة على المشاركة في السراء والضراء، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وتحمل كلاهما مصاعب الحياة، وبذل أقصى الجهد للاحتفاظ بهذه الحياة أن تكون سعيدة، وذلك لا يتحقق إلا بالمودة والحب المتبادل، وألا ينفرد أحدهما بإدارة سفينة الحياة دون مساعدة شريكه على تسييرها.. كما يجب أن يتحمل كلاهما مسئولية رعاية الأبناء وتعليمهم وتربيتهم ومراقبة سلوكهم.. وأن يكون لديهما الاستعداد الكامل والنية الصادقة لمواصلة مشوار الحياة إلى النهاية.

(٤) كثرة الخلافات الزوجية:

الخلافات الزوجية تسبب قلقا شديدا للطرفين، الأمر الذي ينعكس على حياتهما ومعاملاتهما سواء في البيت أو العمل.. وقد تصل هذه الخلافات أحيانا إلى حد التفكير في الانفصال.. فالزواج لا يستمر على مر السنين بالحب وحده.. فشرارة الحب قد تطفئها المسئوليات والأبناء والالتزامات المالية والاختلاف على أي شيء.. والأسرة ليس فيها غالب ومغلوب.. وفيما يلي نذكر بعض أسباب الخلافات الزوجية، وبعض النصائح لإزالة - أو التخفيف من شأن - هذه الخلافات:

أ- الكذب والخيانة والشك:

◆ الكذب: يعتبر الكذب من أهم أسباب الخلافات الزوجية.. لأن اكتشاف الكذب ولو مرة واحدة، يُفقد الطرف الآخر الثقة في كل تصرفاته.. والشخص الذي يكذب - سواء الزوج أو الزوجة - يُقنع نفسه بأن كذبته بيضاء حتى يهرب من تأنيب الضمير.. ولكن الكذب ليس فيه أبيض وأسود.. فكله كذب.

ويشيع الكذب في فترة الخطوبة بالذات، كمحاولة ليظهر كل طرف أمام الآخر بشكل أكثر جاذبية.. ويبرر لنفسه أنه يتجمل ولا يكذب.. ولكنه في الحقيقة كذب.

والزوج - الذي لا يحب كثرة النقاش مع زوجته - قد يلجأ إلى الكذب بحجة تجنب الشجار معها.. فلا يجيب على أي سؤال إلا بكذب واقتضاب حتى تتوقف عن الأسئلة.. وهكذا يتخذ من الكذب وسيلة سهلة للتغلب على أي موقف صعب مع زوجته.. ويصل إلى مرحلة التعود عليه باستمرار سواء بسبب أو بدون سبب أمام زوجته وأبنائه.. وعند اكتشاف أمره، فالأمر لا يسلم من زيادة الخلافات التي تؤدي إلى الطلاق، علاوة على فقده عنصر القدوة الحسنة أمام أبنائه.

أما الزوجة، فقد تدمن الكذب على زوجها فيما يتعلق بأسعار مستلزمات المنزل، لكي تدخر جزءا من المال لنفسها أو لأبنائها.. وقد تلجأ للكذب أيضا فيما يتعلق بالمستوى الدراسي للأبناء حتى لا يصيبهم العقاب من والدهم وتجنبا لإثارة المشاكل معه.

والنصيحة للزوجين، أن يضعا أيديهما على أسباب الخلاف بينهما.. وأن يحاولا إزالته.. مع محاولة تجنب ما يطلق عليه الكذب الأبيض.. بل يتعاملان بصراحة مهما كانت النتيجة التي تؤدي إليها هذه الصراحة.. وبالصدق تكون حياتهما أكثر استقرارا وهدوءا.

◆ الخيانة: الخيانة نوع من الكذب.. لأنها خيانة لأمانة الصدق الذي تعاهدا عليه منذ بداية الزواج.. فكثيرا ما نسمع عن خيانة الزوج لزوجته وزواجه بأخرى دون علمها، بعد أن كافحت معه في السنوات العجاف الأولى، حتى عظم شأنه وارتفع، فكافأها بالخيانة.. وهذا النبأ يقع على الزوجة وقع الصاعقة، ولا بد أن تبدأ المشاكل، وترتفع الأصوات وتتطاير الاتهامات.. وقد تطلب الطلاق.. أو تضغط على أعصابها من أجل الأبناء.. وفي كل الأحوال، فقد وضع الزوج نفسه في تيار الخلافات الزوجية المستمرة سواء من الزوجة الأولى أو الثانية، لأنه لم يوضح أسبابا جوهرية تجعله يتزوج مرة أخرى وتقتنع بذلك زوجته الأولى.

أما الخيانة من جهة الزوجة، فإنه شعور يهوي بها إلى الحضيض، ويجعلها تري نفسها في أدنى نقطة.. فخيانة الزوجة موجهة نحو الذات أولا، ثم نحو الزوج الذي تحمل اسمه، وموجهة كذلك إلى الأبناء الذين يتأثر مستقبلهم بكل ذلك.. والطلاق هو المصير الطبيعي لخيانة الزوجة.

والبيئة أو الأحداث التي تمر بالصغار في البيت قد يكون لها أثر كبير على نفسيتهم عندما يصلون إلى فترة الشباب.. فإذا سمع الصغير أو شاهد خيانة الأزواج أو الزوجات، فإن الشك يترسب في ذهنه، ويعتبر جميع النساء خائنات، كما تعتبر البنت جميعً الرجال خائنين.

◆ **الشك:** الشك ينبع لدى الشاب أو الفتاة، عندما يرى في صغره صور الكذب والخيانة سواء في الحقيقة، أو في وسائل الإعلام ويتأثر بها.. فعدم ثقة الزوج بنفسه وإحساسه بالدونية تجاه المرأة التي ارتبط بها، عادة ما يجعله يسارع بالشك في تصرفاتها، لشعوره بأنها يمكن أن تنجذب إلى من هو أكثر منه رجولة وجاذبية.. فالزوجة هي التي يمكن أن تعيد إليه ثقته بنفسه وإحساسه برجولته.

أما شخصية الزوجة، التي تبالغ في إظهار محاسنها، وتستمتع إلى حد ما بنظرات الإعجاب التي تتلقاها، سواء سعت لذلك بوعي أو بدون وعي، قد تلعب دورا مهما في تأجيج نار الغيرة لدى الزوج، والتي قد تصل إلى الشك في زوجته، خاصة إذا كان عنده استعداد نفسي لذلك.

والعلاج في مسألة الشك لا يأتي بالصراخ أو العنف.. فالزوجة قد تكون بريئة من كل الشكوك التي يشعر بها الزوج.. إنما الواجب التريث والتفاهم وأن ينبهها لكل ما يُغضبه بصراحة حتى لا تتعقد الأمور.. وكل مشكلة لا بد لها من حل.. لأن الشك في حد ذاته لا يكون سببا للطلاق.. فلا داعي لزيادة الخلافات الزوجية التي تتلف الأعصاب للجميع.. كما يجب عدم تصديق الإشاعات، وأن تكون المصارحة بين الطرفين هي الوسيلة للإصلاح والتفاهم وتجنب ما يُغضب أي طرف.

ب- البخل:

البخل هو أن يكون الزوج يملك ويستطيع، ولكن لا يصرف على بيته إلا القليل، ولا يهتم بمساعدة الآخرين سواء مساعدة مادية أو معنوية.. وبخل الزوج مشكلة حقيقية نلاحظها في بعض الأسر، وتسبب خلافات كثيرة.. والبخل ليس في النواحي المادية فقط، بل أيضا البخل العاطفي والإنساني.. وهي حلقات تتصل كلها ببعضها.. فقد يضم راتب الزوجة إلى راتبه، ويعطيها مبلغا معينا للإنفاق على الأسرة، ولم يسألها إن كان يكفي أم لا.. والنقاش يطول إذا طلبت زيادة عن هذا المبلغ.. ونفس الشيء يحدث إذا طلب أحد الأبناء مبلغا لشيء مهم له.. وقد يكتنز النقود لنفسه ليشرب بها دخان السجائر وغيرها من المسكرات.

فلماذا تُجمع الأموال والثروات؟.. وما نتيجة جمعها؟.. وفيم تنفق؟. وما الجزاء؟.. أسئلة يعلم جوابها كل الناس، ولكنهم لا يعملون بما يعلمون.

* عن عبدالله بن الشِّخير رضي الله عنه، أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو يقول: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر]. قال: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت؟!**» (رواه مسلم والترمذي)[1].. (فأمضيت: فأنفذت عملك الصالح وادخرته عند الله تعالى ليوم الجزاء) (فأفنيت: أعدمت وأذهبت، ومثله فأبليت).

* وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغي ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**» (رواه البخاري)[2].. (لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب: أي لا يزال يحب المال ويحرص عليه ولا يشبع منه حتى يأتيه الموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق**» (رواه الترمذي)[3].

(١) ت ٢٣٤٣ ص ٣٣٦. (٢) خ ٢١٠٠ ص ٤٨٠.
(٣) ت ١٩٦٣ ص ٢٦٩.

وهناك فرق بين البخل والفقر.. فالفقير قد يقدم الهدايا، وينفق على البيت قدر مستواه المادي، وهذا ليس بعيب.. أما البخيل فهو يقصر بصفة ملحوظة في الواجبات ويتهرب من تحمل مسئولية الإنفاق على الزوجة والبيت، مما لا يتناسب مع مستواه المادي.. وقد ابتلى الله - سبحانه وتعالى - الناس بالفقر والغنى.. وأمر الفقراء بالصبر.. وأمر الأغنياء بالعطاء.

وعلى الزوجة التي تقع في فخ البخيل أن تتعامل معه وكأنه طفل، لأن الإنسان البخيل يشبه الطفل في شعوره بالخوف وعدم الأمان، ويجد سعادته في جمع المال.. وعليها اطلاعه على فواتير المشتروات حتى يشعر بارتفاع الأسعار وضرورة بذل أموال أكثر لصالح الأسرة.. وربما تستطيع الزوجة المحنكة تعديل زوجها من رجل بخيل إلى رجل حريص.

والحرص من الزوج مقبول.. فقد تكون الزوجة مسرفة أو ليست لديها القدرة على إدارة البيت خاصة في بداية الزواج.. فيتعامل معها الزوج بنوع من التوازن والحرص، ويحاول أن يوفق أوضاعه وإمكاناته حتى تتمشى مع أحواله المادية.

وقد يكون الزوج من متوسطي الحال، فترى الزوجة، نتيجة لتبذيرها وإسرافها، أن ذلك بخل منه، مع أنه في الحقيقة حرص مقبول.

والبخيل في العلاقة الحميمة مع زوجته، يعاملها بامتهان، ولا يتعامل معها كشريكة حياة لها حقوق عليه، بل يتعامل معها كأنها بلا مشاعر وأحاسيس بدون ملاطفة أو مداعبة ولا احترام لآدميتها.. هذه الصيغة من العلاقة الزوجية فيها الكثير من الظلم للمرأة.. وكثيرا ما تفتقد المرأة الجرأة لأن تتفاهم مع زوجها بصراحة ووضوح حتى يتنبه إلى ما تعانيه.. وحينما لا تشعر معه بالرضا، ستتعدد الخلافات الزوجية التي ستؤدي حتما إلى الانفصال أو الضغط النفسي الشديد على الزوجة.

جـ- المراهقة الثانية:

بعض الأزواج في الأعمار المتقدمة، تظهر عليهم فجأة أعراض المراهقة الثانية.. ويحدث ذلك في مختلف المستويات الاجتماعية.. وبالطبع تصرخ

الزوجات مـن تصرفاتـهم التي تؤخذ عليـهم في هذه المرحلة من العـمر.. وعن أسباب التحول المفاجئ الذي يؤدي بالزوج لذلك، قـد يكون الاكتئاب بعد خروج الأبناء من المنزل وانشـغال كل منهم بحـياته.. وقـد يكون هناك فجـوة بينه وبين زوجته منذ فـترة طويلة تحمَّلها الزوج من أجل تربية الأبناء.. ومـجرد خروجهم، بدأ في البحث عن أسلوب جديد لحياته.

والزوجة الذكية تتفادى وقوع زوجها في فخ المراهقة الثانية منذ بداية الزواج، وذلك بالارتباط العاطفي معه، والتقرب إليه، ومشاركته في الهوايات.. تماما مثل الاعتناء بالزرع، إذا أهملته جف، وإذا روته واعتنت به نما وترعرع.

وفي نفس الوقت نقول لهذا الزوج المراهق: بأن مـا لم تأخذه وتسع إليه في شرخ الشبـاب، لا يحق لك أن تأخذه في خريف العـمر؛ لأنه سيأتي حتـما على حساب الآخرين، الزوجة والأبناء وأزواج الأبناء.

د - ضعف القدرة الجنسية:

ضـعف القـدرة الجنسـيـة مـرتبط بالجـوانـب العـضـوية، مـثل الخلل في الهرمونات.. كـما أنه مرتبط أكثـر بالجوانب النفسية، سـواء من جانب الرجل أو المرأة.. ولكنه يظهر أكثر في الرجال لعدة أسباب نذكر منها:

- ضغوط الحياة على شباب هذه الأيام في العمل المتواصل طول اليوم ليعود إلى المنزل مجهدا بشكل كبير.
- الإحبـاط الذي قد يقابله الشـاب لتوفيـر متطلبات الحـياة، مما يؤدي إلى التوتر النفسي، وبالتبعية يؤثر بالسلب على طبيعة العلاقة الزوجية.
- التعـرض للإثارة الجنسيـة المستـمرة من مـختلف وسـائل الإعلام، وفي الشارع، والأفلام والأغاني والفضائيات.
- نمط الحياة اليومي من تناول طعام غير صحي - تيك أواي - والإفراط في الطعام، والزيادة في الوزن.
- الاعتماد على السيارة وقلة الحركة.
- التدخين، والتلوث البيئي بجميع أنواعه في الغذاء والماء والهواء.
- انتشار الأدوية المنشطة للناحية الجنسية واستخدامها بشكل عشوائي.

كلها عوامل تعمل على ضعف القدرة الجنسية، وقد تؤدي في النهاية إلى الطلاق.

والحل هو إزالة الخجل، واللجوء إلى الطبيب في الوقت المناسب طلبا للعلاج النفسي أو العضوي قبل أن تتعقد الأمور ويصعب الحل.. والخجل مشكلة منتشرة بين مختلف الطبقات والأعمار، وترجع إلى طبيعة الرجل الشرقي الذي لا يحب أن يعترف بعجزه، ويرفض الذهاب إلى الأطباء المتخصصين.

هـ- الزوج المتسلط أو المتساهل:

الزوج المتسلط مزعج لجميع أفراد الأسرة.. ولا بد أن يصطدم مع الزوجة والأبناء وكل من يتعامل معه.. وفي هذه الحالة فإن على الزوجة الصبر، وأن تزيد من اللمسات الحانية على الزوج؛ لأن الحنان يلين التسلط.. كما أن عليها الإقناع بالهدوء وليس بالانفعال أو بالصوت العالي.

أما نمط الزوج المتساهل فهو عكس المتسلط.. إذ يترك الأمور كما تُسيرها الأقدار، ولا يهتم كثيرا بشئون الزوجة أو الأبناء ولا يبدي رأيا.. وبمعنى آخر كأن ليس له وجود أو دور في هذه الأسرة.. فإذا أرادت الزوجة مشاورته في رأي مهم للأسرة، لا تأخذ إجابة قاطعة، وبالتالي تنفعل عليه.. وقد يفلت الزمام فتتطاول عليه باللسان.. وهنا مكمن الخطر أمام الأبناء.. والنصيحة التي يجب أن يعيها الأزواج - سواء المتسلط أو المتساهل - أن خير الأمور الوسط حتى يتجنب الخلافات الزوجية.

و- المبالغة في أوجه النقص وترك الإيجابيات:

عند زيارة الأسرة الكبيرة للزوج (أو الزوجة).. أو أثناء الجلسات مع الأصدقاء والصديقات.. قد يتحدث أحد الأزواج بمزاح ومبالغة عن بعض الصفات السلبية للطرف الآخر، مع ترك الإيجابيات.. هذا الأسلوب من الحديث - حتى لو كان بشكل مزاح - لا بد أن يترك أثرا في النفس، خاصة إذا كان الحديث في وجود الأبناء، أو الحموات أو الأخوات أو الأصدقاء.. إلخ، مما يجعل الأمور تشتعل أكثر.. وبعد انتهاء الزيارة، إذا بدأ العتاب بين بعضهما، فبدلا من اعتذار الطرف المتحدث، تأخذه (أو تأخذها) الحمية بالهجوم: «أليس ما

قيل كان حقائق؟.. أصلح (أو أصلحي) من شأنك أولا».. وهكذا تنقلب الزيارة التي كان هدفها صلة الرحم والترفيه وتغيير روتين الحياة اليومي إلى نكد وخلاف بسبب اطلاع الناس على السلبيات، بدلا من مناقشاتها وإصلاحها في حدود الأسرة.

ز- الحساسية الزائدة من ناحية كلمة الكرامة:

الكرامة كغيرها من الفضائل، وسط بين الكبر والتهاون في حق النفس.. وهي نعمة نعتز بها ونحرص عليها.. ولكن المغالاة تحول هذه النعمة إلى نقمة على الشخص نفسه وعلى من حوله.. وتحرمه من الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع الناس، كأن يكون في حالة تحفز دائم خشية أن يتعرض كبرياؤه لأي خدش.. وبالتالي تكون ردود أفعاله بالغة العنف.. فيجب أن تؤخذ الأمور باعتدال ودون سرف، حتى لا نخسر من نحب من الزوجة والأبناء والأهل والأصدقاء.

هذه هي بعض الأسباب التي تعمل على تأجيج الخلافات الزوجية.. وهناك أسباب أخرى عديدة للخلافات الزوجية ذكرت في مواقعها من النقاط السابقة.. ومن المهم أن يعلم الأزواج والزوجات أن الطلاق هو أبغض الحلال.. ولذا ممنوع الاستهانة به، أو الظن بأنه راحة من المشاكل والخلافات الزوجية.

سادسا: غياب الثقافة المتعلقة بالطلاق

عـقـد الزواج بين الرجل والمرأة مـبني عـلى المودة والسكن والرحـمـة بين الزوجين.. لكن قد يعترض الحياة الزوجيـة بعض الأمور التي تغير الحال، وتجعل الحياة الـزوجية مصدرا لـلمتاعب والشقـاء بين الزوجين، لما في الزواج من أسرار دفينة.. فـينقلب ما كـان بينهما من مـودة إلى خلاف وشـقاق وشجـار وتنافر.. ولذلك شـرع الله - سـبحـانه وتعـالى - الطلاق ليكون نعـمـة تخلص الزوجين المتباغـضين من قيد تلك الرابطة، بحيث يكون الطلاق هو العلاج الأخـير للصراع الذي يطرأ على الحياة الزوجية، إذا أصبح من العـسير التوافق بينهما.. وبعد ذلك يغني الله كلا من سعته.

والطلاق ليس مـجرد كلمـة يتلفظ بها الزوج دون وعي بأمـور الدين.. إنما الطلاق عقد، كما كان الزواج بعقد.. وهذا العقد يحفظ لكل ذي حق حقه.

أما الآن فـقد تحول الـطلاق إلى أهداف أخرى منها: التـهديد، والوعـيد، والانتقـام، والعناد، والإذلال، وخطف الأطفال.. إلخ.. إنه البـلاء الذي أصاب الأمة بسبب عدم الوعي بأمور الدين.. قال سبحانه وتعالى:

* ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ... ﴿٢٣١﴾ ﴾ [البقرة].

ففي الآونة الأخيـرة.. هناك حالة من الانفلات غير العـادية تنشب أظفارها في العلاقات الزوجية.. وأصبح الطلاق كلمـة سهلة النطق والفعل، بعد أن كانت إلى وقت قريب غير واردة في قاموس ومفردات الحياة الزوجية.

فالطلاق أبغض الحلال.. ولذا يجب عدم الاستهانة به، أو الظن بأنه راحة من المشاكل الـزوجية.. وانطلاقـا من حرص الإسلام على الأسـرة التي هي أولى لبنات المجتمع، فـقد وضع من الضوابط ما يحفظ لها اسـتقرارها، ومن الآداب ما يساعد على بقاء المعاملة الطيبة، حتى وإن كان القرار بين الزوجين هو الطلاق.

فالإسلام لا يجيـز مثلا قطع العلاقة وانتهائـها لمجرد طلاق نتج عن غضب الزوج في مـوقف ما، مما يجـعله متـعجـلا في النطق بالطلاق الذي يضر بكـيان الأسرة.

فهناك شروط وقيود في الإسلام، يمكن عند الأخذ بها إعادة الاستقرار إلى الأسرة ورجوع الزوج عن الانفصال والفراق.. ومن هذه الشروط:

◆ يحض الإسلام على بقاء المرأة - بعد أن يقع عليها الطلاق - في منزل الزوجية مدة العدة.. وهذه المدة ربما تجعل الزوج يراجع نفسه ويتبين له حاجته إلى الزوجة، فيرجعها إلى عصمته، وتعود الحياة الزوجية مرة ثانية إلى طبيعتها.

أما ما جرت عليه العادة حاليا بخروج الزوجة من بيت الزوجية إلى بيت أهلها بمجرد إلقاء يمين الطلاق عليها أمر يتنافى مع حكمة الإسلام في التقريب بين الزوجين، ورفع الخلاف الواقع بينهما.. حيث إن خروجها من بيتها يعمق الفجوة بين الزوجين.. على أن الإسلام يريد أن يحض الزوج على الإبقاء على علاقته الطيبة بزوجته لعل الله يقرب بينهما ويمحو الخلاف العارض، حفاظا على كيان الأسرة التي هي أساس المجتمع.. لقوله تعالى:

* ﴿ ...لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ①﴾ [الطلاق].

◆ إذا استحكم الخلاف بين الزوجين، وظل على ما هو عليه، ووضحت الكراهية وعدم الرضى عن استمرار العلاقة الزوجية خلال مدة العدة، ففي هذه الحالة تقع طلقة واحدة.. ويبقى الباب مفتوحا للمراجعة حتى إذا انتهت العدة.. وذلك بعقد ومهر جديدين.

◆ من الواجب على الزوج عدم هجر زوجته لفترة طويلة؛ لأن الهجر بلا سبب شرعي، موجب للطلاق.. ذلك لأنه يُعرض الزوجة للفتنة.. علاوة على أن الهجر يعتبر من أشد أنواع الضرر، لأنها تظل معلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة.. وشعور الزوجة بالوحدانية - في ظل رجل غائب - يجعلها تردد لنفسها السؤال: وماذا سأفقد بالطلاق؟!.. والمرأة عادة لا تلجأ إلى طلب الطلاق إلا بعد عذاب نفسي شديد.

◆ أما اتخاذ الطلاق وسيلة للانتقام والتهديد والإذلال، فإن هذا الأسلوب يقطع الأمل في عودة الزوجين إلى الحياة الطبيعية الأولى في بيت

يجمعهما وأبناءهما تحت سقف واحد.. ويصبح بذلك الطلاق مرة واحدة سببا في عدم إعادة المياه إلى مجاريها.

وفيما يلي نوضح أثر الطلاق - إذا اقترن بالكيد والعناد - على الزوجين والأبناء:

(١) الطلاق وآثاره النفسية على الزوجين:

الطلاق وخاصة في سن الشباب - يجعل الشباب في أزمة حقيقية للزواج مرة أخرى، حيث يدخلون في نفس المشاكل والحيرة التي قابلتهم بشأن الاختيار لشريك - أو شريكة - الحياة.. بل تزداد الأمور تعقيدا نتيجة إحساس وشعور المطلق - أو المطلقة - بالفشل وعدم الثقة بالنفس.

والذي يتدبر ما يحدث للزوجين بعد الفراق والطلاق، يلاحظ آثاره السيئة على النفس الإنسانية، لما يترتب عليه من هموم، وأحزان، ومتاعب لكليهما.. فهو إحساس بالفشل، بدليل ما نلاحظه على أي امرأة تطلب الطلاق.. فبعد أن كانت تصر على الطلاق، نراها فجأة تنفجر في البكاء مجرد أن ينطق القاضي بالموافقة على الطلاق.. ذلك لأنها في هذه اللحظة تشعر بهول ما فعلت.. وذلك لأنها تطلب الطلاق، وتنتظر في نفس الوقت من زوجها أن يتمسك بها برغم كل ما فعلته - أو كل ما فعله هو - من مشاكل زوجية.

ولماذا البكاء عند لحظة النطق بالطلاق؟! لأن البكاء هو وسيلة المرأة في التعبير عن الحزن.. أما الرجل، فإن الانفعال الداخلي يعصر قلبه، ويشعر أن الدنيا كلها ليس فيها خير.. ويتهم جميع النساء أنهن مثل هذه الزوجة من ناحية إنكار الجميل الذي قدمه لها.. وكبرياؤه يمنعه أن يتهم نفسه بأنه كان طرفا أساسيا في المشاكل الزوجية.. وعادة ما يأخذ زمنا طويلا - لا يقل عن ستة أشهر - حتى يستعيد توازنه وتفكيره ويبدأ في مراجعة نفسه.. ولا يجب وهو في هذه الحالة من الصدمة أن يخرج منها بالزواج مباشرة.. كما يجب على أي فتاة أن تتأنى ولا تختار الزواج من المطلق وهو في حالة الأزمة النفسية بعد الطلاق مباشرة.

والله وحده يعلم قوة وقسوة كلمة الطلاق.. فهي كالرصاصة في القلب، والسكين التي تنغرس بين الضلوع.. ووقعها على كيان الجسم كله ما ظهر منه وما

بطن.. وعلى السكر والضغط وقنوات الدموع وجهاز المناعة.. وسرقة النوم من العيون.. فهي طعنة لقطع جسر المودة، وهدم البيت، وتشريد الأبناء المغلوبين على أمرهم.

والأفضل من الطلاق وعذاب النفس، أن يحاسب الزوج نفسه، كما تحاسب الزوجة نفسها، منذ بداية الزواج.. وأن يكون لدى كل منهما التزام أخلاقي تجاه الطرف الآخر الذي أحبه، منذ البداية وأخلص له.. وأن يبحثا عن علاج لأسباب النفور.. وألا يسمحا لنزوات الغضب أن تهدم كل شيء جميل في حياتهما.. والتخلي عن الندية والأنانية لصالح التآلف والتواد والانصهار الوجداني والعاطفي.

وضحايا الطلاق، هم في الأساس ضحايا عدم الوعي بأمور الدين.. وضحايا أسر مفككة مليئة بالمشاكل والأزمات النفسية نتيجة للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الحديثة التي انعكس تأثيرها على المجتمع.. وهم أيضا ضحايا المخططات التي تعبث بالدول الإسلامية لمحاولة تفكيك الأسرة، وبالتالي يسهل تفكيك المجتمع ككل.. وذلك بالضغوط الاقتصادية على الدول.. حيث تكثر البطالة، مع تمييز المجتمع إلى طبقات، القليل منها هو الأكثر ثراء، والأكثرية تطمع في جزء من هذا الثراء لكي تمارس حقها في الزواج والعيش في أسرة بكرامة.. هذا الصراع النفسي يحطم الشبان والفتيات على السواء، فتزداد العزوبة والعنوسة.. كما يتخبط الشباب في اختيار شريك الحياة.. والنتيجة عدم تحقيق الطموحات والآمال المعقودة على هذه الحياة الزوجية لكلا الطرفين.. فيصبح الطلاق مطلبا.

والإنسان القوي هو الذي لا يتوقف عند الفشل في إحدى التجارب.. وهو القادر على أن يعيد بناء نفسه من الداخل، وأن يقاوم الاستسلام أو الانكسار أو الإحساس بالفشل وعدم الثقة في النفس.

(٢) نظرة الأهل والمجتمع إلى المرأة المطلقة:

عندما يحدث الطلاق.. فإن قسوة الأهل والمجتمع تنصب على المرأة وحدها دون الرجل.. فالأهل ينظرون إليها كأنها وصمة عار في وجه الأسرة.. أما المجتمع، ووسائل الإعلام بالذات، فهم يبررون للرجل أخطاءه، ولا يُحملونه -

إلا نادرا - مسئولية فشل الحياة الزوجية، حتى لو كان هو العنصر الأساسي للمشاكل الزوجية التي أدت إلى الطلاق.

فإن سلامة الفرد النفسية والبدنية هي التي تقود إلى سلامة الأسرة.. وعندما يفقد أحد طرفي العلاقة الزوجية مقومات الأمان، ومبررات السلامة، ويصبح الطرف الآخر مصدرا للآلام - سواء كانت الزوجة أو الزوج هو ذلك الطرف الآخر - فإن الطلاق عندئذ يصبح هو الاختيار الأفضل لدى الطرف المغبون.

ونادرا ما تطلب المرأة الطلاق إلا بعد عذاب نفسي شديد.. وفي بعض الأحيان قد يفتقد طلب الطلاق المبررات الحتمية لاتخاذها هذا القرار الخطير.. فالطلاق لا يكون لسبب واحد، بل يعود لعدة أسباب مجتمعة ومتشابكة تعمل على استمرار حالة عدم التوافق بين الزوجين.. وقد يظهر في لحظة ما سبب من هذه الأسباب بصورة أكبر، فيعلق عليها كسبب أساسي للطلاق.. وهذا لا يكون الحقيقة المطلقة، خاصة إذا كانت هناك أسباب خارجة عن الأسباب العميقة للتوافق الأسري مثل: أسباب مادية، أو عدم استجابة الزوج لطلبات أسرته، أو خيانة الزوج أو الزوجة، أو الإدمان لأحدهما، أو البرود الجنسي أو العجز الجنسي.. وأحيانا يخجل الزوجان من اللجوء إلى الطبيب في الوقت المناسب طلبا للعلاج النفسي أو العضوي، حتى لو كان هناك في الأفق علاج ممكن.. وبالتالي تترك الأمور حتى تتعقد ويصعب الحل، ويتولى الطلاق عملية الجراحة الأسرية الخطيرة.

هذه كلها عوامل أساسية للطلاق.. وبالتالي تكون العلاقة بين الزوجين متوترة وغير مستقرة.. ويكون أحد هذه الأسباب هو القشة التي قصمت ظهر البعير، ويصبح هو الحجة للطلاق، ولكنه في الحقيقة ليس السبب الرئيسي الوحيد.

وفي كل الأحوال.. لا يعرف المجتمع الظروف المحيطة بالزوجين التي أدت إلى الطلاق؛ ولذا فإنه من القسوة أن تتهم المرأة دائما.. وكثيرا ما ينصرف عنها بعض زميلاتها عند العلم بطلاقها.. وقد يشمت فيها البعض، خاصة إذا كانت هي من النوع القوي أو سليط اللسان.. هذا علاوة على القيود التي تواجهها من أفراد أسرتها.

وعندما يتقدم إليها من يريد أن يتزوجها.. فهو إما شخص يريد أن يتزوجها عرفيا ودون علم زوجته حفاظا على بيته وسمعته.. أو شخص يريد أن يتزوجها بدبلة فقط أو بأقل مهر رغم إمكانياته المادية، على أن تتحمل هي أعباء الزواج.. أو يتقدم إليها من يريدها صديقة فقط دون زواج رسمي.. وبدلا من الإبتسامة التي كانت تنتظرها عندما يتقدم إليها طالب الزواج، تبدأ في اللوم لنفسها وتلعن الظروف التي ساقتها إلى هذا الوضع.

وعندما تنظر المطلقة في المرآة بعد فترة، تجد الكآبة والتجاعيد ملأت وجهها ورسمت خطوطها عليه.. من كثرة نظرات الأهل والعتاب والتضييق عليها في الخروج والمواعيد والمكالمات التليفونية.. وحتى الجلوس وحدها لتستعيد ذكريات الماضي، وترتيب حياتها المستقبلية، يتدخل فيها الأهل بشكل مستفز لها.. وقد يدفعون بالمطلقة لأكثر من اتجاه بسبب إحباطها من هذه النظرات.. فمن المطلقات من تنحرف، ومنهن من تصبح زوجة ثانية، ومنهن من تتزوج عرفيا، لعل وعسى أن الزواج الثاني يحقق الآمال.. ولكن هيهات!!.

ومن النصائح التي يمكن تقديمها للمرأة المطلقة ما يلي:

- أن مرارة تجربة الطلاق ليست نهاية العالم.. فاجترار الذكريات المؤلمة الماضية لا يفيد بشيء.. ولكن الاستفادة من الأخطاء السابقة أمر ضروري.
- العمل على زيادة الثقافة بقراءة الكتب والمجلات وغيرها، والاستفادة منها.
- تكوين علاقات اجتماعية جديدة تعمل على تغيير نمط الحياة السابقة، وتدخل السرور على النفس وتخلصها من الاكتئاب.
- ممارسة الرياضة في الهواء الطلق، وتكوين علاقة صداقة مع المجموعات الرياضية.
- السفر إلى أماكن مختلفة في رحلات سياحية أو دينية، مع التعرف على شخصيات جديدة.

❖ إذا كان هناك أطفال، فإن تكريس الاهتمام بتربيتهم مع زرع الحب في قلوبهم لأبيهم ولكل الناس، كفيل بإزالة كل آثار الاكتئاب والحقد من القلب، مما يزيد من الحب والتقدير من جميع الناس المحيطين بهذه المرأة المتسامحة ذات القلب الصافي.

❖ وضع خطة جديدة للحياة المستقبلية بناء على المنطق والعقلانية والوضوح.. ولا يتم تنفيذها في الخفاء.

(٣) الكيد والانتقام بعد الطلاق:

لذة الانتقام لا تدوم سوى لحظة، أما الرضا والحلم الذي يوفره العفو فيدوم إلى الأبد.. لأن العفو - لمن يقدر عليه - مكاسبه أكبر بكثير من خسائر الانتقام.

فقد لوحظ أنه بعد الطلاق، يبدأ كل من الزوجين في الكيد والانتقام من الطرف الآخر.. وقد يصل الأمر إلى اتخاذ الأبناء وسيلة لهذا الانتقام والعناد.. فهناك من العند والكبر في البشر ما يهدم كل شيء جميل في الحياة الزوجية.. علاوة على هدم الصحة النفسية للأبناء، والتي قد يظل أثرها في نفوسهم حتى الكبر.. وليت الزوجين يعملان على وقف تصعيد هذه المشاكل طلبا لراحة البال، ومصلحة الأبناء، لأن الأبناء هم الضحية الأولى لذلك العناد.

والغضب هو آفة معظم المشاكل.. فمن طبائع الحياة أن يغضب الزوج أو تغضب الزوجة.. ولكن العاقل دائما هو الذي يملك نفسه عند الغضب.. والنفس البشرية حين يستبد بها الغيظ تنزع إلى المواجهة.. وتضطرب اضطرابا نفسيا شديدا.. وطريق الشفاء يكون بمنع أسباب الغضب.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصُّرَعَة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» (متفق عليه)[1].. (الصرعة: الذي يصرع الناس ويغلبهم بقوته).

* وعنه رضي الله عنه، أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «**لا تغضب**»، فردد مرارا، قال: «**لا تغضب**» (رواه البخاري)[2].. (والمراد أن اجتنب أسباب الغضب، وإذا غضبت فلا تفعل ما يوجب الغضب).

(١) رص ٦٤٧ ص ٢٣٦. (٢) خ ٢٠٤٢ ص ٤٧٠.

* وعن سليمان بن صُرَدَ قال: استَبَّ رجلان عند النبي ﷺ، فجعل أحدهما تَحْمَرُّ عيناه وتنتفخ أوداجه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف كلمة لو قالها هذا لذهب عنه الذي يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فقال الرجل: هل ترى بي من جنون (رواه أبو داود)(١).

* وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» (رواه أبو داود)(٢).

* وعن عروة بن محمد بن السَّعْديّ عن أبيه عن جده عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» (رواه أبو داود)(٣).

وقال الحكماء: «قوة الحلم عند الغضب أفضل من قوة الانتقام».. وكذلك: «إياك وشدة الغضب، فإنها ممحقة لفؤاد الحكيم».

وكظم الغيظ فضيلة لا تظهر للناس.. ولكنها لا تخفى على رب الناس الذي يعلم السر وأخفى.. فقد يبدو كاظم الغيظ هادئا لا تظهر عليه أمارة الأذى أو الغضب، ولكنه يقاوم من داخله كل نزوع إلى مقابلة السيئة بمثلها، ويدفع الشر عن نفسه، ويؤثر السلامة والأمان ومصلحة الأسرة.. هذه النفوس الصابرة الكاظمة لغيظها التي لا تنزع إلى الشر، ولا تحب أن تدخل في معارك، هي النفوس المؤمنة حقا.. وهكذا فإن جزاء من يكظم الغيظ عظيم عند الله سبحانه وتعالى.. فقد وصف رب العزة عباده المتقين بقوله تعالى:

* ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

ومن آثار الغضب على الأسرة، قد يطرد الزوج زوجته من منزل الزوجية، لتعود إلى أهلها.. وهذا خطأ.. فالزوجة العاقلة عليها أن تقضي فترة العدة في

(١) د ٤٧٨٣ ص ٨٠٦. (٢) د ٤٧٨٤ ص ٨٠٦.
(٣) د ٤٧٨٦ ص ٨٠٦

بيت الزوجية.. فإذا أراد زوجها أن يطردها عليه أن يطلقها طلقة بائنة لا رجعة فيها.. وعدم خروج الزوجة، ربما يعيد الحياة إلى هدوئها بعد أن تهدأ عاصفة الغضب، ويفكر الزوج بحلم وأناة، ويشعر أنه لا يستغنى عن زوجته.. قال الله سبحانه وتعالى:

* ﴿ ... لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) ﴾ [الطلاق].

* ﴿ ... فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ... (٢) ﴾ [الطلاق].

وتعتبر النفقة المفروضة على الزوج إلى زوجته وأبنائه من المفاتيح الأساسية التي يستخدمها للانتقام من زوجته.. حيث تبدأ الزوجة في الدوران داخل أروقة المحاكم للحصول على حقوقها وحقوق الأبناء.. وهو يتعمد المماطلة وتأجيل القضايا بهدف إيذائها نفسيا من طول الإجراءات مع المحامين لإثبات حالته المادية.. لأن القاضي في النهاية يحكم بالنفقة التي تقدر للزوجة طبقا لحال الزوج والدخل الذي يتقاضاه فعلا.. والتي تتغير بتغيير الأسعار ارتفاعا وانخفاضا.. ولا عبرة بحال الزوجة المالية حتى لو كانت غنية.

ونظرا لأزمة الشقق الحالية، فقد أصبح الخلاف - بعد الطلاق - على الشقة من الأمور المستحدثة.. فالمرأة الحاضنة من حقها أن تبقى في الشقة حتى انتهاء فترة الحضانة للأبناء.. أما في حالة عدم وجود أبناء، أو في حالة تخطي الأبناء لهذه السن، فإنه يسقط حق المرأة في شقة الزوجية.. وفي هذه الحالات، قد تختلف ظروف امرأة عن أخرى.

وقديما كانت القيم والعادات والتقاليد أقوى من كل القوانين.. وعند حدوث مشكلة بين الزوجين، يجتمع الكبار من العائلتين، ويصدرون أحكامهم لحل تلك المشكلة، وعلى الزوجين السمع والطاعة.. أما الآن فقد اختلفت تلك الأعراف، وأصبح كلا الزوجين يفعل ما يحلو له من تلقاء نفسه دون مراعاة للقيم الاجتماعية والتقاليد.. وبذلك ازدادت المشاكل، مع عدم مراعاة الظروف الخاصة بكل حالة، وبسبب غياب الثقافة المتعلقة بالطلاق.

(٤) أثر الطلاق على الأبناء:

لقد أنكر الإسلام جميع أنواع الزواج التي لا تحفظ لأطرافه مجتمعين - الزوج، والزوجة، والأبناء - حقوقهم.. ولذا فإنه من حقوق الأبناء على الآباء أن يكون الزواج صحيحا مكتمل الأركان، وأن يكون موثقا طبقا للقانون.. أما غياب السند القانوني لإثبات الزواج، فإنه يعرض الأبناء لضياع حقهم في النسب لأبويهم، وحق النفقة والرعاية وغير ذلك.. فإذا ما ضعفت نفس أي من الزوجين، أصبح الأبناء بلا مأوي أو نفقة، وانضموا إلى طابور مجهولي النسب، ويلاحقهم الخزي والضياع من جراء لهث آبائهم وراء نزواتهم دون أدنى تفكير في مصير هؤلاء الضحايا.. وإذا كان الرجل والمرأة يقبلان التهاون في حقهما، فليس من حقهما التهاون في حق الأبناء.

وقد يرحل كل من الزوجين إلى حال سبيله بالطلاق.. ويبقى الطفل الصغير مثل قشة في مهب الريح.. ويكون تائها بين أبويه اللذين جرفهما تيار العناد والمكابرة حتى وصلت حياتهما الزوجية إلى طريق مسدود.. ويحاول كل منهما أن يتخذ من الصغير وسيلة للانتقام والكيد والنكاية والنّيل من الآخر دون النظر إلى مصلحة ومشاعر هذا الصغير.

ومن هنا نجد أن من يكون الصغير في حضانته، يحاول دائما منع أو عدم تمكين الآخر من رؤية الابن الصغير.. وتظل المشكلة قائمة بينهما كأنها حرب مشتعلة، يتلاعب فيها كل منهما بمشاعر الآخر وحرمانه من رؤية فلذة كبده، حتى تنتهي إلى المحاكم.. وعادة ما يكون القاضي أكثر رحمة على الصغير من والديه بعد طلاقهما.

فرؤية الصغير حق ثابت لكل من والديه.. فإذا كان في حضانة أحدهما، فلا يمنع الآخر من رؤيته بشرط ألا يتصادم ذلك مع حق ومصلحة الصغير.. لذلك يجب أن يتعاون الوالدان على تحديد مكان وزمان الرؤية.. وأن يُقصرا خلافاتهما عليهما.. وألا يتخذا من الصغير وسيلة للكيد والنكاية.

وإذا اختلفا، ولجأ أحدهما إلى المحكمة، فإن القاضي له السلطة التقديرية في تحديد زمان ومكان الرؤية على ضوء مصلحة الصغير وظروف الوالدين.. وإذا

صدر حكم برؤية الصغير، وامتنع من بيده الصغير عن تنفيذ الحكم بغير عذر، أنذره القاضي.. فإن تكرر منه ذلك، يجوز للقاضي بحكم واجب النفاذ نقل الحضانة مؤقتا إلى من يليه من أصحاب الحق فيها لمدة يقدرها القاضي، على أن تعود الحضانة مرة أخرى بانتهاء المدة التي حددها القانون.

أما عن مكان الرؤية - التي يرى فيها الآباء أبناءهم - فإن البعض يأتي لاهثا وراء رؤية الابن، سعيدا ومرضيا بلقائه، ويلعب معه ويستقطبه إليه.. أما البعض الآخر، فقد يأتي خصيصا لإذلال مطلقته، بأن يجلس مع الطفل دون حديث أو اهتمام بأمره، بل إن عينه على امرأته يراقب ضيقها وهي تحسب الساعات في ضيق وضجر، وهو سعيد بإذلالها.. هذا الرجل الأخير فقد الشعور الإنساني نحو زوجته السابقة ونحو ابنه.. وهذا الابن حتما سيصيبه من الأذى النفسي والغربة وعدم الأمان ما يجعله يحمل في نفسه هموم الدنيا. ويحقد على أبويه اللذين أنجباه، بل يحقد على كل الناس بالمجتمع.

فالواجب أن يبذل الطرفان ما في وسعهما لكي ينشأ ابنهما نشأة طبيعية، وتغليب مصلحة الطفل الصغير لكي ينشأ نشأة صحيحة، ولا يتعرض للمشاكل النفسية.. والثقافة المتعلقة بالطلاق تستلزم رعاية الأبناء - الذين لا ذنب لهم في طلاق الأبوين - والاهتمام بمصلحتهم وتعليمهم، لأنهم شباب وقادة المستقبل.. فمن أجل حياة استمرت لفترة ما بين الزوجين، وأثمرت عن أطفال، فإن هؤلاء الأطفال يستحقون التضحية.. وليت الأبوين يعملان على وقف تصعيد المشاكل بينهما طلبا لراحة البال، ومصلحة الأبناء.. ولا يكون الطفل سلاحا للانتقام بين الرجل ومطلقته.

خاتمة

وفي الختـام نشير إلى أن الـزواج رزق من الله ونعمة. . لاسـتمرار الحـياة، وتنظيم العـلاقة بين الرجل والمرأة على أسـاس من تبادل الحـقوق والواجـبات. . والتعاون في دائرة السكن والمودة والمحبة والاحترام والتقدير. . وتنمية غريزة الأبوة والأمومة. . ورعـاية الأبناء وتنشئتهم على أساس مـن الدين والأخلاق الفاضلة. . وترابط الأسر وتقوية أواصر المحبة بين العائلات، مما يزيد من قوة ترابط المجتمع.

والزواج عبـادة، له آثار وفوائد عظيمة لـلإنسان، حيث يلقى خالقـه - عز وجل - على أحسن حال من الطهر والنقـاء والعفاف. . ويندرج تحت بنود العبادة أيضا، إخلاصه وإحسـانه وجميل معاملته لشريك حـياته، وصلته للرحم، وتقوية أواصر المحبة بين الأسر، وحسن تربيته وإنتاجه لأبناء صالحين ونافعين للمجتمع. . فهذا كله يدخل في أمور العبادة إذا كانت خالصة لوجه الله الكريم.

وفيما يلي نقدم موجزا لبعض اقتراحات حل مشكلة أزمة الزواج التي ذكرت بهذا الكتاب. . ونقدم كذلك بعض النصائح لتحقيق السعادة الزوجية حتى لا تزداد الخلافات الـزوجية، أو يحوم شـبح الطلاق على الأسرة، وتتعرض للتـفكك وما يتبعه من آثار وخيمة على الزوجين، وعلى الأبناء، وعلى المجتمع.

بعض الاقتراحات لحل مشكلة أزمة الزواج:

الشـباب هو المـعنيّ بالزواج. . إذن لا بد من النظر إلى مـشـاكل الشبـاب والعـمل على حلها. . فـالشبـاب لهم آمال وطمـوحات عـريضة. . والمتـأمل في حيـاتهم يجد أنهم يتطلـعون بشغف إلى أعلى تـعليم توفره الدولة. . وهذه نعـمة للدولة. . كما يتطلعـون إلى الالتحاق بعمل مناسب يكفي احتـياجاتهم ويرفع من مكانتهم الاجتماعية. . ويشعرهم بذاتهم واستقلالهم وانخراطهم في المجتمع. . ثم التطلع إلي الزواج وتكوين أسرة، وما يتطلبـه ذلك من العثور على مسكن مناسب وتأثيثه. . والتطلع إلى زوجة مكافـئة له في التعليم والثقافة وتتحمل المسـئولية معه ليسعدا بحياة مستقرة.

كلهــا مطالب وآمال وطمـوحات مـشـروعة. . ولكن تعـترضـهم مشـاكل ومعوقات كـثيرة منها: مشاكل اقـتصادية، وإدارية تحول دون تحقيـق مصالحهم. . ومشــاكل أخـرى نفسـية كـالقلق والضيق والتـوتر والغضب. . وكـذلك الشـعور بالاكتئــاب واليأس، علاوة على الشعـور بالاغتراب وسط الأهل والمجتـمع بسبب الاستعمار العلمي والثقافي الغربي لعقول الشباب. . وبالتأكيد لا يعاني كل الشباب من هذه المشكلات مجتمعة، بل بدرجات متفاوته.

والسبيل لتحقيق آمال الشباب ومصالحه وطموحاته هي:

- يجب على المجـتمع مسـاعدة الشـاب في تطوير قدراته لمواجـهة الحـياة العملية، والحـصول على عمل مناسب لكي يوفر متطلبـات الزواج بنفسه بشكل مُـرض له ولعـروسه من سـكن وأثاث ونفقـات، ولا يظل حـتى يتجاوز الثلاثين من عمره غير قادر على تحقيق متطلبات الزواج الأساسية.

- يجب على أهل العـروس تقيـيم الشـاب على أساس الصـلاح والخلق، وليس تبعا لقدرته المـالية، وعدم وضع أمور يصعب تحقيـقها. . مما يجعل بعض الشباب ينغمس في الحرام لإشباع رغباته.

- يجب على الشباب إدراك أن الزواج ليس مجرد لحظات رومانسية يعيشها كل شــاب وفـتــاة. . ولكن قـبل ذلك بناء الـعقـول بـالأسلوب المناسب والتفاهم. . والتفكير المنطقي لبناء عش الزوجية بالإمكانيات المتاحة، حتى يملأ البيت الحب والـود والسعادة فـالبيت الحقـيقي ليس بما فـيه من أثاث وتحف ولكن بما فيه من عواطف وحب، واستعداد لاحتواء الطرف الآخر.

- تذكير الناس الذين يكررون الحج والعمرة كل عام، بأنه من الأعظم أجرا عند الله تعالى، أن ينفقوا أموالهم في إعانة الشبان والفتيات على الزواج، وكذلك مساعدة الأيتام وطلاب العلم والمرضي وغيرهم.

- ومن أوجه الخير أيضا والتقـرب إلى الله تعالى، أن يتصدق كل قادر على الزواج بمبلغ من تكاليف الزواج لمساعدة العـاجزين على إتمام زواجهم من الفقراء والكادحين.

◆ وإلى الأثرياء من أصحاب حفلات الزفاف ذات المظاهر المستفزة.. نتمنى أن يمدوا يد العون بجزء من هذه التكاليف الباهظة للعاجزين عن ضروريات الزواج.

◆ نأمل أن يخصص رجال الأعمال، والمقتدرون، والأندية، ودور السينما والمسارح، نسبة بسيطة من دخولهم لوجوه الخير، ومساعدة الشباب على الزواج.. فإن معاونة البائسين من أبناء الوطن يعتبر صورة حية للإصلاح الذي ننشده ونتطلع إليه.

◆ تشجيع الجمعيات الأهلية بالمجتمع على تكوين مؤسسات تساعد الشباب على الزواج، وتنظيم حفلات الزواج الجماعي، الذي يوفر على الأسر الكثير من المبالغ التي تنفق في الحفلات المنفردة.. وقد تدفع هذه الحفلات الجماعية الكثيرين من المقتدرين على التبرع لهؤلاء الأزواج بهدايا عينية تعينهم على تأثيث منزل الزوجية وتدخل السرور على الأزواج.

◆ ونظرا لأثر وسائل الإعلام البالغ على الشباب، فإننا نؤكد على أهمية البعد عن إثارة الغرائز، وعن الثقافات الدخيلة على المجتمع، وما يخرج عن الآداب العامة.. وأن نتمسك بتراثنا وثقافتنا وتقاليدنا الشرقية الأصيلة.

◆ التركيز على التربية الدينية، في الأسرة، ودور التعليم، ووسائل الإعلام المختلفة؛ لأن الدين هو أساس كل العلاقات الاجتماعية والإنسانية.. والدين هو صمام الأمان للفرد والمجتمع.

◆ يجب التركيز على تربية الأبناء، ومفهوم الأسرة في المجتمع، ومعنى الحياة الزوجية السعيدة.. فالأسرة هي التي تفرز الأجيال القادمة بالسلوكيات التي تعلموها في المرحلة العمرية الصغيرة.

◆ على الدولة أن تدفع الشباب إلى العجلة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لأنهم أكثر الفئات رغبة في التغيير، ومصدر التجديد الثقافي

والاجتماعي.. ويتمتعون بالقدرة على الإبداع، شريطة عدالة توزيع الثروات والسلطات التي تحسن أوضاع الشباب وتحقق طموحاتهم.

◆ العمل على سد الذرائع المؤدية إلى خلخلة المجتمع.. ومن أهمها العامل الاقتصادي.. لأن الفقر - خاصة إذا اقترن مع ضعف الإيمان - كان أساسا لكل الفتن والفساد في المجتمع.

◆ والنصيحة للشباب هو عدم الانعزال مع الكمبيوتر أو الأعمال الخاصة أو الأصدقاء المحدودين.. بل التواجد في تجمعات عائلية تشمل أسرًا لها أبناء وبنات وأصدقاء وصديقات.. وهذا أمر مهم في إتاحة فرصة التعارف عن قرب، تحت مظلة العائلة أو الأصدقاء المقربين من الأسرة.

◆ وكذلك الانضمام إلى نواد أو تجمعات شبابية من خلال الأنشطة الصيفية وغيرها.. وكل هذه فرص محترمة للالتقاء بشباب له أهداف ومبادئ وقيم متشابهة.

◆ على الفتاة ألا تقابل أي خاطب بالرفض أو الفتور أو عدم الاهتمام.. بل تبحث في شخصيته وحديثه عن نقاط الاتفاق التي يمكن أن تكون بداية للتفاهم والقبول.

◆ وعلى الفتاة ألا تصدق الكلمات المعسولة الواردة إليها من أي شاب، سواء مباشرة أو عبر الموبايل أو البريد الإلكتروني وغير ذلك.. وعليها أن تحفظ كرامتها وتصون نفسها، وتبتعد عن كل هؤلاء العابثين بسمعتها.. ومن يريدها زوجة، عليه أن يتقدم إلى والدها أو ولي أمرها، ولا يتعلل بأشياء من المؤكد أنها كاذبة.

◆ التأكيد على أن كل الأسباب التي تؤدي إلى عنوسة الفتيات، أو عزوبة الشبان، سوف تغلق أمامهم الطريق الرسمي للزواج، وتزيد من لهيب المشاعر، وتفتح أمامهم عن طريق الفساد والزواج غير الشرعي، وما يتبعه من مشاكل كثيرة على المجتمع ككل.. والمطلوب تيسير سبل الزواج والإعانة عليه حفاظا على الأخلاق ومنع الجرائم.. فإذا ضاقت أبواب الحلال على الشباب، فلا نستطيع أن نمنعهم من الحرام.

بعض النصائح لتحقيق السعادة الزوجية:

تختلف السعادة الزوجية بين زوجين وآخرين؛ لأن السعادة نسبية.. وتعتمد على نظرة كل منهما للحياة.. ومن الأمثلة المتناقضة في هذا الشأن نذكر ما يلي:

قد نرى زوجين في سعادة كبيرة رغم فقرهما وكد كل منهما لتوفير لقمة العيش لأبنائهما.. وعلى النقيض نجد زوجين آخرين لا يعرفا طعم السعادة رغم أنهما يملكان المال وكل ما تحتاجه الحياة العصرية.. ذلك لأن السعادة هنا تحددها نظرة الشخص لمدى أهمية المال في حياته بالنسبة للسعادة.

فالرضا والقناعة مع الاجتهاد والتعاون والاعتماد على الله وشكره تعالى على ما أنعم عليهم، هي مفاتيح السعادة لتلك الأسرة الفقيرة.. بينما وفرة المال والحياة المرفهة جعلت الأسرة الأخرى تطمع في المزيد الذي ليس له حدود، فالمال أصبح هو السيد، وبالتالي لن تشعر هذه الأسرة بالسعادة أبدا.. ولو كان المال هو الأساس في السعادة الزوجية، لكان الأثرياء هم السعداء في هذا العالم.. ولكن الواقع يشهد بغير ذلك.

وقد نجد بعضا ممن فقدوا البصر يشعرون بالسعادة ويحققون نجاحات لم يحققها المبصرون.. والسبب أن البعض ينظر إلى الحياة نظرة تفاؤل، وآخرون ينظرون للحياة نظرة تشاؤم.

وقد يسعى شخص لتحقيق هدف معين - سواء زواج أو غيره - ولكن لا يحالفه الحظ.. وبالتالي نراه اكتأب وانعزل عن أسرته والعالم وحصر أفكاره في هذه التجربة الفاشلة.. بينما غيره يعتبر أن الفشل أول خطوة على طريق النجاح والتقدم والسعادة.. حيث يعترف بأمانة مع نفسه عن أخطائه، ولا يجعل غيره سببا في فشله، ويستفيد من هذه التجربة ليبدأ من جديد، وشعاره: ليس هناك شيء اسمه المستحيل.

وهذه الأمثلة توضح أن من يرغب في السعادة الزوجية لا بد أن يسعى لها، وأن ينظر نظرة تفاؤل وطموح، ويكون صادقا مع نفسه وغيره، ويشكر الله على نعمة الزواج وراحة البال، والذرية الطيبة، والرزق الحلال.

وفيما يلي بعض الاقتراحات والنصائح لتحقيق السعادة الزوجية:

- الاعتراف بأن الخلافات الزوجية واردة - لأننا بشر مختلفون في الطباع - وبالتالي فإن النقاش في أمر الخلاف ضروري، ولكن الصوت العالي والعصبية والألفاظ الجارحة ممنوعة.
- تكرار كلمات الحب بين الزوجين من الأشياء المهمة، ولا يقول أحدهما: لقد كبرنا على هذا.
- أن يُذكِّر الزوجين بعضهما بالذكريات المرحة الجميلة، وبذلك تصبح الحياة مشرقة.
- وضع صور جميلة لأفراد الأسرة في مناسبات سارة، تجعلهم يتذكرون ترابط الأسرة مع بعضها.
- بذل الجهد منذ بداية الزواج للتعرف على ما يحب وما يكره كل طرف.
- ممارسة أي هواية مشتركة كرياضة المشي، أو الرسم، أو تبادل الآراء فيما قرأ كل منهما، وغيره.. وذلك يعمل على تقارب الأفكار والآراء ويصبح هناك مادة للحديث بينهما.
- المشاركة في الأفراح والنجاح والمشاعر والأفكار؛ لأن الشعور المتبادل هو أساس السعادة الزوجية.
- عدم غياب الزوج عن البيت لفترة طويلة، سواء في العمل أو السفر إلا لضرورة قصوى.
- أهمية معرفة الاختلافات الجوهرية بين الرجل والمرأة من الناحية البيولوجية والنفسية والاجتماعية لفهم طبيعة الطرف الآخر.
- تبادل الاحترام بين الزوجين أمام الأبناء والأهل والأصدقاء والناس جميعا من الأساسيات.

- المشاركة في السراء والضراء، والغنى والفقر، والصحة والمرض، ويتحمل كلاهما مصاعب الحياة ليشعرا باللذة، وينالا السعادة المرجوة، والثواب الأوفي من الله تعالى.
- أن يسافرا معا - بقدر الإمكان - حتى يتغلبا على الشعور بالملل والوحدة.
- يتحمل كلاهما مسئولية رعاية أولادهما وتربيتهم على الأسس الدينية الصحيحة.
- القناعة والرضا بالحياة السعيدة في حدود الإمكانيات المتوفرة للأسرة.. وعدم المطالبة بما هو فوق الطاقة.. والصبر مفتاح الفرج.
- اختيار الوقت المناسب لطرح أي مشكلة أمام الطرف الآخر.. وهذا أمر مهم، قد يكون غائبا عن الكثير ممن ليس عندهم صبر ومتعجلون في كل شيء.
- عند حدوث أي خلاف، يجب ألا يخرج من بين جدران البيت.. ويجب التفكير في الحل، ولا يستمر الخلاف أكثر من ساعة، يبدأ أحدهما بالمصالحة وإعادة النقاش بهدوء حتى يزول أثره.
- خشية الله سبحانه وتعالى في كل المعاملات مع شريك الحياة، ومع كل الناس.
- وأخيرا التفاؤل بالمستقبل.. ولا يجعل الزوجان الدنيا تشغلهما عن الدين.. والتوكل على الله، وشكره سبحانه وتعالى على نعمة الزواج، وراحة البال، والأبناء الصالحين، والرزق الحلال.

وختاما: أرجو أن أكون قد وفقت في هذا العمل بحمد الله وفضله وكرمه.. وأرجو ممن قرأ هذا الكتاب فاستفاد، أن يخصني بدعوة صالحة.. ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ونافعا للشباب ولكل من يقرأه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه وسلم تسليما كثيرا.

أ.د سناء أحمد أمين

القاهرة: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

المراجع

١- مختصر صحيح البخاري - المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح - تأليف الإمام زين الدين أحمد عبد اللطيف الزبيدي - مراجعة: أحمد راتب عرموش - تحقيق: إبراهيم خليل بركة - دار النفائس - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨م.

٢- مختصر صحيح مسلم بشرح الإمام النووي - اختصار وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك - دار الألباب للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م.

٣- مختصر سنن الترمذي - اختصره وشرح جمله وألفاظه وعلق عليه: الدكتور مصطفى ديب البغا - اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤- موسوعة الحديث الشريف - جمع جوامع الأحاديث والأسانيد - جمعية المكنز الإسلامي - الإصدار الأول - ١٤٢١ هـ - القاهرة - مصر.

٥- رياض الصالحين - تأليف الإمام أبي زكريا يحى بن شرف النووي الدمشقي - حققه وأخرج أحاديثه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق - راجعه الشيخ شعيب الأرنؤوط - الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض - مكتبة الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - دار الثقافة العربية، دمشق - الطبعة الثالثة عشرة - ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٦- فقه السنة - السيد سابق - دار الفتح للإعلام العربي - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧- الفقه الُميَسَّر - فضيلة الإمام الأكبر - أ.د. محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر - جريدة: صوت الأزهر - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٨- صفوة التفاسير - تأليف محمد علي الصابوني - الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة أم القرى - مكة المكرمة - دار القرآن الكريم - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

٩- التفسير الوسيط للقرآن الكريم - للدكتور محمد سيد طنطاوي - مفتي جمهورية مصر العربية - (حاليا شيخ الأزهر) - دار المعارف - ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٠- منهاج المسلم - لفضيلة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري - دار التراث العربي للطباعة والنشر - ميدان المشهد الحسيني - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

١١- حديث القرآن عن الرجل والمرأة - فضيلة الإمام الأكبر أ.د محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر - دار السعادة للطباعة - ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٢- الإسلام بين العلم والمدنية - الإمام محمد عبده - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٢م.

١٣- كنوز من السنة - محمد الغزالي - دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٩٩٩م.

١٤- رياض المتقين - الشيخ سليمان فرج سالم - دار الجيل للطباعة - جمهورية مصر العربية - ١٩٩٢م.

١٥- قبول الأخر - د. ميلاد حنا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٩م.

١٦- مكانة المرأة في الإسلام - محمد عطية الإبراشي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٣م.

هذا الكتاب

* يهدف هذا الكتاب إلى التعريف بالزواج، من شرائع وآداب وسنن، حتى يكون زواجا ناجحا صحيحا.

* كما يشرح الأسلوب الشرعي لإنهاء العلاقة الزوجية بالطلاق، والآثار المترتبة عليه من العدة والحضانة والميراث.

* ويبين أسباب الأزمة الحالية للزواج، من حيرة الشباب في اختيار شريك الحياة.. والمغالاة في الأمور المادية.. والجهل أو عدم الاهتمام بشرائع الدين.. وأثر كل من الأسرة والتعليم ودور العبادة والإعلام في التربية الدينية.. مع اقتراح الحلول لهذه الأزمة في كل موقع.

* ويوضح الكتاب أيضا أسباب فشل الزواج وعدم نجاحه، الناتج عن غياب الثقافة المتعلقة بالزواج الصحيح أو الطلاق.. وأثر الزوجين في عدم تحمل المسئولية، مع الطمع في المال، وافتقاد الحب والسعادة، مما يزيد من الخلافات الزوجية، التي قد تنتهي بالطلاق.. مع تقديم النصائح الواجبة في كل موقع من هذا الكتاب.

د. سناء أحمد أمين

* أستاذ بالمركز القومي للبحوث سابقا.

* حاصلة على بكالوريوس العلوم من جامعة عين شمس.. والماجستير والدكتوراه في الكيمياء التطبيقية من جامعة القاهرة.

* نشرت الكثير من الأبحاث العلمية في المجلات والدوريات العالمية.

* ساهمت بالتدريس في الجامعات المصرية (جامعة عين شمس وحلوان)، وكذلك في الجامعات العربية (بالجزائر والسعودية).

* قامت بمهمات علمية في العديد من الدول الأجنبية.. كما اشتركت في كثير من المؤتمرات العلمية المحلية والدولية.

* صدر لها كتاب بعنوان «أصحاب الجنة وأصحاب النار» - دار الفكر العربي - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

* وصدر لها أيضا كتاب بعنوان «الدعوة إلى الله من منظور العلم فى القرآن الكريم» - دار الفكر العربى - الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.



I.S.B.N. 977-10-2388-9

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر

دار الكتاب الحديث